

الكتاب العربي السعودي



محمد سعيد العامودي



من حديث الكتب

جزء ثان

الطبعة الثانية
١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م
جدة - المملكة العربية السعودية

بسم الله الرحمن الرحيم

الناشر
تهامة
جدة - المملكة العربية السعودية
ص.ب ٥٤٥٥ - هاتف ٦٤٤٤٤٤٤


من
حديث الكتب
جزء ثان

رسالة العلم والإيمان

الدكتور محمّد جمال الفندي

ما أحوج المسلمين اليوم · وقد اصبحوا يتعرضون ـ كما هو مشهود ـ لاكثر من مواجهة ·· واكثر من تحد ·· بل ولأكثر من غزو ·· ماأحوجهم وقد احاط بهم اعداء من كل لون ·· ظاهرون ومستترون ·· متبوعون وتابعون ·· اصلاء وعملاء ·· وما احوجهم ايضا وقد اضناهم تخلف مرير ·· ورثوه في جملة ما ورثوه عن عهود الظلام والركود · بعد ان كانوا سادة اهل الأرض حينا من الدهر وكانوا هم الناس ·

ما أحوج أبناء الاسلام ، وهم يعانون مايعانونه اليوم وأصبحوا يشعرون به ويدركونه ، واصبح قادة الفكر فيهم ينددون به ، وينبهون اليه ، ما أحوجهم الى وقفة جادة يطلبون فيها التأمل باحثين فيها عن السر : سر تخلفهم ·

ولعله ـ أو هو بالتأكيد ـ السبب الذي اطمع فيهم الأعداء على اختلافهم في اغراضهم ومشاربهم ·

سر تخلفهم ، وأضيف اليه : سر اختلافهم · هو انحرافهم ـ إلا من رحم ربك ـ عن منهج رسالتهم الخالدة ، اسمى الرسالات : رسالة العلم والايمان ·

الانحراف عن رسالة الاسلام ، هو أمر يبعث في النفس الأسى ، وهو

سر مـا وصل اليـه العالم الاسـلامي من تخلف ٠٠ هـو سر الضعف وبالتالي ٠ هو السر الذي جلب الهزائم ٠ وجاء بالاستعمار ٠ وجعل من (الأفعى اليهـودية) في نهـاية المـطاف ٠ دويلة جـاثمـة عـلى ارض فلسطين ٠

الانحـراف عن رسالة السمـاء هو الذي اوجـد التخلف ، واوجـد الخلاف ٠

ولقد بحت أصوات العلماء والكتاب المفكرين من أوائل هذا القرن ، من كثرة مابحثوا ونددوا ٠٠ في هذا المجال ٠

الأفغاني ، محمد عبده ، الكواكبي ، فريد وجـدي ، ابن باديس ، حسن البنا ، سيد قطب ٠٠ وغيرهم وغيرهم من الدعاة المناضلين ٠

ما من شك في أن دعوات هؤلاء الدعاة ، لم تذهب سـدى ٠٠ فقد تركت اثرها ، ولو الى حد ٠٠ ومايزال الكتاب والمفكرون الاسـلاميون يواصلون خدمـة الدعوة ٠٠ عقيـدة وثقافـة وحضارة كـل بأسلوبـه الخاص ، على نحو مانرى في هذا الكتاب ٠

ان مؤلف هذا الكتاب عالم متخصص في علم الفلك واستاذ بجامعة القاهرة ، وهو حاليا استاذ الارصاد الجوية في جامعة الملك عبدالعزيز وهو في هذا الكتاب يقدم لنا دراسة وافية عن الاسلام من حيث صلته بالعلوم : على انواعها ، وتشجيعه لها ٠٠ وما أنشأه كل ذلك من حضارة شامخة ٠ كانت المثل الفريد بين الحضارات مما يدحض قول القائلين عن الاسـلام انه ضـد العلم وان سر تأخـر المسلمـين الحـاضر هـو استمساكهم به الى آخر ماملأوا به الكتب ، وغرروا به صغار النفوس مما كانت نتيجته ابتعاد الكثيرين من شباب المسلمين في اكثر ارجـاء البلاد الاسلامية عن دينهم وأصالتهم،ثم ايمانهم بالغرب ، وبالحضارة الغربية المادية جعل منهم اتباعا اذلاء ٠

انه غزو صليبي فكري في البداية ٠٠ تبعه غزو من نوع آخر ٠ هو الغزو الالحادي الماركسي كما نراه الآن ماثلا للعيان ٠

في كتاب (رسالة العلم والايمان) تعريف شامل للاسلام من جانبه العلمي والفكري تعريف باسلوب علمي مبسط لايدع مجالا لمكابر او مضلل ، او منحرف ٠٠

يبدأ الكتاب بمقدمة ، ثم بتمهيد يقول فيه المؤلف :
« هذا عصر تحيرت فيه الأفكار وانطمست معالم الحقيقة في وضح النهار ٠ وظهرت مبادىء وآراء ضل في بدائها الصغار والكبار ٠
وماذا يفعل المرء مثلي اذا اراد أن يحاج الناس سوى أن يمسك القلم ويكتب ٠ أو يعتلي المنبر ليخطب ٠ وهأنذا اكتب لعلي أعيد الصلة بين الحاضر والماضي ٠ حتى اذا مانظر المرء منا الى الوراء ، وعاد بالتاريخ عبر الأجيال ٠ لم يجد فراغا ممقوتا ، ولاهوة سحيقة وأنما وجد بنيانا عظيما ، وأساسا قويما ٠

اني اكتب لأظهر تلك الدفعة العظمى التي دفع بها الاسلام العرب ليحملوا راية العلم عالية خفاقة ابان العصور الوسطى ، او العصور المسلمة كما يسميها الفرنجة ، ولم يكن المسلمون مجرد قنطرة عبرت عليها الحضارات القديمة الى عصر النهضة العلمية ، بل انهم صححوا كثيرا من اخطاء تلك الحضارات واضافوا اليها الشىء الوفير ٠
ومهما قيل عن تلك الحقبة من الزمان التي ادرك فيها المسلمون معنى الاسلام على حقيقته فربطوا بين العلم والايمان ٠

ومهما قيل عن دور العلماء المسلمين في هذا الصدد فان ماخطه في هذا الكتاب انما هو للحقيقة والتاريخ اكتبه مبسطا متوخيا الدقة والأمانة العلمية ومستعينا بكثير من آيات القرآن الكريم بوصفه صاحب تلك الدفعة ودستور المؤمنين والمسلمين الذي يستمد كثيرا من حكمه وأمثاله من هذا الكون الذي من حولنا ٠٠ من سماء ونجوم وكواكب وماء وهواء وجبال وانهار ورياح وأحياء ٠

في الباب الأول يتحدث عن معلومات اساسية في مجال العلم ·· يقول :

لقد سحرت الكشوف العلمية عقول الناس في هذا العصر ·

ولا أظن أن مجلسا ينفض ، أو سهرة تنتهي ، مالم يتعرض فيها البعض للتعليق على آخر التطورات العلمية ·· مما تنشره الجرائد والمجلات ، أو يذيعه الراديو أو التلفزيون ·

نعم أيها القارىء ، ولقد حقق الانسان باتباعه (الطريقة العلمية) وأخذه ـ بالحقائق ـ دون سواها في مدى قرنين فقط تقدما عظيما ، وبنى لنفسه حضارة ضخمة ، تبلغ عشرات بل وربما مئات اضعاف مابناه في ظل مامضى من حضارات عبر ألاف السنين ·

ولايمر يوم لانسمع فيه اخبار كشف جديد في عالم الذرة ، او ارتياد الفضاء ·· أو التحكم في الأجور · أو زراعة الأجواء · أو زراعة الأعضاء ، أو محاولة مخاطبة مافي العوالم الأخرى من ايحاء ·

·· ثم يقول :

وكما قدمنا كان الاسلام اكبر قوة دافعة حفزت المسلمين على البحث والدراسة فطوروا العلوم واستحدثوا منها الشيء الكثير ولم يكونوا مجرد قنطرة عبرت عليها الحضارات القديمة الى عصر النهضة ·

والقرآن الكريم مليء بالآيات التي تحض على العلم وتعلي من شأن العلماء ، وتضرب امثلة من حقائق العلم وقضاياه العامة ·

ثم يمضي المؤلف في حديث مفصل عن معنى العلم ـ الذي هو تلمس الحقائق في عالم الحس ·· ثم الطريقة العلمية وهي تتضمن طرق البحث ·· وما يكشفه ذلك البحث من معالم الوجود المادي ·· الى أن يقول :

ان العلم المادي لايستطيع أن يسبغ على كوننا أي لون · أو يستخلص منه أية حكمة · أو يعطيه معنى يستسيغه الفكر أو ترضى به الانسانية · أو ترتاح اليه النفوس · ومهمته تقف عند حد وصف الظواهر والكشف عن النظم والقواعد او القوانين الطبيعية ·

والدين هو الذي يعطى هذا الوجود تلك المعاني كلها ومنه تنبثق كل المبادىء · لأنه الأساس ، وليست المبادىء والنظم الاقتصادية مثلا هي اساس الشعوب ، ولنتذكر بأن علمنا هو للظاهر فقط نردد قوله تعالي :
(يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون) الروم « ٧ »

القرآن يخاطب العقل

مادام الكون كتاب الله المنظور ـ هو من عمل الله ـ والقرآن الكريم كتاب الله المسطور ـ هو كلام الله ـ فلا بد أن يتطابق القول والعمل · والذي يبصرنا بهذا التطابق الرائع الأخاذ ، ويجعلنا نلمسه في كل آن وحين هو العلم الذي يوصلنا الى معرفة آيات الخالق وعنايته ورعايته ·

ولهذا حض القرآن على العلم والتعليم ، بل ان أسلوب القرآن هو نفسه الأسلوب العلمي ، وهو لايقتصر على اثارة النفس ، واثارة الوجدان · وانما يوجه الحديث الى العقول الواعية · وأهل العلم والمعرفة ويقيم الحجة بالدليل والبرهان (كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون) البقرة ٢٤٢ ·

والقرآن الكريم · رغم كونه معجزة خالدة لايقف اعجازه عند عصر معين ولايحد بثقافة بالذات نجد انه لايخرق نواميس الطبيعة وقوانينها بل يثبتها · ولم تعد بعد نزوله فرصة للمعجزات الخارقة لنظام الله في كونه أو سننه في خلقه ولم يعد ثمة مكان للخوارق والهواجس بل هو يرد كل شيء الى العلم السليم العام التطبيق ·

(قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا) الانعام ١٤٨ ·

ويسخر القرآن الكريم ممن يتوقعون أو يتطلبون الخروج على الناموس الطبيعي ونظام الكون الثابت الذي لامبدل له فتجده يقول مثلا لأمثال هؤلاء :

(وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا ، أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا ، أو تسقط السماء كسفا)

(ومـا يتبع اكثـرهم إلا ظنـا ان الظن لايغني عن الحق شيئـا) يونس ٣٦

القرآن يأمر بالعلم

هذا هو التاريخ يبين في جلاء ووضوح أن الذين فهموا كتـاب الله وعملوا به كانت لهم قوة دافعة جعلت من المسلمين الأول قادة الشعوب في كل الميادين ، وعلى رأسها ميدان العلوم فقد ألزمنا كتاب الله بدراسة ماحولنا في هذا الوجود دراسة علمية واعية فقال مثلا في اسلوب رائع أخاذ :

(أو لم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض) ـ الأعراف ١٨٥ ـ

وقال بصفة الأمر :

(قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق) العنكبوت« ٢٠ » ٠

تشـير الدراسة بـالنـظر والفكـر الى كـل من الدراستـين العمليـة والنظرية ٠

وهكذا دفع القرآن المسلمين الى الرصد والقياس ، ثم استخدم قوى العقل ، فظهر منهم العلماء في شتى المجالات وهم الذين وضعوا أسس العديد من العلوم مثل علم الجبر والكيمياء والفيزياء ونحوها ٠

مميزات الحضارة الاسلامية :

بعد أن يتابع حديثه في الباب الأول ٠٠ ينتقل الى الباب الثاني ، وقد خصه بالحديث عن مميزات الحضارة الاسلامية يقول فيه :

استمدت الحضارة الحديثة دعائم بنائها من حضارة المسلمين ، تلك

الحضارة التي حررت الفكر واطلقت العقل من عقاله ، ومن قيود فلسفة الاغريق ووثنيتهم واغلال محاكم التفتيش ·

ولم ينحصر فضل العرب أو المسلمين بصفة عامة في مجرد المحافظة على التراث العلمي القديم أى انهم لم يكونوا قنطرة عبرت عليها الحضارات القديمة لتصل الى عصر النهضة العلمية ، بل انهم انشأوا الوفير من فروع العلم المختلفة ، كما اضافوا الى الموجود منها الشيء الكثير ·

والدليل على ذلك انهم نقلوا التراث العلمي القديم بعد شرحه والتعليق عليه ، وبعد ان جنبوه العثرات ، وخلصوه من الهفوات ، ولهم ابتكاراتهم في الجبر واللوغارتيمات · والفلك والفيزياء والفلسفة ·

المجتمع الاسلامي يساير الفطرة

الذي يدرس المجتمع الاسلامي الأول ، أو يدرس ماجاء به القرآن الكريم من آيات بينات في شتى المجالات يجد أن الاسلام ظل مجتمعا يساير الفطرة ويتمشى مع الناموس الطبيعي ، سواء من حيث ماجبل عليه الناس ، أو ما فطر عليه الوجود ·

فمثلا ينادي القرآن بالطاعة :« أطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم » النساء (٥٩) في نفس الوقت يعلي من قدر المسلم فلا يخاف احدا من الناس ·· « وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله » التوبة (١٨)·

أما العلم ، فلعل أبسط ماقاله بعض الفلاسفة المحدثين عنه أو عن الحضارة أن « نهاية المدنية العلمية هي بدء الوحشية »

ويرى فريق من العلماء ان الانسان سوف يدمر نفسه وحضارته العلمية بل والأرض التي يسكنها بالتفنن في انواع الأسلحة النووية ، والقنابل الايدروجينية ·

انها الوحشية التي تتجلى باظهار معانيها في عصر العلم ، وعصر الفضاء ، لتثبت بصفة قاطعة أن التقدم العلمي من غير عقيدة تسنده أو أخلاقيات تنظمه وتحكمه ٠٠ إنما هو وبال على البشرية ٠

القرآن والعلم :

وينتقل المؤلف الى الباب الثالث ، ويمضي في حديثه عن القرآن والعلم ، ويقول :

ان التاريخ لم يعرف أمة اهتدت بالعلم ، ورفع دينها من شأن العلماء كالأمة العربية في عصورها الزاهرة الزاخرة بالفنون والآداب ، ولقد صارت العواصم العربية : القاهرة ودمشق وبغداد والخرطوم وقرطبة مراكز اشعاع احتل العلماء فيها درجات مرموقة لدى الخلفاء والأمراء ، والحكام الذين لم يبخلوا على العلم ، وصارت أعظم هوايات الأمراء والأغنياء ، وصار ميدان التفاخر بينهم هو جمع المخطوطات ٠ والحرص على اقتناء النفيس من المؤلفات ٠

والذي يقرأ القرآن عن تدبر وفهم لايمكن أن يركن الى الوهم والخيال ، ولكن لعب العدو ، ولعب الاستعمار دوره خلال فترة مضت من الزمان ٠٠ وهاقد آن الأوان لنأخذ تعاليم الدين الحنيف من جديد ٠

ولقد فصل القرآن في مراحل الوحي المختلفة المقصود بالعلم ، كما أشار الى ماانقسمت اليه العلوم في عصرنا الحاضر من فروع وتخصصات ، تلك الفروع الأساسية التي بالبحث والتنقيب فيها تزداد الشعوب درجات من البأس والقوة ، ودرجات من الايمان والتقرب من الله تعالى ٠

ويفيض المؤلف في هذا الباب حديثه عن آثار المسلمين الأوائل في مجالات العلوم المختلفة ، وما للقرآن الكريم من أثر في الميدان العلمي ٠

من تاريخ العلوم عند العرب

وفي الباب الرابع بعنوان « من تاريخ العلوم عند العرب » يحدثنا عن بعض اعلام العلم من أمثال « ثابت بن قرة » و« جابر بن حيان » ومنهجه العلمي وأهم كتبه ثم عن « الحسن بن الهيثم » أشهر المهندسين العرب الى جانب علمه بالفلك والفيزياء ثم عن غيرهم من المشاهير ٠

وفي البابين الخامس والسادس ٠٠ نمضي مع المؤلف في أحاديث ممتعة عن عصر الفضاء ، وما تحقق فيه للانسانية من أمان وأحلام وعن الوصول الى القمر ٠٠ وعن الأرض وكسوف الشمس والأعاصير والحياة على المريخ ، والكهربائية الجوية ٠٠ والجاذبية الأرضية وانعدام الوزن ٠٠ وحدود البصر ثم يستطرد الى الانسان ٠

والدولة العصرية ، وعنها يقول ٠ الدولة العصرية هي الدولة القائمة على اساس القيم العلمية ، والأخذ بمبدأ البحث العلمي ٠

بمعنى انها نبذت الخرافات وتجنبت الأوهام واخدت تعالج مسائلها بالطريقة العلمية القائمة على الرصد « أو المشاهدة » والقياس « باستخدام وحدات خاصة »

ثم يقول : والمعروف أن نهضة أى أمة نهضة علمية حديثة انما تبدأ من اللحظة التي فيها يؤمن قادتها بضرورة الأخذ بالبحث العلمي ، ويحكمون العلم وبراهينه الصادقة السليمة ٠

وهذا المبدأ هو نفسه الذي نادى به القرآن حين قال مثلا :

(قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا) الأنعام الآية « ١٤٨ »

(قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين) البقرة ٠ الآية « ١١١ »

(يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا) النساء ٠ الآية « ١٧٤ »

والمراد ان قد جاءكم دليل من الله يسلم به العقل ويقطع بصحة رسالة الاسلام ·

والحقيقة التاريخية ان هذه الحضارة العلمية الضخمة التي بهرت أعين الناس في هذا العصر ، وحيرت عقولهم ، وأغرت نفوسهم بما عملت من انجازات في شتى المجالات انما هي امتداد لحضارة المسلمين ، وامتداد لرسالة القرآن ·

فلقد حرر الاسلام الفكر من قيود الوثنية القديمة ، واغلال الكهنوت ، وطالب الناس بضرورة البحث والكشف عن اسرار الطبيعة المنبثقة في كل ركن من اركان السموات وكل جزء من أجزاء الأرض على أساس المشاهدة والتتبع السليمين ، القياس باستخدام الحواس ·

وفي ظل النهضة العلمية الاسلامية الكبرى ، في عهد العباسيين وأواخر عهد الأمويين ، منذ نحو الف سنة مضت كان العلماء العرب من امثال البيروني والحسن بن الهيثم وجابر بن حيان وابن يونس المصري وغيرهم كثير في شتى مجالات العلم يربطون بين العلم والايمان وابتدعوا كثيرا من فروع العلم الحديث ·· الخ ·· الخ ··

وانك لاتجد تفرقة بين العلم والايمان في مؤلفات اولئك العلماء العرب ·

فمثلا يقول الحسن بن الهيثم : « واشتهيت ايثار الحق وطلب العلم » واستقر عندي أنه ليس ينال الناس من الدنيا شيئا اجود ، ولا **أقـــر** به الى الله من هذين الأمرين »

ويحدثنا التاريخ الصادق أن فصل العلم عن الايمان إنما حدث وتم في اوربا اثناء العصور الوسطى · عندما أخذ الأوروبيون ينقلون علوم العرب عن طريق الأندلس وعن طريق التبادل التجاري ·

ولهذا عندما يعود الينا العلم اليوم لايعتبر دخيلا علينا ولاغريبا عنا ·· ويجب أن نعيده الى اصله كما نشأ أول الأمر بين ربوعنا أى في احضان الايمان ·

ثم يقول المؤلف : « لايتوفر العلم والايمان إلا على أساس من الأخلاق والآداب القويمة · ولهذا أمر الله المسلمين بالتحلي بمكارم الأخلاق ·

وحقيقة أن خلق الأمة يبدأ بتربيتها ، ولهذا فالقرآن يقول : « ياأيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالاتفعلون » الآية (٢و٣) الصف ·

أى أنه لابد من أن يكون المرء أمينا صادقا في قوله منجزا لوعده والله تعالى يقول في سورة الرعد الآية « ١١ » (ان الله لايغير مابقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)

وهكذا يمضي المؤلف الفاضل في كتابه الشائق « رسالة العلم والايمان » وكان يمكن أن نمضي لولا أن الحديث قد طال معه الي نهاية الكتاب ·



الامبراطورية الإسلامية والأماكن المقدسة

دكتور محمد حسين هيكل

ما من شك في أنه في غنى عن أي تعريف يكفي أن نقول عنه : محمد حسين هيكل ، السياسي والمؤرخ والاديب ، صاحب « حياة محمد » و« في منزل الوحي » و« الصديق ابوبكر » و« الفاروق عمر » وغيرها ٠

وكتابه هذا هو أحد كتبه التي ظهرت بعد وفاته ، وقد ضمنه مباحث في موضوعين أساسيين : أولهما نظام الحكم في الاسلام وثانيهما الأماكن المقدسة في الشرق الاوسط ٠

ويقول الاستاذ احمد محمد حسين هيكل ابن المؤلف في مقدمته للكتاب : كتب والدي الدكتور هيكل هذه المباحث واذاعها في سنة ١٩٤٢ ثم ظلت منذ ذلك الحين مطوية بين أوراقه الى أن اختاره الله الى جواره كما انه لم يفكر في جمع أو نشر أي من مقالاته ومباحثه العديدة اللهم الا النزر القليل منها ٠٠ الخ ٠

ويتصل موضوع هذه الفصول اتصالا مباشرا بمرحلة فكرية رئيسية في حياة الدكتور هيكل : تلك مرحلة دراساته الاسلامية التي احتوتها كتبه « حياة محمد » و« في منزل الوحي » و« الصديق ابوبكر » و« الفاروق عمر » التي ظهرت جميعا في الفترة ما بين سنة ١٩٣٥ وسنة ١٩٤٥م٠

يتحدث المؤلف في القسم الأول من كتابه عن أسباب قوة الامبراطورية الاسلامية بل انه يصف قيام هذه الامبراطورية بأنه

حادث فذ في تاريخ الانسانية ·· فقد بدأ الغزو العربي للشام والعراق سنة خمس وثلاثين ، وستمائة لميلاد السيد المسيح ، وبعد خمس عشرة سنة من هذا التاريخ كانت الامبراطورية الاسلامية قد اشتملت علـى فارس ومصر وشمال أفريقيا ، وامتدت الى حدود الهند وتاخمت الصين وقيام إمبراطورية بهذه السعة في هذا الزمن القصير معجزة لذاته ، لكن من حوادث التاريخ ما يشبه هذه المعجزة ··

وحسبنا أن نشير ـ يقول الدكتور هيكل ـ إلى حروب الاسكندر وإلى حروب المغول ·· امتدت حروب الاسكنـدر مشرقـة من مقدونيـا الى الهند ، وتناولت مصر · وامتدت حروب المغول غربا من قلب الصين الى أوروبا ·· لكن حروب الاسكندر وحروب المغول لما تكد تنتهي حتى تناثر عقد الامبراطورية التي نشأت بسلطانها وعادت الدول التي انتـظمها الغزاة الى نظامها الأول ·

أما الامبراطورية الاسلامية التي مدت لواءها في هذا الزمن القصير ، على هذا الجانب الكبير من العالم فقد استقرت قرونا امتدت اثناءها الى الاندلس ، وانتشرت في الهند · وأظلت جانبا من الصين ، وهي الى ذلك قد أقامت حضارة سادت شـؤون العالم كـل هذه القـرون ، فلما آن للامبراطورية الاسلامية أن تنحـل بقيت هذه الحضـارة تناضـل عن نفسها وهي اليوم تبعث من جديد ··

هذه هي المعجزة حقا !

وقد حاول كثيرون تأويلها والتماس أسبابها ، ولما يبلغوا من ذلك غاية يطمئن الباحث المنصف اليها كل الاطمئنـان ·· فاذا صـح ان كانت عبقرية الاسكندر الحربية سبب فتوحه العظيمة وأن تنسب فتوح جنكيز خان ونابليون الى مثل هـذه العبقريـة ، فمن العسير أن ينسب قيـام الامبراطورية الاسلامية الى عبقرية حربية من هذا القبيل !

ويمضي الدكتور هيكل في تحليله هذا ·· ثم يقول :

لابد اذن أن نلتمس لقيام الامبراطورية الاسلامية ولاستقرارها سببا غير السبب الذي أقام امبراطورية الاسكندر وغير الاسكندر من عباقرة الحرب ·· وان نلتمس هذا السبب ـ أو هذه الأسباب إن شئت تعبيرا أدق ـ عن طريق التحليل الاجتماعي لحياة العصر الذي قامت الامبراطورية الاسلامية فيه ، والعوامل الظاهرة التي أدت الى قيام هذه الامبراطورية واستقرارها ·

يذكر المؤرخون ان بعث النبي العربي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ودعوته هما اللذان اقاما هذه الامبراطورية وهذا تعليل صحيح لا ريب فقيام النبي العربي ـ بالدعوة الى الاسلام وانضواء جزيرة العرب كلها الى لوائه ، ذلك هو الذي دفع العرب الى ما وراء حدودهم ، وجعلهم يغنمون العراق والشام ··· ويغزون الامبراطوريتين الرومية والفارسية ·

استقرت الامبراطورية الاسلامية قرونا عديدة ·· فكيف استقرت كل هذه القرون نعم ·· يتساءل المؤلف : كيف استقرت ويتساءل : ما بالها لم تهب عليها ريح الفناء التي هبت على امبراطورية الاسكندر ، وعلى امبراطورية المغول ·

ثم يقول في الاجابة على ذلك : ليس تفصيل هذه الأسباب مستطاعا في مثل موقفي هذا ·· لكني أستطيع أن أجمل هذه الأسباب في سبب واحد ·· ذلك أن العرب لم يندفعوا الى الغزو ، تحركهم مطامع مادية صرفة ·· بل اندفعوا إليه مؤمنين بأن القدر ألقى عليهم رسالة ··· وأوجب عليهم تبليغها للناس كافة لخير الانسانية في مشارق الأرض ومغاربها وهذا الايمان هو الذي أقام الامبراطورية وهو الذي أبقاها ما بقيت من القرون ، فلما اضمحل هذا الايمان ، بدأ الانحلال يدب في أرجاء الامبراطورية ، يمزقها وينتهي بها الى مثل ما انتهت اليه الامبراطورية البيزنطية والامبراطورية الفارسية ·

لم تكن هذه الرسالة التي آمن العرب بأن القدر ألقى عليهم تبليغها

للناس كافة شيئا آخر غير رسالة الحرية والاخاء والمساواة ، في أسمى صورة يدركها العقل لمعاني الحرية والاخاء والمساواة ··

فإله الناس إله واحد ··

والناس متساوون أمام هذا الاله الواحد ، لا فرق بين عربي ولا عجمي إلا بالتقوى ، وهم إخوة في هذه **المساواة** يشد بعضهم أزر بعض ، وهم مع هذا الاخاء وهذه المساواة أحرار لا سلطان عليهم لغير الله ، أما وهذه المبادىء مقدسة ، فكل نظام يوضع للجماعة يجب أن يقوم على أساسها ··

المبادىء السامية سر القوة ··

انتشرت هذه المبادىء في شبه جزيرة العرب لعهد النبي العربي « صلى الله عليه وسلم » فحطمت في النفس العربية تقاليدها البالية التي أورثتها إياها عبادة الاصنام ·· وردت اليها هذه الحرية الروحية العزيزة على نفس العربي ، فاندفع الى الشام ، والى العراق مؤمنا بها ، وهناك على ضفاف دجلة والفرات ، وعلى ضفاف بردى ، وبين جبال لبنان الرفيعة لقى العرب نظاما اجتماعيا ، ونظاما سياسيا بلغا من الهرم والانحلال مبلغا صرف الناس عن التحمس لهما ، والدفاع عنهما لذلك لم تحرك فرق الجند من الفرس ومن الروم ، فكرة تدافع عنها في قتالها للعرب ·

فلما استقر المسلمون في البلاد التي فتحوها ، أقروا هذه المبادىء السامية بين أهلها ·· جعلوا التسامح الديني أساس حكمهم حيثما نزلوا ·· فلم يكرهوا أحدا من أهل البلاد المفتوحة على الاسلام ·· وأباحوا للناس من ألوان الحرية ما كان معروفا في ذلك العهد ··· واحترموا شعائر الجميع وعقائدهم وجعلوا العدل بين المسلم وغير المسلم أساس الحكم ··

فلما رأى الناس ذلك ، ورأوا المسلمين انفسهم يستمتعون من ألوان الحرية العقلية والحرية العامة ، بما لم يكن له وجود من قبل في بلاد الروم ولا في بلاد العرب ، كان ذلك داعيا لهم الى الدخول في الدين الجديد ، والتمتع بما قرره من مبادىء الحرية والاخاء والمساواة ٠

وقد كان للحرية العقلية ولحرية الرأي من القدسية ما يشهد به اجتهاد المشترعين والفقهاء في القرون الأولى ٠٠ ظلت الامبراطورية الاسلامية قائمة قوية ما جعلت هذه الرسالة الانسانية السامية غايتها ٠٠ ولقد كانت موشكة أن تنشىء على أساس من هذه الرسالة دولة عالمية تنتظم أمم ذلك العهد جميعا ، لكن دورة الفلك دارت فاذا الحرية انقلبت جمودا ٠٠ واذا الاخاء والمساواة يذبلان أمام سلطان الباطشين !

عند ذلك بدأ تدهور الامبراطورية وانحلالها ٠٠ ولم يكن ذلك عجبا ٠٠ ولحياة الانسانية فكرة ورسالة ٠٠ والحياة الانسانية القائمة على الفكرة مثمرة دائما موجهة ابناءها جميعا الى ألوان من النشاط تزيدها قوة وتدفع اليها كل يوم حيوية جديدة !

فاذا انطفأ نور الفكرة لم يبق للرسالة وجود ٠٠ وأن للحياة الانسانية أن يتوارى كل ما فيها من ضياء ، فلا يبقى منها إلا المظهر المادي ، أو المظهر الحيواني للوجود ! ولا قيام لامبراطورية على أساس من المادة ٠٠ ولذلك انحلت الامبراطورية الاسلامية لأن الرسالة التي آمن بها المسلمون الأولون توارت وراء الحجب !

افقدر لها أن تبعث من جديد ذلك ما أعتقده ، وعلمه عند ربي !

المبادىء الاساسية في الحكم

إن القواعد الجديدة التي جاء بها الاسلام لتنظيم السلوك والمعاملات ، كانت مقدمة لتنظيم سياسي لا مفر من استقراره ٠٠ وقد اطمأنت قواعده بالفعل شيئا فشيئا ٠٠ متأثرة بالبيئة وأحداث

التاريخ ، وفي مقدمة القواعد التي تأثر بها النظام السياسي للاسلام : الايمان بالله لا اله الا هو ، وبأنه وحده تجب له العبادة ، فقد أدى هذا الايمان الى تقرير قواعد المساواة والاخاء والحرية ، فالمؤمنون جميعا سواسية أمام الله ·· تجري عليهم جميعا سننه بالقسط لا تفرق بين أحد وصاحبه ولا فضل لعربي منهم على عجمي إلا بالتقوى وهم لذلك إنما يجزون بأعمالهم ان خيرا فخير ، وإن شرا فشر ، والناس إخوان يجب أن تقوم المحبة بينهم مقام القانون ·· فلا يكمل ايمان أحدهم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، والناس أحرار في كل شيء ··

كانت هذه هي المبادىء الأساسية في الحكم في العهد الاسلامي الأول ، وكانت لذلك واضحة الأثر في تطور نظام الحكم في بلاد العرب تطورا بدا للعيان اثر حروب الردة ·· وقد أكملت القواعد الاقتصادية والاجتماعية هذه المبادىء ·· وأسرعت بالنظام الاسلامي الى أن تنضج صورته ، وان يستقر ··

ويمضي المؤلف بعد وصفه هذا للصورة التي استقر عليها نظام الحكم الاسلامي في الصدر الأول ·· فيصف ما أعقب ذلك من أحداث ، وما تخلل هذه الأحداث من عوامل أجنبية مختلفة كان لها معظم الأثر في ما وقع من تفكك واختلاف ، وطبيعي أن ينشأ من ذلك أن تتغير تلك الصورة المثالية لنظام الحكم الاسلامي !

أثر الحضارة الغربية!

ثم يقول : ظل الأمر كذلك حتى بدأت الحضارة الغربية تظل العالم بنفوذها ، وتوقظ الراقدين من سباتهم ، وكان ذلك منذ النصف الأخير للقرن الثامن عشر المسيحي ·· ومن يومئذ بدأت الأمم الاسلامية تفيق شيئا فشيئا ، وينظر حكماؤها ومفكروها فيما آل إليه أمرها ، أحق أنها هوت إلى المنحدر الذي هوت اليه بسبب عقائدها ، أم بسبب نظام الحكم فيها ·

هذه امور تناولها اولئك الحكماء والمفكرون بالبحث والنظر ، وفيما كانوا ينظرون كان غزو الحضارة الجديدة يسير بأسرع من تفكيرهم ومن نظرهم وكانت نظم الحكم الغربية تنتقل مع هذا الغزو الى الأمم الاسلامية المختلفة ، وكان من المسلمين من يقول ان هذه النظم التي كفلت سبق الأمم الى مضمار الحضارة هي وحدها التي تتفق مع روح الاسلام وقوائم تعاليمه ٠٠

على أن أحدا من فقهاء المسلمين في العصر الحديث لم يتجه نظره الى تصوير الفكرة الاسلامية في الحكم تصويرا كاملا ، وتطبيق هذا التصوير على الأمم الاسلامية في هذا الزمن الذي نعيش فيه ٠

مبادىء أساسية في الحكم الاسلامي

ان الاسلام لم يضع للحكم نظاما مفصلا ، ولكنه وضع قواعد للسلوك في الحياة وللمعاملات بين الناس كانت مقدمة لنظام للحكم تطور على الزمان ٠٠ وتأثر اثناء تطوره بعوامل إسلامية اخرى خارجية ، تباينت ومبادىء الاسلام في بعض الأحيان أشد التباين وهذا الوضع الشاذ هو الذي ادى الى تدهور الامم الاسلامية بعد قرون معدودة من انتشار الحضارة الاسلامية في ربوع كثيرة من العالم ٠٠

ولئن لم يضع الاسلام للحكم نظاما مفصلا فقد وضع مبادىء أساسية لحضارة الانسانية ٠٠ والأساس الاسلامي للحضارة الانسانية روحي ٠٠ وعلى هذا الاساس الروحي يجب ان ينظم الانسان سلوكه في الحياة على مبادىء الاخوة والمحبة والبر والتقوى وعلى أساس هذه المبادىء يجب أن ينظم الحياة الاقتصادية للجماعة الانسانية ٠

وعلى هذا النمط من التحليل والتركيز يتابع المؤلف حديثه في هذا الموضوع ٠

ثم يمضي الى القسم الثاني من كتابه حيث يتناول حديثه الأماكن الدينية المقدسة في الشرق الأوسط فيعرض لها في إسهاب مفيد من ناحيتها التاريخية البحتة ، وقد تحدث في فصل من فصول هذا القسم عن الأماكن المقدسة الاسلامية : الكعبة المشرفة فالمسجد الحرام ومشاعر الحج ، ثم المسجد النبوي وأخيرا المسجد الأقصى .



دعوة إلى الإسلام

الدكتور محمد فاضل الجمالي

(١)

سياسي مرموق ، يعتبر في الطليعة بين السياسيين العرب في العصر الحديث ، خاض غمار السياسة ، واكتوى بنارها ٠٠ ومـارس شؤون الحكم ثلاثين عاما أو تزيد ٠٠ ولم يكن في امكان غالبية الناس أن يعرفوه سوى أنه فاضل الجمالي ، الرجل السياسي المرموق ٠

وللسياسة بريقها ٠٠ هكذا دواما ، فليس غريبا ـ إذن ـ أن تـظل أكثر نواحي هذا الرجل لا يكاد يذكرها الناس ٠٠

ليس غريبا الا يعرف أحد ٠٠ أو لا يذكر أحد أن فاضل الجمالي قبل أن يخوض غمار السياسة ، ويكتوى بنارها ، كان في بـلاده رجلا من الطراز الأول بين رجال التربية والتعليم ، بـل أكثر من ذلك ٠٠ ليس غريبا الا يعرف أحد ، أو لا يذكر أحد أن فاضل الجمالي الرجل الذي تلقى ثقافته العلمية في أرقى جامعات الغرب ، بـل وتوفـر له من هذه الثقافة ما لم يتوفر لغيره من آلاف المثقفين ٠٠ هذا الرجل هو في الوقت نفسه ، باحث إسلامي عميق ، ورائد من رواد الفكر الاسلامي ٠

والحق ان في هذا الكتاب : « دعوة إلى الاسلام » ما يغني عن أي كلام يمكن أن يقوله قائل عن مؤلفه الرجل السياسي فـاضل الجمـالي كباحث مطلع واسع الاطلاع ، واسع الأفق ، عميق النظرة في كل مـا يختص بالعقيدة ويختص بالاسلام ٠

وكتـاب (دعوة إلى الاسـلام) هذا ٠٠ لم يكن في الأصـل سوى مجموعة رسائل كان يبعث بها إلى ابنه بالجامعة الأمريكية ، عندما كان الأب معتقلا في عهد قاسم : العهد السابق في العراق ٠

وأي حديث يوجهه الأب إلى ابنه الطالب في رسائله في هذا الكتاب ؟ إنه حديث مركز لا يدع ناحية من نواحي العقيدة والشريعة والأخلاق في الاسلام إلا ويفيض فيها بأسلوب كله منطق ٠٠ وكله خبرة وعلم ، وكله عاطفة وإيمان ٠

يتحدث السيد الجمـالي في كتابـه هذا ٠٠ أو في رسـائله هذه عن الايمان ٠٠ أول ما يتحدث ، ثم عن القرآن الكـريم ، وأهمية الدين ، والتـدين ، والعلم والدين ، والعبـادات ، والنـظام ، الاجتمـاعي في الاسلام ، والمجتمع الاسلامي الصحيح ، ونظام الحكم في الاسلام ، والاسلام والأخلاق ، وأسلوب التربية الاخلاقية في الاسلام ، ثم العلاقة بـين الدين والدولة ، وخـطل اللادينيـة والعلمـانيـة ٠٠ وغيـرهـا ، وغيرها ٠٠

ولنستمع أولا ٠٠ إلى ما يقوله الدكتور الجمـالي في مقدمـة كتابـه الحافلة : ان عالمنا الذي نعيش فيه ، ولاسيما عالمنا العربي أخذ يبتعد عن الايمان بالله ، وعما يرافق هذا الايمان من توحيد ومحبـة وأخوة ورحمة ٠٠

ان التيـارات الغربيـة التي أخذت تسـرى بين ظهـرانينا ٠٠ وان الصراع الدموي بين الأحزاب ٠٠ والاستهتار بحياة الانسـان ، كلها تنبع من تربة لم تسق بماء الايمان ، ولا بروح الأخوة والمحبة والرحمة بين بني البشر ٠

ثم يقول : إن مشكلتنا هي مشكلة أخلاقية قبل كل شيء ، فلو توفرت الأخلاق الانسانية لما احتجنا إلى حرب طبقات ، ولما تفشت بيننا الأنانية والغرور والبغضاء والفساد ، والأخلاق لا تزدهر ولا تكون رصينة مؤثرة في الحياة الاجتماعية ما لم تستق من ماء الايمان : الايمان بالله خالق

الكون وواهب النعم ، فالايمان المؤسس على المحبة والأخوة والرحمة هو الذي يعطى الأخلاق والرحمة هو الذي يعطى الأخلاق قوتها الدافعة ، وهو الذي يوقظ في النفوس مخافة الله ومحبة الله ، فالغنى المؤمن يدرك أنه لا يملك ثروة لنفسه ، فثروته هي من الله ، ويجب أن تفيد عباد الله ٠٠ والفقير المؤمن يجب أن ينال حقه في الحياة كاملا غير منقوص ، لأنه عبد من عبيد الله ، إن الأنانية والفساد والغرور كلها أمراض أخلاقية منشؤها ضعف الايمان بالله ، وفقدان مخافة الله ٠٠

ويمضي في مقدمته للكتاب إلى أن يقول : شعرت وأنا واحد من الآباء بأني مقصر في تربية أبنائي تربية دينية وافية ٠ ذلك لأن المدارس التي درسوا فيها لم تزودهم بالتعليم الديني الكافي ، ولذلك شعرت بأن الواجب يحتم علي أن أعوض ولو بعض التعويض عن التقصير فبدأت بتحرير رسائل عن الاسلام لولدى عباس الطالب في الجامعة الأمريكية في بيروت ، وها هى أربع وعشرون رسالة في الاسلام حررتها إليه ٠٠ ثم أضفت إليها ملاحق ثلاثة : أولها رسالة مختصرة لولدي اسامة عن الحرية والمسؤولية في الاسلام وثانيها مذكرة كتبتها لشاب عزيز علي أبين له فيها رأيي في علاقة الدين بالدولة وخطل اللادينية والعلمانية ٠٠ وثالثها خطاب ألقيته في جمعية الشبان المسلمين في بغداد في عيد المولد النبوي الشريف قبل ثلاثين عاما ٠٠ وكل هذه الرسائل والملاحق تكون وحدة منسجمة ، هي أهمية الاسلام في عالم اليوم ٠ وضرورة التمسك بأهداب الدين إذا شئنا الفوز في الدنيا ، والنجاة في الآخرة ٠

شباب اليوم ٠٠ والدين

ونبدأ مع المؤلف الجليل في أولى رسائله هذه ٠٠ يقول فيها ـ بعد ديباجة الرسالة ـ مخاطبا ابنه عباسا : أعجبتني صراحتك وبساطة تفكيرك ٠ انك محق في قولك ان شباب اليوم أكثرهم لا يفكرون تفكيرا دينيا ٠٠ أنا أعلم ذلك ، ولكني أعلله بطغيان الحياة المادية وانتشار

الطمع والأنانية والكسل الفكري من جهة ، ومن الجهة الأخرى بجمود الحياة الدينية وتأخرها ، وجمود معلمي الدين ٠٠ وغرور بعض رجال العلوم الطبيعية وادعائهم أمورا هي خارج نطاق بحثهم وصلاحيتهم ٠٠ والحقيقة التي أضعها أمامك كما أراها أنا هي :

١ ـ ان الانسان السعيد الكامل لابد له من دين ومن نظرة كونية إيجابية ٠

٢ ـ ان الايمان بالله يتوصل إليه الانسان اما بطريق العقل أو العاطفة ، أو الالهام ، أو بها جميعا ٠

٣ ـ ان درجة الايمان وقوته تختلف باختلاف الأفراد ، فمن هداه الله إلى الايمان الصحيح ، يجد أن الايمان بالله هو أسمى غاية في الوجود ، وانه لا يتضارب مع العقل ، ولا مع العلم ، ولا الفن الجميل ، ولا السعادة البشرية ٠

٤ ـ إذا كان في العالم اليوم آثار من الانسانية والرحمة وحب الخير ، فهي من أصل ديني ، فالدين هو المنبع الذي يسقى شجرة الفضيلة والخير والحق ، وبضعف الايمان سوف تذبل هذه الشجرة وقد تموت لا سمح الله ٠

٥ ـ أنا أعتقد أن كل فرد يفكر في سعادة نفسه وأمته ، يجب أن يفكر على قدر استطاعته تفكيرا روحيا ٠٠ وكل من يدعي التناقض بين الدين الصحيح والعلم الصحيح فهو اما مخطىء أو جاهل ٠

٦ ـ اني أجد في روح الاسلام الخير العميم والسعادة الأزلية لشخصي ولأمتي وللانسانية جمعاء ٠

القرآن الكريم نور وهدى

وفي رسالة من هذه الرسائل يعلق على رسالة وردت إليه من ابنه يقول مخاطبا إياه :

ـ إنك وصفت تأثير تلاوة القرآن بالمسكن والمطمن للنفس ٠ وأنا أقول :

إن القرآن الكريم « نور وهدى وموعظة ورحمة وشفاء لما في الصدور ٠٠ احفظ الآيات التالية :

سورة التغابن (آية ٨) : « فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا والله بما تعملون خبير » ٠

سورة يونس (آية ٥٧ و ٥٨) : « يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين ٠ قل بفضل الله ورحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون » ٠

سورة الرعد (آية ٢٨ و ٢٩) : « الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب ٠ الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب » ٠

إن نجاحك في الامتحان يتطلب منك إيمانا صادقا ، إيمانا تستطيع به أن تطرد عن ذهنك كل المغريات والملهيات ، وتركز فكرك وجهدك في الدرس ، أي انك تحتاج إلى شيء من :

أ ـ التعبد الحقيقي الذي يساعد على صفاء الذهن ، والذي يستوحى النور والهداية من الخالق الأعظم ٠

ب ـ الجهد الكافي الذي يمكنك من السيطرة على الدرس بالتكرار ، وإعمال الفكر ، والملاحظة الدقيقة ٠

كم في الصيام من فوائد روحية

وفي رسالة أخرى يقول : إنني أكتب إليك الآن وقت السحور ، فهذا اليوم الثاني من رمضان المبارك ، لقد صمت بالأمس والحمد لله وكنت مرتاحا تماما ، وأرجو أن أوفق إلى أداء فريضة الصيام بالصحة والسلامة ، ولا تدرى كم في الصيام من فوائد روحية ونفسية واجتماعية وجسمانية ٠ وفي الحقيقة انه درس في الربط الروحي والارادي والاجتماعي والجسدي ٠ فهنيئا للمسلمين الصائمين في رمضان ٠٠ الخ ٠

ويتحدث عن أهمية الدين في رسالة من هذه الرسائل فيقول : إن الفرد في هذا العالم المملوء بالتقلبات والمصاعب والمصائب يشعر بطمأنينة نفسية ·· ويشعر بأن له سندا قويا ، وملجأ حصينا ، إذا كان مؤمنا إيمانا عميقا ، إذ يشعر أن للكون الها يعني به ويشمله برحمته ولطفه ، كما يغمره بنعمه وآلائه ·· فالمتدين الحق يدرك أن للكون الها هو مصدر الخير والبركة ، ومرجع أسمى للجمال والنور ·· والرجل المؤمن يكون سعيدا ، شجاعا ، مقداما ، مهما اعتراه من مصائب ومصاعب ·· بعكس الملحد الذي يستولى عليه اليأس والقنوط ، ويعلن الافلاس الروحي أمام النكبات ، وذلك لأنه لا يعرف للحياة قيمة ولا معنى خارج وجوده الحيواني ولذلك نشاهد في هذا الزمان تفشي الحالات العصبية بين من تضعف فيهم الروح الدينية ، الأمر الذي قد يؤدي إلى الجريمة والانتحار ·

حاجة البشرية إلى إيمان صحيح

ويقول في رسالة أخرى : انى أعتقد أن البشرية اليوم هي أحوج ما تكون إلى إيمان صحيح شامل ، يوجهها نحو الخير على أساس الوحدة والأخوة والمحبة بين الأفراد والشعوب ، فالبشرية تحتاج إلى جانب الطعام والملبس والمسكن وفرصة العمل : الايمان المطمن للنفوس ·· الايمان الذي يغذي الأمل والرجاء ·· ويدفع إلى الابداع والبناء ·

هذا وإني أعتقد بأن الدين الاسلامي وما حواه من فكرة ناصعة للتوحيد ، ومن واقعية ومثالية ، جدير بأن يكون دين الانسانية جمعاء ·

إني أعتقد أن الايمان هو أثمن شيء في الحياة ·· وأن الانسان لا يكون إنسانا كاملا ما لم يكن مؤمنا ·· يملأ قلبه الرحمة وحب الخير ·· وحب الحق والجمال · وما العقل ، وما العلم ، وما التقدم المادي إلا وسائل يجب أن توضع في خدمة الايمان بالله ، الذي هو مصدر كل هذه النعم على الانسان ·

إني مؤمن بالبعث

ويتحدث في رسائل عديدة أخرى عن الاسلام والمذاهب الفلسفية ، وعن الأدلة على وجود الله وعن ذات الله ـ سبحانه وتعالى ـ وصفاته ، ثم عن الايمان بالبعث واليوم الآخر ٠٠ وفي ذلك يقول : إني مؤمن بالبعث بعد الموت ، وبالحساب في اليوم الآخر ، وليس عندي دليل حسي على ذلك ٠٠ ولكن إيماني هذا تابع لايماني بالله وحكمته وعدله ٠٠ فان عقلي يحدثني بأن ليس من اللائق بأن تنتهي حياة الانسان القصيرة على الكرة الأرضية ، وينتهي معها كل شيء ، فلابد هناك من حياة أخرى يجني فيها الانسان ثمار ما يغرسه في هذه الحياة ٠

ثقافتي الغربية لم تضعف قواعد إيماني ومعتقداتي

وفي احدى الرسائل يشير إلى الهدف من كتابته لرسائله هذه فيقول مخاطبا الابن : ٠٠ أما عن كتابتي لك فهي تخدم غرضين أساسيين ، الأول : هو تعريفك بوجهة نظري وأفكاري في الشؤون الدينية التي لم أستطع فيما مضى أن أعرفك بها بصورة منتظمة ، ومن واجبات الأبوة أن أعرفك بتراث أمتنا الروحي ، والهدف الثاني هو وجود فرصة لي لارتب أفكاري التي أعيش فيها منذ نشأتي الأولى ، وخلال أكثر من أربعين سنة من احتكاك بالحياة الحديثة ، وأستطيع أن أقول لك بأن ثقافتي الغربية لم تضعف والحمد لله قواعد إيماني ومعتقداتي ، بل بالعكس فكلما توغلت في الدراسة النظرية والعملية ٠٠ ثبت لدى أكثر فأكثر صحة معتقداتي الأساسية ولاسيما إيماني بالله تعالى ورسالة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام ٠

قلت لك ان الدين الاسلامي يحتوى على عقائد وفرائض ونظام اجتماعي وأخلاقي ٠٠ وقد أشرت في مكاتيبي الأخيرة إلى أسس العقائد والفرائض بايجاز كلي ، وها أنا أتناول النظام الاجتماعي في الاسلام ٠

في التشريع الاسلامي ثروة عظيمة

● جاء التشريع الاجتماعي الاسلامي في مجتمع متأخر ، فكان كثورة اصلاحية اجتماعية خطيرة ·

● التشريع الاسلامي واقعي ، عملي ، تطوري ، فهناك بعض الأحوال الاجتماعية لا يمكن تبديلها بين ليلة وضحاها،فلذلك نجد قواعد وتشريعات جاء بها الاسلام لو طبقها المسلمون بدقة لاستمر مجتمعهم على التطور والتقدم ·

● في التشريع الاسلامي ثروة عظيمة ، وتفكير عميق ، يفوق في ثروته أي تشريع آخر عرفته البشرية ، ولقد شهد بذلك كثيرون من مشرعي الغرب ·

● إن الاجتهاد في التشريع إذا قام به علماء دين يفكرون تفكيرا عصريا ويدرسون العلوم الحديثة هو وسيلة لنمو ورقي المجتمع الاسلامي ·

● إن جمود المسلمين وتأخرهم سبب تسلط الاستعمار الغربي عليهم ، وهذا مما زاد في تفسخهم وجمودهم ·· أما اليوم فقد تحررت معظم البلاد الاسلامية ، فالمجتمع الاسلامي معرض لغزو عقائد مادية ظاهرة جذابة ، وفي باطنها العذاب ، ولذلك يحتاج المسلمون في نظري إلى عقد مؤتمر من كل أقطارهم يجمع بين علماء الدين ورجال الفكر الحديث ليتشاوروا في وضع قواعد جديدة لانعاش المجتمع الاسلامي ، واعادة الحيوية إليه ·

نظام الحكم في الاسلام

إن نظام الحكم في الاسلام مؤسس على الايمان بالله ، وتقوى الله باتباع أوامره وتجنب نواهيه الواردة في القرآن الكريم ، وسنة النبي صلى الله عليه وسلم ، ومن أهداف نظام الحكم تأمين مجتمع :

١ ـ تسوده الرحمة والمحبة والأخوة والمساواة بين الأفراد ·

٢ ـ يسوده الحق والخير ·
٣ ـ تتجلى فيه الوحدة الروحية ·
٤ ـ تعالج فيه الخلافات التي تضعف الكيان بالحسنى ·
٥ ـ يسوده الأمن والطمأنينة للأفراد من الداخل وللمجموع من الخارج ·
٦ ـ تضمن فيه الكفاية المعاشية لكل فرد ·
٧ ـ تضمن فيه العدالة التامة في الحكم للجميع دون تحيز أو محاباة ·
٨ ـ يقتص فيه من المجرمين ، ويحمى المجتمع من المعتدين والمستغلين استغلالا فاحشا ·
٩ ـ ينشر فيه العلم والفضيلة ويكافح الجهل والرذيلة ·
١٠ـ ينشر الدعوة الاسلامية بين الشعوب غير المسلمة ، وهذا يتطلب من المسلمين أن يكونوا قدوة حسنة كأفراد وكمجموع لغيرهم من الشعوب ·

وبعـــد :

فيبدو أننا مضطرون الآن ·· أن نقف عند هذا الحد من رسائل المؤلف ، في كتابه « دعوة إلى الاسلام » ·

مضطرون ·· لأنه ليس في الامكان ·· أوليس من الحق أن يستأثر بأكثر من صفحة كتاب الاسبوع ··

وإذن ·· فليس لنا ما نرجوه إلا أن نحاول في الصفحة المقبلة إن شاء الله أن نستوفي الالمام بأهم ما اشتملت عليه هذه الرسائل من موضوعات أخرى ·



دعوة إلى الإسلام

الدكتور محمد فاضل الجمالي

(٢)

مرة أخرى ، مع الدكتور الجمالي في كتابه هذا : « دعوة إلى الاسلام » !

انه يتابع حديثه في رسالة أخرى من رسائله الى ابنه بالجامعة الأمريكية عن النظام الاجتماعي في الاسلام !

وهو يبدأ رسالته هذه معلقا على رسالة يشير فيها الابن الى الامتحان فيقول الأب : أنا اشترك معك في عدم الاكتراث بالامتحان ليلة الامتحان ، فان كنت قد سعيت خلال السنة ، فلا خوف عليك ، وان كنت مهملا خلال السنة فما تأثير الاهتمام ليلة الامتحان ؟ برودة الدم أفضل علاج للامتحان ! هذا على شرط تنظيم الحياة اليومية ، واعطاء الدرس ما يتطلبه من الوقت يوميا ٠٠ ها أنا أستمر على بحث الاسلام كنظام اجتماعي ٠

قيمة الفرد في الاسلام !

ان المقياس الذي يقاس به أي نظام اجتماعي من حيث رقيه أو انحطاطه ، هو نظرته إلى الفرد ، فهل للانسان قيمة في النظام

الاجتماعي ؟ وهل الفرد محترم ؟ أم أنه آلة صماء مسخر ، لا حرية له ولا ارادة ٠٠ ان الدين الاسلامي يكرم الفرد ، ويعتبره خليفة في الأرض ، فيما اذا عرف الانسان واجبه ، فقام بأدائه على الوجه المطلوب ٠٠ ان الله سبحانه وتعالى حين خلق آدم قال : « وإذ قال ربك للملائكة انى جاعل في الأرض خليفة ٠٠ » « البقرة ٣٠ » ثم اقرأ معي الآية « ٧٠ » من سورة الاسراء : « ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ، ورزقناهم من الطيبات ، وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » ثم اقرأ : « وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ، ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما أتاكم » ٠٠ « الأنعام ١٦٥ » ٠

والمسؤولية في الاسلام فردية وجماعية فكل منا مسؤول عن نفسه ، وعن أعماله كما أنه مسؤول عن صلاح مجتمعه بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر « وكل انسان الزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا ، اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ، من اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها ، ولا تزر وازرة وزر اخرى ، وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ، واذا أردنا أن نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا » « الاسراء ١٣ ـ ١٦ » ٠

ويواصل المؤلف في هذه الرسالة حديثه عن عناية الاسلام بالعائلة واعترافه بكيان المرأة وتقديسه لروابط الزوجية وروابط الأبوة والبنوة ، ويختم رسالته بآيات بينات من القرآن الكريم ، ثم يتابع حديثه في رسالة أخرى في الموضوع نفسه فيقول :

النظام الاجتماعي في الاسلام يمكن رسمه في صورة ذهنية وأهم ملامحه :

(١) الطمأنينة النفسية الناتجة عن الايمان بالله ٠

(٢) التقوى ٠

(٣) عمل الخير ·
(٤) التآخي ·
(٥) التعاون ·
(٦) العدل والانصاف ·
(٧) الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ·
(٨) تأدية الأمانة ·
(٩) السعي في الحياة ·
(١٠) التمتع بنعم الخالق دون اسراف واضرار بالصحة ·
(١١) الاحسان والانفاق ·
(١٢) الاستعداد للدفاع عن الكيان الاسلامي ·

ان الاسلام كنظام اجتماعي يجمع بين الروح والمادة ، وبين المثالية والواقعية ، وانه نظام انساني عملي تسوده روح الأخوة والعدالة والتضحية ، وعدا هذه النواحي الايجابية فان الدين الاسلامي يحمي المسلمين من الانهيار الفردي والاجتماعي وذلك بأن وضع قواعد وقائية فحرم الأمور الخطيرة التي تؤدي الى الضرر المحتم بالفرد والمجتمع مثل :

(١) الشرك بالله ·
(٢) محاربة الدين ونشر الضلال والفساد ·
(٣) القتل الاعتدائي ·
(٤) أكل مال الغير ·
(٥) الانتحار ·
(٦) الزنا ·
(٧) الربا الفاحش ·
(٨) كتم الشهادة ·
(٩) أكل الميتة ولحم الخنزير ·

(١٠) شرب الخمر والقمار ٠٠ فهذه كلها محرمة في الاسلام ٠

وفي رسالة أخرى يتحدث حديثا مسهبا عن الحياة الاقتصادية في الاسلام يقول في آخرها : في المجتمع الاسلامي يجب الانفاق ثم الانفاق ثم الانفاق ! فالانفاق يجب أن يكون من أول واجبات المسلم ، فما عدا الخمس والزكاة ـ وهما من الفرائض ـ يؤكد القرآن الكريم على الصدقة والاحسان والانفاق في سبيل الله ، وفي المشاريع الخيرية ٠

● يجب اقراض المحتاجين ومساعدتهم دون ربا ٠٠ فاستغلال المحتاجين وتحميلهم فائضا فاحشا لقاء الدين يحرمه الاسلام !

● البخل من جهة والاسراف من الجهة الأخرى ممنوعان في الاسلام !

● في الاسلام مجال واسع للتشريعات المالية التي تماشى التطور الاقتصادي والاجتماعي وتضمن الخدمات العامة اجتماعية كانت ، أم صحية ، أم دفاعية !

اسلوب الحكم في الاسلام

وماذا عن أسلوب الحكم في الاسلام ؟

يقول الدكتور الجمالي : ان العالم اليوم يتخبط بين نظم ديكتاتورية صارمة وبين نظم ديمقراطية ، قد تسف الى الغوغائية والفوضى الاجتماعية ٠٠ أما الاسلام فلم ينص على قالب معين للحكم ، بل ترك الأمر لما يستقر عليه رأي المسلمين وحالهم ، ولكنه في الوقت نفسه يشجب الديكتاتورية كما يشجب الغوغائية ٠

فالاسلام يضع :

(١) مبدأ الشورى ف الحكم وهو لب الديموقراطية الحقيقية ٠٠ والاسلام عن طريق الشورى يستطيع نصب جهاز حكومي يتصف بالنزاهة المطلقة والتجرد ، وضبط النفس مع العطف والرحمة واللين من جهة ، والصرامة في احقاق الحق من جهة اخرى ٠

والاسلام يتطلب من المسلم أن يساهم في تأمين النظام العام ، وذلك باطاعة أولى الامر وهذه يجب أن تكون طاعة منبثقة عن ايمان بالحق والعدل ، وليس عن خوف من سلطة ، قال تعالى : « فبما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر ... » « آل عمران ١٥٩ » .

الاخلاق والحياة الروحية !

وفي رسالة من هذه الرسائل يتحدث عن علاقة الأخلاق بالدين يقول فيها : نقطة جوهرية أود أن أمسها هنا مسا خفيفا ، وهي علاقة الأخلاق بالدين ، وهل من الضروري أن يتدين الانسان ليكون من أهل الخير والصلاح والحق ، فالماديون يقولون : حسن الوضع المادي للانسان يصلح أخلاقه .. أما الاسلام فيقول : اصلح الاخلاق يصلح الوضع المادي .. مع اعترافي بالترابط بين الخلق والمادة أقول : الخلق قبل المادة ، والارادة قبل العمل ، لقد ثبت فشل الفلسفة المادية المجردة عن الدين في تقويم الاخلاق في التجربة السوفيتية في الأربعين سنة الأخيرة ، مما اضطر السوفييت مؤخرا الى تشريع أحكام الاعدام على من يسرقون أموال الشعب ويتلاعبون في الانتاج الصناعي والزراعي ، فالشيوعية لم تفلح لحد الآن في دعواها بأن النظام الاقتصادي وحده كفيل باصلاح النظام الاخلاقي ، فعلاقة الأخلاق بالدين هي علاقة حيوية في رأيي .. ذلك لأن الدين يحرك عاملا داخليا نفسيا في عمل الخير .. أما الفلسفة المادية فتعتمد على عوامل خارجية تتطلب المراقبة المستمرة والتجسس ، ولا يعني هذا أن ليس هناك اشخاص ذوو اخلاق نزيهة غير متدينين ، ولكن هؤلاء هم الأقلية النادرة ، وتنتهي حياتهم باليأس والقنوط عادة ، اذن فالدين ضروري لسعادة الانسان وحياته الاخلاقية !

وضع الاسلام في عالم اليوم

ويتحدث في احدى الرسائل عن وضع الاسلام في عالم اليوم ·· فيقول : ان التيقظ السياسي في العالم الاسلامي الحديث ادى الى استقلال اكثر من عشرين دولة اسلامية ·· فمعظم الاقطار الاسلامية مستقلة سياسياً اليوم · وان كان معظمها ضعيفا حديث عهد بالاستقلال ، وفي العالم اليوم ما يقارب الخمسمائة مليون مسلم ، معظمهم غير متعلمين ولا يعرفون عن دينهم الشيء الكافي ، وأما المتعلمون فمعظمهم لم يدرسوا دينهم دراسة وافية حتى ان بعضهم تنكروا لدينهم ·· اذن فنستطيع القول بأن اكثرية المسلمين لا يعرفون الاسلام ، ولم يدرسوا القرآن دراسة تفهم وتمعن ، فالاسلام يكاد يكون غريبا بين المسلمين ، والقرآن الكريم قلما يتلى ، وان تلي قل أن يفهم ·· « وقال الرسول يا رب ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا » « الفرقان ٣٠ » فالمجتمع الاسلامي متخلف في تفهم العقائد الاسلامية ، وفي أداء الفرائض ، وفي اتباع أحكامه الشرعية · وفي التخلق بالاخلاق الاسلامية السامية ، وسبب ذلك يرجع الى نقص في الثقافة العامة ، وفي الثقافة الرسمية ·· فالبيت والمدرسة ورجال الدين والزعماء والقادة كلهم مسؤولون عن تربية المسلمين تربية اسلامية صحيحة ، ولكنهم في الغالب مقصرون في ذلك ·

● تيقظ المسلمون فوجدوا أنفسهم أمام خصوم الداء في الداخل والخارج ، أما في الداخل فهم يجابهون الشبيبة التي تدعي بأنها مثقفة ، وهي لا تحمل من الثقافة أكثر من طلاء خارجي ، ولا تنسى جمود اكثرية المسلمين وجهلهم ، ووقوعهم أحيانا فريسة لدعايات ضالة ومضللة ، يقوم بها حملة مبادىء وافدة تنسف كياننا الاسلامي من الأساس ·· أما من الخارج فالاسلام يخاصم الاستعمار الغربي والصهيونية والشيوعية ·

● اعتبر الغرب الاسلام خصمه اللدود منذ أول ظهوره ·· وكان يخشى استيلاء المسلمين على أوربا كلها ··

لاشك في أنك قرأت شيئا عن الحروب الصليبية التي شنها الغرب على المسلمين ، ان هذه الحروب جاءت بعد افتتاح المسلمين لأقطار مسيحية شاسعة ، وهذه الحروب بين الطرفين لم تنقطع حتى نهاية الحرب العالمية الأولى ·· ثم ان المبشرين المسيحيين حاولوا كثيرا نشر الدعايات المغرضة ضد الدين الاسلامي ، وضد النبي محمد صلى الله عليه وسلم بالذات ·

إسرائيل أسوأ ما تركه الغرب من التراث

لاشك في أن أسوأ ما تركه الغرب من تراث حين سيطر على العالم هو اسرائيل الدولة الصهيونية المعتدية ، فهذه الدولة اللقيطة هي من تراث الغرب مباشرة ، ولولاه لما كانت ·· ولاشك في أن وجود اسرائيل في الوقت الذي يشرد فيه أبناء فلسطين الشرعيون هو اعظم تحد للمسلمين جميعا ·· فلن يستعيد المسلمون كرامتهم وشرفهم حتى يرجع الحق الى نصابه في فلسطين !

الشيوعية دين مادي واسلوبها عنيف !

الشيوعية هي أعظم خصم خارجي - داخلي للدين الاسلامي ، فالشيوعية دين مادي لا يعترف بالخالق الأعظم للكون ، ولا يعترف بالحياة الروحية ، وأسلوبها عنيف وهي تسيطر على الجماهير بالاغراء وبالعنف معا ·· وهي لا تعترف بحرية الفرد وكرامته بل على الفرد أن يخضع لسلطة عليا هي سلطة الحزب ، وقد تتمركز في يد فرد ·· أو أفراد قلائل يقودون الحزب ، كل ذلك باسم الحرية والعدل ومكافحة الاستغلال ، ولكنها هي الاستغلال للفرد بأقسى معانيه !

انتشار الدين الاسلامي في عالم اليوم
بالرغم من ضعف حال المسلمين وقوة خصوم الاسلام !

بالرغم من ضعف حال المسلمين وقوة خصوم الاسلام ، فان الدين الاسلامي ينتشر اليوم في العالم بالطرق السلمية بشكل يدعو الى الدهشة والاعجاب ! فقد ورد في جرائد ومجلات انكليزية وأمريكية أن عدد المسلمين في افريقية قد زاد في العشر سنوات الأخيرة أكثر من عشرة ملايين ، كما أنه ينتشر تدريجيا في الشرق الأقصى وفي أوروبا وأمريكا ٠

مستقبل الاسلام !

اننى أعتقد أن للاسلام مستقبلا زاهرا في هذا العالم الذي تتصارع فيه العقائد والمبادىء ، فهو يحمل كل امكانيات الرقي والتطور للانسانية ، كما أنه دين عملي واقعي ، ولكن تحقيق ذلك يتوقف على مايلي :

(أ) أن يقوم في المسلمين علماء يفسرون الاسلام تفسيرا واقعيا حديثا يأخذ بعين الاعتبار العلم الحديث والتيارات الاجتماعية المعاصرة ، ان بعض من يعالجون القضايا الاسلامية يندفعون وراء الآراء والمبادىء الغربية جزافا ٠٠ والبعض الآخر يجمد كثيرا على الآراء والقوالب القديمة التي ليست من جوهر الدين في شيء ، فما نريده هو علماء يدرسون الدين الاسلامي من منابعه الأصلية الصافية ، وفي الوقت نفسه يعرفون التيارات الفكرية والاجتماعية الحديثة فيطبقون الدين الاسلامي على واقع الحياة الحديثة ٠

(ب) قيام المسلمين بتثقيف شعوبهم ثقافة اسلامية صحيحة ٠٠ والعناية بتدريس القرآن الكريم والاستفادة من تعاليمه في الحياة اليومية بصورة عملية !

ومما يذكره المؤلف من هذه العوامل أيضا : ان تنشأ منظمات اسلامية مركزية علمية واجتماعية ودينية ، يشترك فيها قادة الفكر من مختلف الاقطار الاسلامية ، ليتدارسوا شؤون المسلمين ·· ويضعوا الخطط للترابط والتعاون بين الاقطار الاسلامية ، ثم انشاء مجلس أعلى يكون مركزا لرابطة الشعوب الاسلامية !

العلاقة بين الدين والدولة وخطل اللادينية والعلمانية !

ومن المعروف والمشاهد في هذا العصر اتجاه اكثر دول العالم الى فصل الدين عن الدولة ·· وهو ما يسمى « العلمانية » وقد بدأ هذا الاتجاه في الغرب بسبب ظروف خاصة نشأت في أوروبا نتيجة صراع طويل فيما بين الكنيسة وبعض حكومات أوربا ، وفي هذا الصدد يتحدث المؤلف في أحد ملاحق الكتاب فيقول : لا يجوز في نظرنا عزل الدين عن الدولة ·· إن عزل الدين عن الدولة بدأ في ظروف تاريخية خاصة في أوروبا حين كان الصراع بين الكنيسة وبعض ملوك أوروبا صراعا عنيفا ، وحين كان الصراع بين الطوائف المسيحية الواحدة مع الأخرى يسبب حروبا دموية تدوم عشرات السنين ، ويمضي المؤلف في شرحه لهذه الملابسات ·· ثم يضيف :

نحن لا نعتقد بأن العلمانية حققت أهدافها في البلاد التي طبقت فيها ، بل وقعت في تناقضات واضحة ·· ولاسيما في حقل التعليم !

ولئن كانت العلمانية لا تلائم الشعوب الاسلامية بصورة عامة ، فانها لا تلائم الأمة العربية بصورة خاصة ·· وذلك لأن الأمة العربية هي مدينة للاسلام في تكوينها الحاضر ، ويجب أن تكون حاملة رسالة الاسلام الى الانسانية جمعاء ·· فالفصل بين الدين والدولة معناه تجرد الحكومة العربية من أهم مقوماتها القومية ، فالأمة العربية منفصلة عن الاسلام وعن رسالته ·· تصبح كجسم منفصل عن حياته وعن

روحه ٠٠ والفصل هذا يجعل من الجسم قشرا فارغا لا لب فيه ٠٠ وما أسهل دخول المبادىء الوافدة على اختلاف أنـواعها لتمـلأ الفراغ في القشر الفارغ !!

وفي خطابه الذي القاه في جمعية الشبان المسلمين في بغداد وجعله اخر ملاحق هذا الكتاب يخاطب الدكتور الجمالي الشباب قائلا :

ـ لم تكن دراسة شخصية النبي العربي صلى الله عليه وسلم في أي دور من أدوار التاريخ الاسلامي الزم منها لحياة الأمة منها اليوم ٠٠

ويقول : نظرة الى حالة الاسلام والمسلمين تنبئنا بأن شقا واسعـا وهوة سحيقة بين الاسلام والمسلمين اليوم ، فمنـذ تشاغـل المسلمون وتماهلوا في تفهم حقيقة دينهم وروحيته ، بل منـذ تركـوا لباب الدين ظهريا ، واهتموا بالزخارف ٠٠ فاكتفوا بالتقاليد والخـرافات ، ومنـذ صاروا يسمون الجمود وضيق الفكر تدينا وبكلمة واحدة : منذ صاروا يعيدون تمثيل أدوار الحيـاة الجاهليـة ٠٠ تلك الحياة التي حـاربها الاسلام بكل قواه ٠

أصبح الاسلام بواد ٠٠ والمسلمون بواد ، لا يدرك أحد كم أساء المسلمون إلى سمعة دينهم إلا الذين يحتكـون بالأجـانب ، ويسمعون أحكامهم القاسية بحق الاسلام ٠٠ تلك الأحكام غير المنصفة والمنبعثة عن أغراض ومقاصد شتى ، ساعدهم على ابدائها تصـرف المسلمين وسلوكهم ٠ تصـرفا وسلوكـا بعيـدين عن جـوهـر الدين الاسـلامي الحنيف !

ويمضي في خطابه هذا الى الشبان المسلمـين متناولا المـوضوع من جوانبه العديدة في نحو عشر صفحات وكـان هذا الخـطاب قد القـاه الدكتور الجمالي بمناسبة ذكرى المولد النبوي قبل ثلاثين عاما ، كمـا أشار الى ذلك في مقدمة الكتاب ٠

قادة فتح الشام ومصر

اللواء الركن / محمود شيت خطاب

هذا هو الجزء الثالث من سلسلة قادة الفتح الاسلامي التي يوالي الباحث الفاضل اللواء الركن « محمود شيت خطاب » اخراجها من سنوات وقد تناول بالبحث في هذا الجزء سيرة ستة عشر قائدا عظيما حملوا راية الاسلام خفاقة إلى بلاد ظلت لمئات السنين يحكمها القهر ، وتعشش فيها الفوضى ، ويسودها الظلم والاستبداد ،

يتحدث المؤلف الفاضل في هذا الجزء عن « أسامة بن زيد » و « أبي عبيدة » و« الزبير بن العوام » و« عبادة بن الصامت » و« عقبة بن عامر » و« عكرمة » و« معاوية بن أبي سفيان » وأخيه يزيد وغيرهم ·

ويمهد للكتاب بحديث موجز مستوعب عن أرض الشام ومصر وليبيا في ظلال الحكم الروماني يقول فيه ·

« كان الرومان في أرض الشام وغيرها يعدون البلاد وأهلها وهم العامة ملكا لهم يتصرفون بهم كما شاءوا ·· وكان الفلاحون في كثير من البلاد يعدون من توابع العقار ، فينقل العقار من مالك إلى آخر وفلاحوه وكان بعض سكان البلاد يحاولون التقرب الى الروم بالصناعة أو الأدب أو التجارة وهم قليلون فكان الناس طبقتين :

طبقة الخاصة وهم الملك وأهله وأعوانه ، ورجال الدين ، والعامة وهم أهل البلاد الأصليون واكثرهم الفلاحون والعمال »

ثم يقول : « لقد كانت علل الفناء قد اصطلحت على بناء الدولة الرومانية الشرقية قبيل ظهور الاسلام وفي أيام النبي صلى الله عليه وسلم ، وكانت تلك الدولة تعيش في محنتين ماحقتين : محنة العقيدة ، ومحنة النزاع على الملك والولاية ٠

فقد ضرب المثل بالجدل البيزنطي في التاريخ القديم والحديث من جراء الخلاف على المذاهب الدينية في الدولة الرومانية الشرقية ، وكان معظم ابناء الولايات من النساطرة واليعاقبة يخالفون مذهب الدولة الرسمي ويمقتون رجاله ويرمونهم بالهرطقة والوثنية ٠ »

ويواصل المؤلف حديثه حول هذه الفترة من تاريخ الشام ومصر في ظل الحكم الروماني ٠٠ إلى أن يقول : « كان رد الفعل في محنة العقيدة ومحنة اختلال الملك والسلطان ظاهرا غاية الظهور في الجيش الروماني : ارتباك في القيادة ، واضطراب في الأهداف ، وإخلال في الضبط ، وفساد في القضايا الادارية ٠

وفي تلك الأيام كان النبي الكريم صلوات الله وتسليمه عليه قد استطاع بفضل رسالته أن يخرج العرب من جاهليتهم التي جعلت دولة الروم تنظر اليهم دائما على أنهم جنس قليل الخطورة ، متخبط في نظمه الجاهلية بما فيها من أحقاد وتراث وغارات وطعان ٠

في تلك الأيام أخذ يفوح شذا الدعوة الاسلامية بالكتب التي بعثها الرسول صلى الله عليه وسلم الى « هرقل » و« المقوقس » وغيرهما من قادة العالم ، فلم تقدر دولة الروم تلك الدعوة التي وصلتها ولم تدرك ما انطوت عليه من عقيدة جليلة سوف تزلزل أركانها ، كما لم تعر موطن العقيدة الاسلامية اهتماما لأنها لم تتصور أن بلاد العرب سوف تصبح بفضل تلك العقيدة وحدة لها خطرها ونفوذها ٠٠

ثم يقول المؤلف :« وقد كان الرسول القائد على رأس الحماة القادرين الذين خططوا للفتح الاسلامي فهو الذي رسم بنفسه الخطة التمهيدية التي حملت الجيوش العربية على فتح « أرض الشام » وتأسيس أول

ركن في دولة الاسلام خارج بلادهم على شواطيء البحر الأبيض الشرقي وذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم إلى جانب تبليغه الدعوة الاسلامية إلى قادة العالم في وقته كان قائدا ماهرا يقظا لايغض الطرف عن أي مظهر عدواني قد يحط من شأن دعوته أو يعمل على النيل منها فلم يقف ساكنا إزاء استشهاد رسوله الذي بعثه إلى أمير الغساسنة في « بصرى » فأرسل في السنة الثامنة للهجرة (٦٢٩ م) أحد قادته المقربين اليه وهو (زيد بن حارثة الكلبي) على رأس حملة عددها ثلاثة آلاف رجل إلى الحدود الشمالية الغربية من بلاد العرب وهناك عند (مؤتة) الواقعة على حدود (البلقاء) إلى الشرق من الطرف الجنوبي للبحر الميت التقى المسلمون بقوات الروم ·

« وفي العام التالي أي في السنة التاسعة للهجرة (٦٣٠م) قاد النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه غزوة تبوك فأظهر قوة المسلمين وعاد إلى المدينة ·

« وفي السنة الحادية عشرة للهجرة (٦٣٢م) أعد النبي صلى الله عليه وسلم جيشا بقيادة أسامة بن زيد لمهاجمة الروم ، غير أن النبي صلى الله عليه وسلم توفي في ربيع الأول من تلك السنة (كانون أول ٦٣٢م) قبل تحرك ذلك الجيش فترك لخلفائه خطة واضحة المعالم وولى وجوههم شطر قبلة عينها لهم وهكذا وقف الرسول القائد بثاقب نظره على أن أشد الأخطار التي يمكن أن تحل ببلاد العرب وتناوىء دعوته إنما موطنها (أرض الشام) حيث الروم وعمالهم الغساسنة ، وقد أثبتت حوادث الفتح الاسلامي في أرض الروم صدق هذه الاشارة ، فكان الروم أشد المحاربين عنادا ·

فماذا عمل أبو بكر رضي الله عنه لتحقيق أهداف النبي صلى الله عليه وسلم وكيف سار قدما نحو انجازها ؟

وماذا عمل عمر بن الخطاب ومن بعده عثمان بن عفان رضي الله عنهما لتحقيق تلك الأهداف ؟

ومن هم أولئك الحماة القادرون الذين حملوا رايات العرب والاسلام شرقا وغربا في (أرض الشام) ومصر وليبيا ؟

هذا ما يتحدث عنه المؤلف في هذا الجزء من الكتاب ··

وهو ينتقل بعد هذا التمهيد إلى الحديث عن أبطال الفتح في تلك الرقعة الشاسعة من الوطن الاسلامي وأولهم « أسامة بن زيد الكلبي » القائد الذي هاجم الامبراطورية الرومانية وجرأ العرب على مهاجمتها ·

يذكر لنا موجزا من سيرة حياته ·· ثم يتحدث عنه انسانا فقائدا ·· فيقول ·

* عاش أسامة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم في أيام أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ومعاوية ·· فكان مرموق المكانة ، مقدرا محترما محبوبا من الخلفاء جميعا ومن المسلمين على حد سواء ·

* لقد كان أسامة آلفا مألوفا ، وكان موضع ثقة الناس وتقديرهم وإجلالهم شجاعا مقداما راجح العقل تقيا ورعا ، عالما بأمور الدين ، يقصده الناس يستفتونه في أمور دينهم حتى عد من أصحاب الفتيا من الصحابة ، كما روى عن الرسول صلى الله عليه وسلم (١٢٨) حديثا ·

وكان برا غاية البر بوالدته أم أيمن : بلغت النخلة على عهد عثمان بن عفان الف درهم ·· فعمد أسامة إلى نخلة فنقرها وأخرج جمارها وأطعمه أمه ·· فقالوا له : ما يحملك على هذا وأنت ترى النخلة قد بلغت ألف درهم ·· فقال « إن أمي سألتنيه ولاتسألني شيئا أقدر عليه إلا اعطيتها »

أسامة القائد :

« إنه خليق للامارة » هذا ماكان يردده النبي الكريم عن أسامة والمعروف أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يتمتع بموهبة فذة في اختيار الرجال المناسبين للعمل المناسب حتى ان بعض المستشرقين يرون أن موهبته الفائقة في معرفة نفسيات وقابليات أصحابه وتكليف كل

فرد منهم بما يناسب نفسيته وقابليته ، كانت من أهم عوامل نجاحه في نشر الدعوة الاسلامية ٠

أسامة في التاريخ

يقول المؤلف : « يذكر التاريخ لأسامة أنه أول قائد عربي مسلم تجرأ بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم على مهاجمة الامبراطورية الرومانية ·· وأنه أول قائد عربي مسلم جرأ العرب المسلمين على مهاجمة الروم ·· فكانت معركته التي خاضها ضد الروم وأحلافهم معركة معنويات حاسمة من معارك المعنويات الحاسمة في التاريخ ٠

لقد كان العرب قبل الاسلام لايفكرون ـ مجرد تفكير بمهاجمة الروم ، ولكنهم بعد انتشار الاسلام في ربوع الجزيرة العربية أصبح من الضروري حمايته داخليا فلا عجب أن يجهز الرسول صلى الله عليه وسلم هذا الجيش لحماية تخوم شبه الجزيرة العربية من الروم ذوي البأس في ذلك العهد وكان لابد من إيجاد قائد ممتاز في مزاياه وجيش ممتاز في عدده وعدده ومعنوياته حتى يستطيع ذلك القائد تحمل تلك المسؤولية الجسيمة وحتى يستطيع ذلك الجيش تنفيذ ما يعهد اليه من أعمال ٠

وتحمل أسامة المسؤولية كاملة ، ونجح في تعرضه بالدولة الرومانية ·· وتحمل جيشه واجبا كاملا وهاجم تخوم (أرض الشام) بنجاح ٠

وفي حديثه عن « عبادة بن الصامت » الأنصاري الخزرجي فاتح مدينة « انطرطوس » من أعمال حمص بأرض الشام يذكر لنا موجز سيرته وأخبار جهاده ثم يصفه « قائدا » فيقول :

كان عبادة رجلا معدودا بألف رجل ، وقيمته المرموقة هذه لها سببان : شجاعته الشخصية وإقدامه أولا ، وعقيدته الراسخة وإيمانه العميق ٠

كان وجوده ـ مجرد وجوده ـ في جيش من جيوش المسلمين كافيا لرفع

معنويات ذلك الجيش وإقدامه على تحمل أشق أعباء القتال ٠٠ اذ كان يثير في نفوسهم النخوة والنجدة بمثاله الشخصي في التضحية والاقدام كما كان يفجر في نفوسهم ينابيع الايمان بالقضاء والقدر والتطلع إلى الشهادة في سبيل الله ٠

لم يكن عبادة يكترث بالموت بل كان يسعى حثيثا ، وكان شعوره هذا ينتقل إلى نفوس من يحيط بهم فيعمل في نفوسهم عمل السحر الحلال ٠

لقد كان بالاضافة إلى تمسكه بعقيدته وتفانيه في خدمتها ، راجح العقل ألمعي الذكاء ، يبذل قصارى جهده للحصول على معلومات كافية عن عدوه ، لذلك كانت خططه صائبة دائما كما كان لماضيه المجيد في خدمة الاسلام أثر كبير في حب رجاله له وثقتهم الكاملة به ، وكان بدوره يبادلهم حبا بحب وثقة بثقة ٠

وكان يدقق كثيرا (في اختيار مقصده وادامته) ويبذل كل جهد لانجاز (تحشيد قوته) ويحرص غاية الحرص على عدم إعطاء خسائر لامبرر لها بالأرواح وذلك باتخاذ تدابير (الأمن) وكان (يديم معنويات) رجاله ويؤمن لهم احتياجاتهم (الادارية)

إن عبادة قائد عقائد من الطراز النادر ٠

وأما عن « عبادة في التاريخ » فيقول عنه المؤلف :

يذكر التاريخ لعبادة انه كان أحد اثنى عشر نقيبا كان لهم الأثر البعيد في نشر الاسلام بين الأوس والخزرج من أهل المدينة المنورة ، فمهدوا بذلك لهجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه اليها وجعلها القاعدة الأمينة لنشر الاسلام بعد الهجرة ٠

ويذكر له جهاده المتواصل تحت لواء الرسول القائد لحماية حرية نشر الدعوة الاسلامية ٠

ويذكر له جمعه القرآن الكريم وروايته لكثير من السنة النبوية وعمله الدائب في تفقيه الناس بالمدينة وأرض الشام ٠

ويذكر له أنه كان من أوائل قضاة المسلمين الذين كانوا بأقوالهم

وأعمالهم أسوة حسنة لقضاة المسلمين في كل زمان ومكان ·

ويذكر له صلابته الفذة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى تجاه أمير المؤمنين وأمراء الأنصار وقادة الجيوش ·

ويذكر له فتحه بلدا في أرض الشام ·· ومدينة في مصر ·· وإثارته ينابيع التضحية والفداء في جيوش المسلمين المجاهدة لفتح الشام ومصر ·

إنه أمة في رجل ·· إنه مدرسة كاملة ·· إنه نسيج وحدة ·

وعلى هذا النحو من التحليل الرائع نجد المؤلف الفاضل يتناول سيرة كل واحد من أولئك القادة الميامين ·· الذين جاهدوا في الله فأحسنوا جهادهم في سبيله ، وكانوا ـ بحق ـ مثلا عليا في الصبر والايمان والفداء والتضحية والعمل الخالص من اجل الاسلام ونشره في الآفاق فأيدهم الله بنصره ، ومكن لهم في الأرض وانشأوا دولة كانت وما زالت مضرب المثل في العدل والانسانية ·

ويختتم المؤلف كتابه الحافل ببحث مستفيض عن أثر الاسلام في العرب في نحو ١٠٠ صفحة من الكتاب أوضح فيه أن الاسلام رسم للحياة مثلا أعلى غير المثل الأعلى للحياة في الجاهلية ·· وانه أي الاسلام ـ عقيدة وعملا ـ صهر نفسية العربي ونفى عنها الخبث ·· فأصبح العربي المسلم لايكذب ولايسرق ولايزني ولايخون ولا يغش ولايتجسس ، يخلص لعقيدته أكثر مما يخلص لنفسه ، ويطيع أوامر الله ورسوله وأولى الأمر وبذلك أصبح فردا مفيدا باع نفسه لله إخلاصا لعقيدته ·

لقد تصرف العربي المسلم ـ كفرد ـ تصرفا لايزال يعتبر من الأعمال الفذة النادرة في حياة الرجال : تحمل التعذيب والموت راضيا مطمئنا ، وترك اهله وماله مهاجرا الى الله ورسوله ، وضرب بمصلحة أهله الأقربين وعشيرته وقبيلته عرض الحائط حين رآها تعارض مصلحة عقيدته العليا ·

وتصرف العربي المسلم ضمن المجموع من امته تصرفا لايزال يعتبر حتى اليوم مفخرة من المفاخر : اندفع يجاهد في سبيل نشر عقيدته وحمايتها فخرجت القوة المؤمنة التي اختزنتها الصحراء عبر الأجيال ، تحمل راية الله سبحانه وتعالى وتبلغ عن أمره ، فتتابعت انتصاراتها الباهرة ، فلم يشهد التاريخ في أحقابه المديدة انتصارات مظفرة وفتحا مستديما مثلما شهد انتصارات الفتح الاسلامي !

ويمضي المؤلف في حديثه في هذا الصدد في إفاضة وفي تفصيل ٠٠ إلى أن يقول في نهاية البحث : « إن القوة الدافعة التي يعطيها الاسلام للعرب ، والنور الذي يغمر قلوب المؤمنين به منهم ، فيجعلهم يضحون بكل ثبات في سبيل مثلهم العليا ، والتعاليم السمحة التي تروض أخلاقهم وتبدلها من حال إلى حال ، والأسس المتينة في مبادىء الاسلام التي تقاوم الاستبداد السياسي ، والتمييز العنصري ، والاستغلال والظلم ، كل ذلك يجعل هذا الدين ضرورة من ضرورات العرب في حاضرهم ومستقبلهم ٠

فلماذا يخشى بعض القوميين من هذا الدين على مسيرتهم ، إن الاسلام يدعم العرب في بلاد العرب وفي دار الاسلام ، ويجعل من العرب قوة هائلة كما جعل منهم قوة هائلة من قبل ،

إن الاسلام صخرة صلدة عاتية والذي يحاول تحطيمه برأسه أو بأفكاره أو بادعاءاته ، لن يفعل شيئا اكثر من أن تبقى الصخرة صامدة ٠٠ ولايتحطم غير رأسه أو أفكاره أو ادعاءاته ٠



عمر بن الخطاب
الوثيقة الخالدة .. للتاريخ الخالد
الأستاذ عبد الكريم الخطيب

مؤلف هذا الكتاب أديب فاضل وعالم بحاثة أخرج العديد من الكتب ذات الأسلوب الناصع الهادف ٠٠ ولعل القراء يذكرون له من كتبه هذه : « السياسة المالية في الاسلام » الذي سبق أن عرضنا له **في هذا الكتاب** :

ـ من كتبه أيضا : « من ثمرات الحقل الاسلامي » وهو مقالات تطبيقية لشريعة الاسلام في حياة الفرد والجماعة وفي نظام المجتمع : المادي والروحي ٠

وكتاب : » في طريق الاسلام » وهو دفاع عن العقيدة الاسلامية ودفع لما زحف عليها من مقولات الوثنيين والملحدين ٠٠ وعرض للشريعة في سماحتها ويسرها ، وكفالتها لحاجات المجتمع الانساني وتطوره ٠٠ وكتاب « محمد بن عبدالوهاب » وهو كتاب لم نطلع عليه ولكن الناشر « دار الجيل للطباعة » بالقاهرة يذكر عنه أنه عرض لدعوة الامام الجليل « محمد بن عبدالوهاب » في فكرتها ومنهجها والآثار التي نجمت عنها ، والدعوات الاصلاحية التي اقتفت أثرها ٠٠ من دعوة جمال الدين الأفغاني إلى الدعوة السنوسية في بلاد المغرب ، إلى الدعوة المهدية في

السودان ، مع تحليل كاشف لشخصية صاحب الدعوة وملكاته العقلية والروحية .

وفي الحق أن كتابه هذا عن الفاروق العظيم « عمر بن الخطاب » طريف في بابه ، متميز في أسلوبه ، يقرأه القارىء كما يقرأ آية قصة تحليلية ممتعة فوق ما يتسم به تناول المؤلف الفاضل للموضوع من دقة في ايراد الوقائع ، وأصالة في الحكم والاستنتاج .

العظمة في الرجال رائعة

يبدأ حديثه في مقدمة الكتاب فيقول « العظمة في الرجال .. رائعة معجبة .. لها سلطان على النفوس ، يستجيب له الناس استجابتهم لآية من آيات الفن .. أو رائعة من روائعه !

وآية الرجل العظيم أن يكون له في الناس معجبون وعشاق .. من جنسه وغير جنسه .. في عصره وغير عصره .. وعلى قدر اتساع دائرة المعجبين ، ومدى امتداد ازمانهم وأوطانهم يكون حظ العظيم من العظمة ، ومكانه بين العظماء .

ومن هنا كان في الناس عظماء « عالميون » تلتفت إليهم الدنيا كلها ، ويعيش معهم العالم جميعه في أجياله وأزمانه .. وكان في الناس كذلك عظماء « محليون » ـ مكانا وزمانا ـ لا يعيشون إلا في أوطانهم لجيل ، أو لأكثر من جيل .

عظمة عمر

ثم يقول : « .. وعمر بن الخطاب عظيم كامل العظمة في الرجال .. قد استوفى من كل عظمة حدها ، وبلغ غايتها ..

ففي كل مجال من مجالات العظمة قد أخذ عمر مكانه واضحا بارزا في الصفوة المختارة من عظماء العظماء في الرجال !!

ـ فهو عظيم في عظماء الورع والتقوى ..

ـ عظيم في عظماء القناعة والزهد ..

ـ عظيم في عظماء التشريع والقضاء ..

ـ عظيم في عظماء العدالة والحق ··
ـ عظيم في عظماء الحكمة والرأي ··
ـ عظيم في عظماء السياسة والحكم ··
ـ عظيم في كل مظهر من مظاهر العظمة ، وفي كل موطن من مواطنها ··

والذي يقف من عمر موقف الناظر إلى شخصيته أو المطالع لسيرته ، يأخذه من كل هذه « العظمات » دهش وروعة ، وإكبار واجلال ، وحب وإعجاب ، يشارك فيه المسلم غير المسلم ، ويلتقي عنده العربي وغير العربي على السواء ·

فعظمة عمر الاسلامية هي في صميمها عظمة انسانية ، في أكمل صورها ، وأرفع منازلها ·· ومن ثم كان لعمر هذه المكانة العالية عند المسلمين وغير المسلمين ·· يحبه المسلمون ويحترمونه ، لأنه يمثل الانسان المسلم في أكمل صوره ، ويبرز تعاليم الاسلام في أروع مظاهرها ·· ويجله غير المسلمين ويقدرونه لأنه يمثل الانسان في أكرم أوضاعه ، ويرتفع بالانسانية إلى أشرف منازلها ، ويرسم لأصحاب العزمات والمثاليات من الناس الطريق واضحا إلى غايات السمو ، ومواطن العظمة والخلود ·

* * *

يستهل الفصل الأول من الكتاب بالدعوة المستجابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم أعز الاسلام بعمر بن الخطاب ، ويقول : لقد نفذ الرسول الكريم ببصيرته الملهمة إلى هذا الفيض الغدق الذي كان يشتمل عليه كيان « عمر » من سلامة القلب ، وقوة النفس ، وزكانة الرأي ، ويقظة الضمير ، ونخوة الرجولة ، فتمناه للاسلام سندا وظهيرا ، في وقت كان الاسلام فيه أشد ما يكون حاجة إلى السند والظهير ·

ثم يقول المؤلف : واستجاب الله دعاء رسوله !
ودخل عمر في الاسلام ··

وزاد عدد المسلمين ·· واحدا · ولكنه عمر !

عمر الذي تمناه الرسول على الله ليعز به الاسلام ، ويشد به ظهر المسلمين ··

وقد كان !

فمن اليوم الأول لاسلام عمر أحس المسلمون أن مددا من السماء قد اتصل بهم ، وأن قوة من قوى الحق طلعت عليهم ، فوجدوا برد الراحة في قلوبهم ، وأحسوا أنس السكينة يطيف بهم ، انهم لم يصبحوا أربعين أو واحدا وأربعين ، وإنما صاروا بعمر ومع عمر : قوة غالبة قاهرة اعتز بها جانب المسلمين ، وزلزل بها جميع قريش وذلت لها كبرياؤها !

* * *

وعمر الذي كسبه الاسلام في أشد مراحل الدعوة ضيقا ، وأكثرها حرجا هو « عمر » الذي خلف رسول الله في القيام على دولة الاسلام ، بعد الخليفة الأول « أبي بكر » فكان معجزة من معجزات هذا الدين ، وشاهدا من شواهده الناطقة بأفصح بيان على أنه دين يستند إلى قوى الحق ·· ويتصل بأسباب السماء ، ويضاف إلى أحكم الحاكمين : رب العالمين !

إن عمر في عدله ، وزهده ، وفي سياسته وتدبيره ، وفي شدته وبأسه ، وفي لينه وفي رحمته ، معجزة قاهرة يقدمها الاسلام للانسانية كلها ، فترى في سيرته تعاليم الاسلام ومبادئه ، وقد انتقلت من حيز الوصايا ومقررات الأحكام ، إلى مشخصات حية تعيش في الناس ·· تضبط سلوكهم ، وتسدد خطاهم ، وترد شاردهم وتعين ضعيفهم ، وتنتصر لمظلومهم ، وتمكن لهم جميعا من أسباب الأمن والسكينة في دولة الاسلام العريضة المترامية الأطراف ··

فالعدل والرحمة ، والخير والاصلاح ، والتواضع والزهد ، وغيرها من الأخلاق السامية ، والمبادىء الكريمة ، التي ضمت عليها تعاليم الاسلام ، قد البستها السيرة العمرية ثوب الحياة ، وأقامتها على رؤوس

الولاة والحكام ، وبين الجماعات والأفراد ، تؤدي وظائفها كاملة ، في غير مدافعة ولا مجاملة ٠٠ فان عاقها عائق ٠٠ أو تصدى لها متصد ٠٠

كان عمر هو الذي يتولى بنفسه تأديب الخارجين عليها ، والمتصدين لها ، ولو كان أقرب الأقربين اليه ، وأشدهم في الناس قوة وبأسا ٠٠

* * *

يتحدث المؤلف الفاضل عن اسلام عمر رضى الله عنه فيروي لنا أولا كلمة عبدالله بن مسعود رضى الله عنه : « كان اسلام عمر فتحا ٠٠ وهجرته نصرا ٠٠ وامارته رحمة » وتلك الكلمة الجامعة ـ يقول المؤلف ـ هي أصدق كلمات وصف بها عمر في براعة ودقة أحكام ٠

ويمضي المؤلف في ايراد قصة اسلام عمر في أسلوبه الماتع ٠٠ إلى أن يقول : وبدأ عمر العمل ٠٠ قال : يا رسول الله ٠٠ علام نخفي ديننا ؟ أو لسنا على الحق ؟ فقال النبي ـ صلوات الله عليه ـ إنا قليل ! فقال عمر ؛ والذي بعثك بالحق نبيا لا يبقى مجلس جلست فيه بالكفر إلا جلست فيه بالايمان !

وخرج عمر يكشف للمسلمين معالم الطريق بنفسه ، ويواجه احتمالات التجربة وما يحف بها من أخطار ٠٠ إنه مع رغبته القوية الصارخة في أن يجهر المسلمون باسلامهم ، وأن يلقوا قريشا بدينهم ، وأن يأخذوا مكانهم من البيت الحرام وموضعهم من حجر اسماعيل ، انه مع رغبته هذه ، حريص على الا يعرض أحدا من المسلمين لهذا الامتحان وما فيه من محنة وبلاء ، فخرج وحده ، وطاف بالبيت ، ثم مر بقريش وهم ينظرونه ! فقال له أبوجهل بن هشام : زعم فلان أنك صبوت ! فقال عمر : بل أسلمت ! فأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله !!

فتواثب المشركون عليه ، ووثب عمر على عتبة بن ربيعة فبرك عليه ٠٠ وجعل يضربه ٠٠ وأدخل أصبعه في عينيه ٠٠ وجعل لا يدنو منه أحد إلا اشتبك به حتى أحجم الناس عنه ٠٠ ثم انصرف إلى النبي

وهو ظاهر عليهم ، فقال : يا رسول الله ! ما يحبسك ؟ بأبي أنت وأمي ! فوالله ما تركت مجلسا كنت أجلس فيه بالكفر إلا ظهرت فيه بالايمان ، غير هائب ولا خائف !!!

ولأول مرة يتدفق موكب النور في شعاب مكة ·· ويتقدم الرسول الكريم ـ صلوات الله عليه ـ هذا الموكب وعمر وحمزة أمامه ·· حصنان من حصون الله ! يدفعان عنه ما يريد به المشركون من أذى ، وما يدبرون له من شر !

ولقد اضطربت قريش لهذا وفزعت ·· إذ تفتحت أمام الراغبين في الاسلام الطرق والمسالك ·· فتقدم المتردد ·· وظهر المستخفي ·· وجهر المخافت ·· ودوت كلمة الاسلام في آفاق مكة ·· ورأى الناس مشاهد هذا الدين ومعالمه فيمن يصلون بالبيت ، ويطوفون به من المسلمين !

* * *

وينتقل المؤلف إلى الحديث عن هجرة عمر ليقول : ··· وكذلك كان الشأن في هجرة عمر ·· هجرة من نوع جديد لم تقع لأحد من المهاجرين الذين سبقوه إلى دار الهجرة ، كان المسلمون قبل هجرة عمر يهاجرون متخفين في صور شتى ·· لا يستطيع أحد منهم أن يخرج سافرا ، أو يظهر أحدا على خروجه ! أما عمر فقد نهج نهجا عمريا في هجرته !! طاف بالبيت سبعا متمكنا ، متقلدا سيفه ، متنكبا قوسه ، والملأ من قريش على مرأى منه ومسمع !!

ثم لم يرض بهذا ، فمر بمجامع قريش حلقة حلقة ، وهو يعلنهم بهجرته ، كأنما يتحداهم ، ويستذل كبرياءهم ·

يا سبحان الله ! رجل فرد يقف في وجه هذا الطغيان العنيف ، ويتحدى هذا السيل العتي المتدفق من صلف قريش وكبريائهم ومن حميتها وبأسها ، ثم لا يقوم له من القوم قائم ·· ولا يقف في وجهه

أحد · انه الحق ·· وإنه الايمان ·· وحسبك بالحق وبالايمان من قوة وناصر !

فهذا الأسلوب الذي هاجر به عمر ·· هو نفس الأسلوب الذي أعلن به عن اسلامه ، لم يرض عن نفسه بأن ينتهي بالاعلان عن اسلامه عند الرسول ، وعند جماعته المسلمين ، بل استصرخ كل ذي صوت ندي ، ينادي في الناس : ان عمر قد أسلم ليعلم من لم يكن يعلم ، ولتصتك آذان العتاة من المشركين بهذه الكلمة ، ولتغلي مراجل غيظهم منها ·· ثم ليكن ما يكون !

أسلوب واحد في اعلانه عن اسلامه ·· وفي معالنته بالهجرة ·· وكما كان اسلامه فتحا على المسلمين ، فكذلك كانت هجرته نصرا على ما يقول ابن مسعود رضى الله عنه ·

الحق عند عمر

روى الترمذي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « رحم الله عمر ، يقول الحق وان كان مرا ·· تركه الحق وما له من صديق » !!

فالحق عند عمر هو كل شيء ·· هو الصديق ، وهو الأهل ، وهو الولد ، ان تخلى عنه في سبيل الحق ·· الأهل والصديق والولد ·

ورضى عمر صحبته للحق على هذا الوجه الذي لا تستريح له بعض النفوس ·· وبدا عمر للناس أنه فظ غليظ تنخلع لمرآه القلوب ·· وتنقبض منه الصدور ، وتزور عنه العيون !

لقد فرق عمر بين الحق والباطل ·· وضرب بينهما برزخا لا يبغيان ·· ولهذا سماه الرسول الكريم « الفاروق » وكانت تلك الكلمة النبوية هي وعمر في كفتي الميزان على سواء ··

قوة عارمة جارفة تندفع في سبيل الحق · لا ترى للحق غير وجه واحد ·· مهما اختلفت الظروف ، وتحولت الأحوال !

هذه احدى الصفتين البارزتين في عمر ·· أما الصفة الأخرى البارزة في عمر ·· فهي الألمعية الكاشفة ·· والبصيرة النافذة ، فما

فظن عمر أمرا الا جاء كما ظن ·· انه ملهم تتكشف له عواقب الأمور ، وتستدير له أعقابها ، فيرى غائبها حاضرا ، وبعيدها دانيا ·

ونسأل : أتلك طبيعة قائمة في نفس عمر ، وجبلة مستقرة فيه ؟ أم هو كسب جاءه عن طريق الاسلام بما أفاض عليه من روحانية وصفاء ؟

ونستطيع أن نجمع بين الأمرين في عمر ، فنقول انها طبيعة جلاها الاسلام وكشف الغطاء عنها ··

وبهاتين الصفتين البارزتين في عمر : الشدة في الحق ·· والألمعية في الرأى ·· أدار عمر شؤون الدولة الاسلامية ، وضبط أمورها ، وأقام موازين العدل في كل أفق من آفاقها ·· وترك على صفحات التاريخ سيرة تحدث عن الاسلام أطيب الحديث وأروعه وتكشف من تعاليم هذه الملة السمحاء صورا رائعة ، وآيات معجبة استظل الناس بظلها ونعموا في رحابها ·

فلقد كانت خلافة عمر أكمل تجربة لعظمة الاسلام ، وخلود مبادئه ، ووفاء تعاليمه بمطالب الحياة الانسانية في مختلف الأزمنة وعند جميع الأمم ·

ثم يتحدث المؤلف في فصل بعنوان « عمر الخليفة » فيشير أول ما يشير إلى ما وفق إليه الخليفة الراشد الأول أبوبكر الصديق رضي الله عنه من سداد وتوفيق بحسمه موضوع الخلافة من بعده عندما عهد بها إلى عمر ·

عمر وسياسة المال

وفي فصل آخر بعنوان « عمر وسياسة المال » يقول : وننظر ماذا كان من تدبير عمر في هذا ؟

أما المال فصرف همه فيه إلى أمرين : أن يجيء اليه بحق ·· وأن يخرج من بين يديه بحق !

ففي الأمر الأول كان يراقب عماله مراقبة صارمة ، ويحاسبهم حسابا عسيرا إذا وقع من أحد ظلم على أحد في اقتضاء جزية أو خراج

أو زكاة ٠٠ ومواقف عمر في هذا كثيرة تمتلىء بهـا صحف سيرتـه ، ويضرب بها المثل كلما أراد الناس أن يستحضروا صورة بارزة للعدل بين الحاكم والمحكوم ٠

ويمضي المؤلف في حديثه في تفصيل إلى أن يقول ؛ ومن تدبير عمر في تنقية الموارد التي يجيء منها المال إليه ، والاطمئنان إلى أنه بريء من الظلم ، وخلص من العدوان ـ من تدبيره في هذا أنه كان اذا جاءه مال من جهة من الجهات لم يقبله إلا بعد أن يتأكد أنه إنما جاء عن طريق الحق والعدل ٠٠

أما الأمر الثاني المتصل بالمال وهو مخرجه في وجوه الحق ٠٠ فقد أتى عمر في هذا الباب بالعجب العاجب ٠٠ وتصرف فيه تصرفا عبقريا لن يلحقه فيه أحد ٠

ان أحدث النظريات الاقتصادية التي تعني برسم السياسة المصرفية للدولة لا يمكن أن ترتفع إلى مستوى هذا الأسلوب المحكم ، الذي تفتقت عنه عبقرية عمر ، وفاض به خاطره ، والهمته اياه فطرته ، واقامه عليه دينه ، في توجيه المال الذي بين يديه ، ووضعه بأصلح موضع وانفعه ٠٠

ثم ننظر في التطبيق العملي لهذا الدستور ، فتراه قد وفى له أتم الوفاء وحققه على أكمل صورة وأروعها ٠

* * *

ثم يتحدث المؤلف عن عمر وعماله قائلا ؛ حرص عمر أشد الحرص وفكر أعمق التفكير في اختيار الولاة والعمال على أمصار الدولة الاسلامية المترامية الأطراف ٠٠ لأنه كان يرى أن أي تفريـط في انتقاء الولاة ، وتخيرهم من بين من عرفوا بـالعفة والنـزاهة وحصـافة الرأي ونقـاء الضمير ٠٠ يفسد على الرعية أمرها ، ويقلب موازين العدل فيها ٠٠

وكان العبء ثقيلا على عمر ٠٠ لأنه لا يأمن في كل حين أن يجد الرجل الذي يضع بين يديه هذه الأمانة العظيمة ٠٠ ويجيء على الصورة التي يريدها ٠٠ ولأنه من جهة اخرى كان يرى أن المسؤولية في أي تقصير

يجيء من قبل الولاة ، إنما هي واقعة عليه ‥ لأنه أمير المؤمنين ، وهو مسؤول أولا وأخيرا عن كل ما يقع في محيط خلافته ‥

كان يقول : « لو مات جدي بطف العراق لخشيت أن يطالب الله به عمر » !

وخوف عمر من التقصير في هذه المسؤولية يزعجه ويؤرقه ، ويصور له المظالم قائمة على رأسه ‥ والمظلومون متعلقون بـه يوم القيـامة في معرض الحساب ، يطالبونه بما وقع عليهم ، منه أو من ولاته من ظلم !

هذا الخوف المتسلط على عمر لم يدع له لحظة يجد فيها برد الطمأنينة والعافية فكلما أحس بشيء من هذا اطلع عليه هذا الاحساس ففزع له واضطرب !

اجتهد عمر غاية الاجتهاد في اختيار الولاة وجباة الأموال وفـرض عليهم رقابة صارمة ، وأخذ من قصر أو انحرف منهم بالبأساء والضراء في غير رحمة أو مجاملة ٠

وفي فصول أخرى طريفة يتحدث الينـا المؤلف عن « عمـر وطلاب المال ‥ » ٠

وعن « عمر وحدود الله » ‥ وفي هذا الفصل يشير فيما يشير إليه إلى عمر رضي الله عنه حاكما وقاضيا ، ويتحدث عن رسالته الشهيرة إلى أبي موسى الأشعري في القضاء ‥ وما تكشفه هذه الرسالة عن أهلية عمر الكـاملة لولاية القضـاء والفصل بـين الناس ٠ لمـا اشتملت عليه من مقررات لا يتم القضاء إلا بها ولا تتحقق العدالة إلا معها ثم يقول :

لقد ضمت هذه الرسالة مبادىء هى اليوم شعارات القضاء في أرفع منازله ‥ وأكمل صوره ‥ وان أي قاض لا يتحلى بهذه الشعارات لن يحقق عدلا أبدا ‥ وأن أية ساحة من ساحات القضاء تتعرى من تلك الشعارات لن يستقيم فيها ميزان العدل بين الناس بحال أبدا ‥

كتب عمر إلى أبي موسى الأشعري حين ولاه القضاء رسالة طويلة جاء فيها :

« ٠٠ أما بعد فان القضاء فريضة محكمة ، وسنة متبعة ، فافهم اذا أدلي إليك بحجة ، وأنفذ الحق إذا وضح ، فانه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له ٠

آس بين الناس في وجهك ٠٠ ومجلسك ٠٠ وعدلك حتى لا ييأس الضعيف من عدلك ، ولا يطمع الشريف في حيفك ، البينة على من ادعى واليمين على من أنكر ٠

والصلح جائز بين المسلمين إلا صلحا أحل حراما ، أو حرم حلالا ٠

الفهم ، الفهم فيما يختلج في صدرك مما لم يبلغك في الكتاب والسنة ٠

واياك والقلق والضجر والتأذي بالناس ، والتنكر للخصوم في مواطن الحق » ٠

هذا بعض من دستور عمر في القضاء !

ولعلك ترى أن كل فقرة من فقرات هذا الدستور دعامة راسخة من دعامات القضاء ، استوحاها عمر من دينه واستملاها من حصافته وعبقريته ، فجاءت على هذه الصورة الرائعة من الدقة والاحكام ، والعمق والشمول !

وتعليمات عمر ووصاياه إلى ولاته الذين يجلسون مجلس القضاء تحمل دائما هذا الطابع العمري الذي يضمن لمجلس القضاء تحقيق العدالة على مستوى رفيع ، يحفظ لميزانها استقامته ، ويمسك به أن يميل أو يضطرب !

توجيهات عمر في القضاء

لاشك أن الذي يقرأ توجيهات عمر ووصاياه في القضاء يدرك أن في كيان هذا الرجل حاسة قضائية ٠٠ تتحسس مواطن الحق ، وتضبط موازينه ضبطا محكما ، فلا يفلت مجرم بجريمته ، ولا يضل صاحب حق عن حقه ٠

وعمر حين يجلس مجلس القضاء تلازمه صفتاه البارزتان فيه : الشدة ، والعدل ٠

فهو صارم شديد الصرامة على المنحرفين ، والخارجين على حدود الله ٠٠ لا تأخذه فيهم شفقة ولا رحمة ٠

غير أن هذه الشدة الصارمة تحرسها عدالة قاهرة غالبة ٠

فشدة عمر وعدله يأتلفان ويمتزجان في نفسه ٠٠ فاذا رأيت شدته قلت ٠ عدل صارم ! واذا رأيت عدله قلت : شدة عادلة ! وبين شدة عمر وعدله حجاز من الخوف يضرب بجناحيه جانب الشدة ان اشتد ، وجانب العدل ان عدل ، فلا يبيت أبدا على طمأنينة ورضى !

ان دخل عدله على شدته حسب أنه قد لان وقصر في حقوق الله ٠٠ وان دخلت شدته على عدله خيل إليه أنه جار وظلم ٠٠ انه أبدا في هذا القلق النفسي الذي لا يدع لضميره لحظة من هدوء أو استقرار ٠

كلما أمضى أمرا على أي وجه من هذين الوجهين امتلأت نفسه خوفا من أن يكون قد فرط أو أفرط ٠٠ فلا ينزاح هذا الخاطر من نفسه إلا أن يفزع إلى الله بالبكاء والاستغفار ٠

بهذا الاحساس كان عمر يقيم الحدود ، ويقضي في الحقوق تتنازعه خشية الله في اللين ان لان ٠٠ وخشيته في الشدة ان اشتد وهو بين هذين في كرب كارب ، وخوف مقيم !

فالشدة في عمر إنما هي شدة لاقامة العدل ، والانتصار للحق ، والرحمة في عمر إنما هي رحمة لا تنتقص العدل ، ولا تجور على الحق ٠٠ فاذا لم يكن ثمة عدوان على حد من حدود الله ، أو اعتداء على حق من حقوق العباد ، فعمر رحمة تمشى في الناس وحنان يرف على الوجود » !!



صَلاح الدِّين الأيُوبي

الأستاذ أحمد عبد الجواد الدومي

ما أشبه الليلة بالبارحة !

إن الجريمة هي نفس الجريمة ·· مارسها أتباع الصليب بالأمس ·· وفي عصرنا هذا ·· يمارسها اليهود !

بالأمس احتل الصليبيون أرض الشام وفلسطين ·· وما أكثر ما عاثوا فيها فسادا وما أكثر ما أحدثوا فيها من ألوان التخريب !

واليوم : ها هم اليهود يكررون « المأساة » ·· بنفس الوحشية ·· ويعيد التاريخ نفسه كما يقولون !

ولعل في قصة « صلاح الدين » البطل الذي قهر الصليبيين ، واسترد « بيت المقدس » بعد كفاح طويل ، لعل في قصة هذا القائد العظيم ـ وقد حارب في ظروف تشبه ظروفنا ـ أبلغ درس يمكن أن يستفيد منه مسلمو اليوم ·· وهم يعدون أنفسهم لمعركة آتية باذن الله ·· انه درس البطولة والفداء ·· وما ينبغي لهما من اخلاص حقيقي وقوة إيمان بالله ·· إلى جانب براعة القيادة ووحدة الصف ·· وحسن الاعداد ·

إنها قصة قائد مسلم عظيم ملأ الدنيا ·· وشغل الناس !

قائد عظيم ·· لم تكن عبقريته الحربية هي وحدها مضرب المثل ·· وانما كانت أخلاقه ومثاليته وحسن معاملته لاعدائه ·· من أهم مميزات عظمته وشخصيته ·· ومن أجل ذلك شهد له أعداؤه ، واعترفوا بعبقريته ، وأشادوا به ·· وأثنوا عليه !

وفي هذا الكتاب ـ وهو من الكتب التي ظهرت مؤخرا عن السلطان صلاح الدين ـ موجز لسيرته ·· اكتفينا منه ـ في هذا العرض ـ بالجوانب الخاصة بجهاده الحربي الخالد ، وما سجله في حروبه مع الصليبيين من بطولة وشجاعة وبراعة ودهاء ·

يقول المؤلف في تمهيده للكتاب :

كان صلاح الدين فاتحا للبلاد بسيفه ·· وفاتحا للقلوب بعدله ·· وفاتحا للعقول بعلمه ·· وفتى عربيا شهما من مهده إلى لحده ·

وبذلك كان صاحب سلطان ·· وداعيا من دعاة الايمان ·· وبناء مجد وحضارة وعمران ·· وهذا كله جعله يمتد في التاريخ يوما بعد يوم ·· وقرنا بعد قرن ·· وجيلا بعد جيل ·

***

··· والحديث عن صلاح الدين فيه دعوة إلى البطولة ·· وحث على الكفاح ·· وفيه نار ونور ·· نار تحرق ·· ونور يضيىء ·· لأنه كان مشبوب الاوار بالليل والنهار ·

والحمد لله ، كل عربي اليوم أعد نفسه للجهاد والكفاح ·· وهيأ مشاعره للتضحية وحمل السلاح في سبيل حياة عزيزة لا سادة فيها يطغون ·· ولا عبيد على ارضها يستذلون ·

***

ثم يقول : وزاد هذا البطل الفاتح نصاعة وجمالا انه كان مصقولا بطابع الاسلام الصحيح ، طوافا حول دائرته ، لا يميل عنه يمنة ولا يسرة ·· ولا يزيغ عن حده قليلا أو كثيرا ·· ولهذا كان فتى خلاقا للمعاني ·· مقيما لدعائم الاسلام ·· بانيا للامبراطورية العربية على أعظم أساس ، وأقوى لبنات ··

لقد اتصل صلاح الدين بالسماء وجعل العقيدة هي المحور الذي يدور حوله ·· وآمن بالله ، فآمنت له القلوب ·· واستقرت على عرش

حبه أفئدة الملايين ·· تعلم من عقيدته الا يطأطىء رأسه في هزيمة ، ولا يزهو في نصر !!

وتعلم من عقيدته أن العظمة في البساطة ، فعاش أغلب حياته في زيه البسيط ، ولباسه الخشن ·· وخيمته ذات الأوتار المشدودة !

ولهذا كان أنشودة كل جيل ·· وخير مثل للشباب ·· وأعظم قدوة لأي زعيم وأحسن أسوة لمن أحب أن يكون في الخالدين ··

وكأن شوقي كان يعنيه إذ يقول :

خيرت فاخترت المبيت على الطوى
لم تبن جاها أو تلم ثراء
ان البطولة أن تموت من الظما
ليس البطولة أن تعب الماء !

لقد قاسى صلاح ما قاسى ·· ظمىء وأصحر ·· ونام على الطوى ·· وعاش الأيام والليالي بين الوغى حتى انتصر ·

وسنقتفى اليوم أثره ·· ونتبع سيره ، فالمعركة التي حارب من أجلها هي معركتنا ، والانتصارات التي وصل إليها هي التي سنصل إليها بعون الله !

* * *

كان الشرق قبل عهد صلاح الدين مقسما إلى امبراطورية عربية ·· وإلى امبراطورية بيزنطية ·· ولقد قامت هذه الامبراطورية على أنقاض الامبراطورية البيزنطية ·· ذلك حين انتزع العرب المسلمون من البيزنطيين دمشق وفلسطين ثم زحفوا بعد ذلك إلى القسطنطينية لينتزعوها ·· ومنذ ذلك الحين والبيزنطيون مع العرب في حالة باردة حينا ·· وساخنة في أغلب الأحايين ·· وفي عهد الدولة العباسية الأخير استطاع البيزنطيون أن يقفوا على أقدامهم ويرفعوا رؤوسهم واستطاع أحد ملوكهم أن يطرد العرب من كريت بعد عهد طويل وتمكن البيزنطيون ـ فيما بعد ـ من احتلال فلسطين ودمشق مرة ثانية ، ولكن الدولة

الفاطمية والسلاجقة بذلوا جهدا كبيرا في استرجاع هذه البلاد العربية من جديد ··

وكانت موقعة « منازجرد » عام ١٠٧٧ أهم موقعة تـاريخية انتصر فيها العرب على هذه الامبراطورية البيزنطية التي آن لها أن تتداعى ·· وحق لها أن تتقلص بعد هذه الهزيمة المنكرة !

ولكن كانت هذه الهزائم كلها سببا قويا لأن تتحالف الامبراطورية البيزنطية مع الدول الافرنجية حين ذاك ·· على التـآمر ضـد العرب وخنقهم وكتم أنفاسهم ·

وصفق الامبراطور البيزنطي لاتمام هذا الحلف تصفيقا حارا ·· كما فرح له الاوروبيون فرحة عظمى !

فمنذ كثير من السنين كان الفريقان يشتاقان إلى الانقضاض على هذه الأمة العربية الحية النابضة ·· وعلى هذا الوطن الغني الثري ··

وأخذ كل من الافرنج والبيزنطيين يمنى نفسه بأمان عذاب ·· ان الكتلة العربية المحصورة في هذه الرقعة من الأرض سيقضون عليها في القريب العاجل ، وبذلك يخلو الجو لهم ، يمرحون فيه ويلعبون كيفما يشاؤون ··

والواقع أن حالة الامبراطورية العربية حينئذ كانت لا تبشر بخـير كثير ·· فهى منقسمة فيما بينها إلى خلافة عباسية شاخت وكبرت ،، وكان مقرها بغداد ·· وإلى خلافة فاطمية ضعفت وهزلت وكان مقرها مصر ··

***

ولقد هب اشراف الدولتين ورهبانهم على بكرة أبيهم ، وكان بينهم وبين الشرق العربي ثأر كامن ، وحقد دفين ·· فلما سنحت لهم الفرصة أرادوا الانقضاض ، والتهام الأخضر واليابس !

وكم كـانت فرحتهم بهـذه الحـروب ·· ليفتحـوا بـلاد الشـرق ، ويستعبدوها ويجعلوها مناطق نفوذ لهم ، وأسواقا تجارية لبضائعهم ،

ولكي ينشئوا مملكة لاتينية ضخمة في ربوعه ··

ولقد نجحت هذه الحملات الاوربية البيـزنطيـة حينا من الدهـر ، وأصبحت فلسطين ومدن الشام ولبنان مستعمرات افرنجية ، وعكفت المصانع الاوروبية على انتاج العتاد والذخيرة ، وتمكن السياح الغزاة من معرفة أسرار العرب ·· فعرفوا الكثير عن صناعة الحرير ، وعن الزعفران · والصباغة ، والمعادن ، والأحجار الكريمة · وامتد نـطاق التجارة إلى القارة الاوروبية كلها ··

ولا نبالغ إذا قلنا إن استغلال الغرب للشرق في هذه الفترة كان له الفضل الأكبر في دفع الغرب إلى عالم متحضر ، اجتماعيا وصناعيا ··

وساعد الحظ الغرب ·· فوهنت الدولة البيزنطية ·· وبـذلك مكن الغرب أنيابـه وأطماعـه ·· وسيطر عـلى موارد الشـرق ، واغتصب حقوقه ··

ولكن الأقدار السعيدة ساقت إلى الشرق كله ·· وإلى أرض العروبة وليدا ·· كبر ، وشب ·· فحول مجرى التاريخ ، وأرجـع الغرب إلى بلاده ·· واستل الشرق من يده بقوة السلاح ، وقوة الارادة ، وقوة الشعوب ، واعانة الله ··

هذا الوليد البطل هو : صلاح الدين ·

صد العدوان عن مكة والمدينة

ما أشد ما لقى المسلمون من الصليبية الغازية ! وما أسوأ ما كانوا ينوون للعالم العربي والاسلامي من شرور ومصائب !

لقد دبروا في أنفسهم أمرا : ان صلاح الدين قد استولى على صحراء سيناء ، وفتح أيلة ·· ووضـع فيها حـامية عـظيمة ، واستـولى على العريش ·· فلماذا لا ينغص الأفرنج صلاح الدين ويكدرونه ويستولون على أيلة ؟ ثم ينفرون إلى مكة والمدينة ، قلب العالم الاسلامي ، ومهبط الوحي ، ومكان المقدسات ؟؟

فاذا ما استولى الافرنج على هذين الحرمين الآمنين العظيمين ·· فقد تمكنوا من القضاء على العالم الاسلامي ، وطعنه في الصميم ، وينتهي ذلك بقطع الصلات الحسية بين العالم الاسلامي وبين قبلته المعمورة ، سواء كانت هذه الصلة عن طريق البر أو البحر ··

وعندما يصلون الى هذه الغاية يعملون على تحقيق غاية اخرى في منتهى الأهمية ، وهي السيطرة على التجارة عن طريق البحر الاحمر ، وذلك باحتلال « أيلة » من الشمال ، وعدن من الجنوب ، وهاتان غايتان واسعتا الفائدة ··

وشدت الحملة الافرنجية رحالها فعلا وتوجهت إلى « أيلة » وحاصرتها ومنعت عنها وصول الماء اليها من الطريق ، وكاد إخواننا العرب يهلكون في هذا البلد العربي ·· ولكن الله سبحانه وهو الرحيم بعباده أنزل عليهم مطرا مدرارا أرواهم وأحيا زرعهم وأمدهم بالحياة ، فاستبسلوا أمام العدو ، ولم يقبلوا التسليم ·· فواصلت الحملة سيرها في البحر ·· حتى باغتت أهل « عدن » ·

وفتح أهل عدن المساكين عيونهم يوما فاذا بهم محاصرون من عدو غاشم ، وحملة ظالمة لم يعرفوا لها سببا ·· ولم يدركوا لها غرضا بادىء الامر ··

ولكن ما قامت به الحملة من سلب ونهب ·· جعلت أهل عدن يفهمون أن الأرض مملوءة بالشر ·· وأن هناك أمما غربية تعيش على الظلم ·· والسفك ·· والاغتصاب ·

***

وقصدت الحملة المدينة المنورة عن طريق الصحراء ·

ولعل القارىء يتساءل الآن في حيرة ودهشة : كيف يسكت صلاح الدين ، ويقف مكتوف اليدين أمام هذه المآسي كلها ؟

وأبادر بالجواب ، فأعلن أن هذه الحملات كان فيها عنصر المفاجأة

والسرعة ٠٠ ومع ذلك فلم يسكت صلاح الدين لحظة واحدة دون أن يدبر أمرا ، أو يجهز فيها جيشا ٠

لقد كان صلاح الدين في الشام حينذاك فأصدر أوامره بتجهيز الأسطول وترتيب قيادته ، وابحاره فورا لصد هذا العدوان الآثم ٠٠ وهذه الحملة الغادرة ٠٠ كما أمر بترتيب جيش على وجه السرعة ليقتفي أثر الجيش الافرنجي في الصحراء ٠

وكان للبريد الجوي في هذه الأيام أثره السريع ، وتأثيره العظيم ، فاستقبل الشعب هذه الأوامر بما يناسبها من أهمية وتقدير ، ومن الذي يبلغه أن الصليبيين على مسافة قريبة من المدينة ثم يهنأ له طعام أو شراب بعد ذلك ؟

ان احتلال شبر واحد في الوطن العربي أمر يفزع له الخاطر ٠٠ فكيف اذا كان المقصود بالحرب هي المدينة التي يحل فيها نبي الاسلام ، ورسول الانسانية والسلام ؟

***

وحمى الله مكة والمدينة وصحراء سيناء وعدن وغيرها من الافرنج بفضله وتوفيق صلاح الدين وجيش صلاح الدين ومحافظته في عزة وقوة على تحرير الوطن العربي من أي عدو غاصب ، أو أمة محتلة !

لماذا كانت الحروب الصليبية ؟

لماذا كانت هذه الحروب المسماة بالحروب الصليبية ؟

بين الغرب والشرق عداء مستحكم ، ليس اليوم فقط ، وإنما هو من قرون مضت ٠٠ وكان هذا العداء يصل إلى حد الجنون في كثير من الاحايين ، وما كانت هذه الحروب الا نزعة من نزعات ذلك الجنون المستعر أرادت للشرق الذل والهوان والتأخر والانقراض ٠٠

فأي وسيلة تسلك العقول الغربية للوصول إلى هذه الغاية المسمومة ؟ عبأت جميع القوى ، واذاعت بجميع اللغات ، ودعت في شدة والحاح الى أن القدس يجب أن يكون في أيديهم ، وأن أمة الشرق يجب أن تزول من

الوجود ٠٠ لماذا ؟! لأنهم أشاعوا كذبا وزورا أن قبر « المسيح » قد أهانه المسلمون ٠٠ فقد وقف البابا « أوريانوس » في مدينة « كليرمونت » بفرنسا عام ١٠٩٥ يعلن أنه يجب على الغرب أن يهب على بكرة أبيه لا ليأخذ الثأر من الاهانات التي لحقت بهم في الشرق فحسب ٠٠ بل لرد تلك الاهانات التي الحقوها بالرب هناك !

وبهذا المنطق الدعى الكذاب ألهب البابا المشاعر وجمع الأمم ٠٠ ولو تساءلنا : أي اهانات ألحقها المسلمون لا نجد لهذا الكلام ظلا من واقع ، أو جانبا من حقيقة ٠٠

واذن ٠٠ فلا مناص من ابراز الحقيقة السافرة من شن هذه الحروب ٠٠ وذلك ما أعلنه البابا نفسه في آخر خطابه ٠٠ عندما قال : « وليست حروبنا هذه لاكتساب مدينة واحدة هي مدينة القدس ٠٠ بل لامتلاك أقاليم آسيا بجملتها ٠٠ لأنها غنية بخزائنها التي لا تحصى ٠٠ ثم وجه الخطاب إلى من حوله قائلا : « فاتخذوا من بيت المقدس حجة !! واستخلصوا الأرض من أيدي الكفار ؟! أي « المسلمين ! » وامتلكوها أنتم خالصة لكم من دون المسلمين ٠٠ فهذه الأرض كما قالت التوراة « تفيض لبنا وعسلا » !

واشتعلت الأمم المسيحية بهذه الأفكار الوحشية وقررت في نفسها أمرا ٠

***

ومما شجع أهل الغرب على هذه الحروب في تلك الأيام ما رأوه من تفكك المجتمع العربي حينذاك ٠٠

فلم تكن هناك فرصة أسنح من هذه الفرصة ٠٠ ولا ظروف أكثر مواتاة من هذه الظروف !

ولم تكن الحملات الاستعمارية في عهد صلاح الدين هي الأولى من نوعها كما أنها لم تكن الأخيرة كذلك فقد سبقتها من قبل حملة صليبية من الدرجة الأولى ٠٠ تكونت من كتائب شعبية بقيادة « بطرس

الناسك » وقد اخترقت أوروبا الوسطى زاحفة نحو هدفها المرسوم ·
ولما وصلوا إلى القسطنطينية أرغمهم الامبراطور البيزنطي على تحويل اتجاههم ·· فعبروا البوسفور ·· وواصلوا المسير حتى وصلوا إلى أنطاكية ثم احتلوا بيت المقدس ، وكونوا هناك عدة امارات لاتينية :

١ ـ امارة الرها ·
٢ ـ امارة انطاكية ·
٣ ـ مملكة بيت المقدس ·
٤ ـ امارة طرابلس ·

وكانت هذه الحملات من الفرنسيين ·· والانجليز ·· والألمان ·· والنمساويين ، والبولونيين ·· واقترفوا في طريقهم من حملات الارهاب والعسف ما شاء لهم استبدادهم وهواهم ·· وحاصروا القدس من جهاتها الأربع ، وكان عددهم ثلاثمائة ألف ·· وكان في القدس أحد الولاة الفاطميين ، ولم تكن البلاد قادرة على صد تيار الحملة الغاشمة ، فتغلبت ودخلت الأرض المقدسة ·

وهناك حكموا على كل مسلم بالموت وارتكبوا من المنكرات أفظع ما يرتكبه فاتح مستبد ، وغاز وحشي ·

هذه هى قصة الحروب الصليبية ، ولها قصص أخرى ·· واعتداءات اخرى من يوم صلاح الدين إلى يومنا هذا ·

اجتماع الكواكب

أشاع الفلكيون أن ساعة الحرب قد اقتربت بين الجيوش العربية وبين الجيوش الافرنجية الغاصبة ·· وبنوا هذه الاشاعات على أن الكواكب السيارة الخمسة اجتمعت في برج الميزان مع الشمس والقمر ، ومعنى هذا في نظرهم أن حربا ستحدث ·· وأن ريحا عظيمة ستهب ·· وأحدثت هذه الاشاعات رعبا وفزعا وخوفا ووجلا ··

وتجرأ أحد الفلكيين ، ودخل على صلاح الدين ، وقال له : « ستفتح

القـدس وتذهب عينـك ·· » ولكن صلاح الدين فـاجأه بهـذه القولة التاريخية :

« رضيت أن أفتحه وأعمى !! » ·

لذلك لم تهز صلاح الدين هـذه الفقاعـة التنجيمية ·· ولم يبـالغ صلاح الدين حين رضي بالعمى ، في سبيل الفتح ·· ان هذا الرضا لم يكن افلاطونيا ·· بل كان تعبيرا صادقـا عن حقيقة نفســه ، وهواه القلبي !

لقد كانت بينه وبين الاعداء هدنة فلينتظر ما تأتي به الاقدار ، فجاءته الأقدار بما يهوى ويحب ··

قرر « أرناط » أحد الزعماء الافرنج أن ينقض الهدنة ، ويتحدى كلمة العرب والاسلام ، فاستولى على قوافل الحجاج ومواكبهم ، وأخذ كل ما فيها من رجال ومتاع ، متحديا بذلك الشعور العام للعروبة جمعـاء ، وبالغ أرناط في تحديه ·· ورفض احتجـاج صلاح الدين ، ولم يـأبه له ·· وقـال : « من اليـوم لن أدع قـافلة من قـوافـل الحجـاج إلا نهبتها ·· » ·

وعـاش صــلاح الدين مــع هـؤلاء الأســرى يئن لانينهم ، ويبكي لبكائهم ، ولم يسعه إلا أن يقسم « ليقتلن أرناط اذا ما وقع في يده يوما ما ·· » وقد كان !

قبل المعركة

وقد كان الجو مهيأ كـل التهيىء لتحقيق أماني صــلاح الدين ·· وللاشتباك في حرب فـاصلة ·· واكتملت الهيئة الحـربية للافـرنج في عكا ·· واجتمع « ريموند » والملك جي وحزبه بعد فرقة بينهما ، وبعد خـلافات كثيـرة متشعبة استبـد أرناط بـأن يهاجم الافـرنج صــلاح الدين ·· فالمفاجأة عنصر قوي أصيل في الحرب ·· والنار لا يضرها كثرة الحطب ، على حد تعبير أرناط ·· وكـأنما كـان يسعى إلى حتفه بظلفه ·

وتحركت الجيوش الصليبية الاستعمارية ٠٠ أما صلاح الدين فقد أعد عدته وجهز جيشه واستقبل اسطوله واجتمع مع قيادته العامة ، وهيئة أركان حربه في حزم وبساطة ٠

ووضعوا الخطط التفصيلية ، وأخذوا يرقبون حركات العدو ٠٠ والله يؤيد بنصره من يشاء ٠٠ والله ذو الفضل العظيم ٠

يوم حطين

تجمعت الجيوش العربية الاسلامية استعدادا للجهاد ، ورغبة في النصر أو الاستشهاد ٠٠ وفي طريق التجمع حدثت مناوشات جزئية جعلت المسلمين يأملون النصر ٠٠ وجعلت الجيوش الصليبية تزداد اهتماما وتقديرا للموقف ٠

وقررت هيئة أركان حرب صلاح الدين خوض المعركة فاستعرض صلاح الدين جيشه ، ونظمه تنظيما حربيا عظيما ، وأوقف كل فرقة في المكان الذي يناسبها ، ثم انتظر حتى صلى الجمعة ليزداد مدده المادي بالامدادات الروحية السماوية ٠٠ وتحركت الجيوش صباح السبت ١٨ ربيع الآخر سنة ٥٨٣ هـ ـ ٢٧ يونيه ١١٨٧م وعبرت نهر الأردن جنوبي بحيرة طبرية ٠

وكان الجيش الاستعماري الافرنجي معسكرا في صفوريا ، وكان صلاح الدين يريد أن يزحزحه من مكانه لتكون المعركة مكشوفة ، واستطاع صلاح الدين بمناوشاته ومكائده الحربية أن يصل إلى ما يريد ٠

ان « طبرية » هي الاحتكاك المباشر في الموضوع ٠٠ وهي « الزناد » التي تكمن فيها النار كما يقولون ٠٠ فليتجه صلاح الدين اليها ٠٠ وما هي إلا جولة أو جولتان حتى وقعت « طبرية » في يد الجيوش العربية الاسلامية ، وهنا اختل توازن الافرنج ، فقرروا الهجوم ٠٠ ولما قربوا من « صلاح الدين » نظر اليهم في ابتسام وهدوء ٠٠ وقال : « جاء طلبنا ! » وكانت كلمة الافرنج مجمعة على أمرين :

١ ـ الحيلولة بين جيش صلاح الدين وبقية جيوشه الموزعة في المنطقة ··

٢ ـ محاولة الحجز بينه وبين الماء لأن المعركة في أرض قفراء ··

وإذا كان المثل يقول : « من حفر حفرة وقع فيها » فقد وقع الافرنج في شر أعمالهم ، وصدق الله العظيم : « ولا يحيق المكر السيىء إلا بأهله » · ان صلاح الدين كان يحتاط للأمر حيطة عظيمة ·· فكيف تغيب عنه مواقع الخطر ؟ وكيف يهمل موارد المياه ؟

حاول الافرنج في هجومهم هذا أن ينفذوا الخطط التي رسموها لأنفسهم ، ويقطعوا الطريق على السلطان وجيشه ، ويستولوا على ينابيع الماء ·· فكان من أمرهم أنهم كلما تقدموا خطوة وقعوا تحت نيران « صلاح الدين » ·· فلم يثبتوا ·· وأحاطت بهم الفرق الصلاحية وأخذت تسوقهم إلى حيث المعتقلات ·· وحظائر الاسرى ·

وأمر قواد المسلمين جنودهم بالعودة إلى خيامهم حتى يصبحوا ·· ولكن الروح المعنوية في جيش الافرنج كانت تولى الادبار اذ قضى القوم ليلتهم هذه في ظلام حالك ملؤه اليأس والقنوط ·

أما حال المسلمين عندئذ ·· فقد يلمسها الباحث « إذ قضوا هذه الليلة والأمل يشجعهم على منازلة الافرنج ، واعتقاد الانتصار يقوي عزائمهم ·· ويبعثهم على التهليل والتكبير ·· والاستعانة بالله على الجهاد ·

أصبح الصباح ، وانتشرت حرارة الشمس المحرقة ، فأعانت المسلمين على الفتك بهؤلاء العطاش ·· وهجم السلطان على الافرنج هجوما عنيفا ، فرق ركبانهم عن مشاتهم ·· وتقهقرت فلولهم الى التلال ·· تلال « حطين » ·· من شدة ما لاقوا من التعب والعطش الشديدين ·· وأرادوا أن ينصبوا خيامهم فلم يمكنهم المسلمون من ذلك ·· وكل ما قاموا به هو نصب خيمة للملك ·· وفي مكان هذه الخيمة حصلت الموقعة الفاصلة ·· فقد هجم المسلمون على الافرنج الملتفين

حول ملكهم ٠٠ والذين استبسلوا فتمكنوا من رد المسلمين مرتين ٠٠ إلا أنهم عجزوا في المرة الثالثة عن المقاومة فما لبثت خيمة الملك أن تداعت ٠٠ فانقض المسلمون عليها وأخذوا ما كان فيها ٠٠

انتهت معركة « حطين » وكان النصر فيها حاسما لصلاح الدين ٠٠ فقد هزم فيها الافرنج هزيمة منكرة ماديا ومعنويا !!

لقد خاض جيش الاسلام والعروبة المعركة وهو أحسن ما يكون نظاما وأقوى ما يكون عدة ٠٠ وأمهر ما يكون قيادة ٠٠ وكان اختيار أرض المعركة موفقا من الناحية الحربية غاية التوفيق ٠٠ ومن الناحية المعنوية كانت هزيمتهم شنيعة ٠٠ إذ فقدوا جميع مراكزهم التي استولوا عليها ٠٠ وجميع القادة والملوك ٠

فتح بيت المقدس

كان لانتصار صلاح الدين على الافرنج في حطين دوي هائل في أنحاء فلسطين كلها ٠٠ ولم يقنع صلاح الدين بهذا الانتصار الرائع ٠٠ فقد كان همه تطهير فلسطين كلها وكل شبر فيها من الغزاة ٠

وما أجمل ما كنت تنظر إلى الجيش الفاتح : جيش العروبة والاسلام ٠٠ وهو يسير الى الحرب بالرأس المنتصر ، والفكر الراجح ٠٠ والقدم الثابت ٠٠ يفتح حصنا بعد حصن ٠٠ وبلدا بعد بلد ٠٠ وقلعة بعد قلعة ٠٠

وما أجمل ما كنت ترى ملوك الافرنج مصفدين في السلاسل ٠٠ مقيدين في الاغلال ٠٠ يسيرهم صلاح الدين معه ليستعين بهم على أن يكون الفتح من غير اراقة دماء ٠٠ ما استطاع إلى ذلك سبيلا ٠

لقد جاء الافرنج واحتلوا هذه البقعة الطاهرة العزيزة الغالية ٠٠ وقد ساعدهم على ذلك تفكك الدول الاسلامية حينذاك ٠٠ واذن فقد آن للجيش العربي المسلم أن ينال مناه ، وأن يسترد الحقوق وأن يدخل بيت المقدس ، ويقيم فيه شعائر الله ٠

ولكن ٠٠ كيف الدخول ؟

إن صلاح الدين يريد الا يمس مدينة القدس بسوء ·· إنه يعرف قيمتها التاريخية ·· إنه يدرك مدى ما لها من ذكريات غاليات ·· في قلوب المسلمين والمسيحيين جميعا ··

ما أسمى ما كان ينويه صلاح الدين ·· لقد كتب إلى الافرنج : « إني أعتقد أن في القدس بيت الله المقدس وليس في عزمي أن أتعرض لبيت الله بأذى الحصار ، أو ضرر الهجوم ··

وكان يرمي من وراء ذلك أن يتم الفتح كما تم في عهد الفاروق عمر بن الخطاب ·· ولكن أبى الافرنج أن يسالموا انهم لا يعترفون بالمقدسات وان تظاهروا انهم حماتها ·· وانهم وفدوا لنصرتها ·

واضطر صلاح الدين إلى الهجوم الحربي ، وهو في غاية الأسى ·· بعد أن عرض عليهم كل طرق السلم فأبوا ··

مكث صلاح الدين خمسة أيام يفكر ويقدر ·· كيف يبدأ الهجوم ؟ خصوصا وقد بلغه أن الأفرنج عمقوا الخنادق ونصبوا المنجنيقات ·· وحصنوا السور ·· واستعدوا للمعركة الفاصلة ·· واستقر رأي صلاح الدين أن ينصب منجنيقا في الناحية الشمالية ·· ولكنه آثر الانتظار ·· انه لم يسترح ضميره للبدء بالقتال ·· وإذا بالفرنجة يسمحون للفرصة أن تسنح ·· ها هي دورية منهم خرجت من مدينة القدس ·· لتتحدى شعور المسلمين وتستفزهم ·· وكان هذا بدء المعركة ··

قاومت فرقة من جيش صلاح الدين هذه الدورية وأرغمتها على الدخول إلى المدينة ·· وذاق المسلمون لذة الانتصار ! فأبوا الرجوع عن أماكنهم ·· وصدرت أوامر القيادة بالاستماتة في القتال ·· ودب في الافرنج الفزع ·· وسرت في جيش صلاح الدين القوة ··

كل طائفة استسلمت ·· رماة المنجنيق صوبوا قاذفاتهم داخل المدينة ·· فدائيون آخرون يردمون الخنادق ·· فرقة ثالثة تثقب السور ·· بقية الجيش تقاتل على قدم وساق ·· جماعة تشعل نارا

وهميـة ليمتلىء الجـو دخانـا ·· صلاح الدين يـدير المعـركـة بقلب الأسـد ·· وحيلة الاريب ·· وعلت السيـوف وانخفضت ·· وثـار النقع ·· وامتلأ الجو دخانا وغبارا ·· ورأى الافرنج أنهم ليسوا أمام قوة عادية ·· فقرروا التسليم ·· وأرسلوا إلى صلاح الدين وطلبوا منه الأمان !!

ومرة أخرى يخرج القائد الخائن « بنيان » إلى صلاح الدين يطلب الأمان على شروط ·· فيبتسم صلاح الدين : هل لمدينة وقعت في الأسر أن تطلب شروطا ؟ لكن مراوغة الثعالبة من الافرنج لا تنتهي ·

قال « بنيان » : « إن لم تجبنا إلى الأمان ضربنا الصخرة ·· وقتلنا الأبناء ·· وقتلنا أسرى المسلمين ·· فأعطاهم الأمان على أن يخرجوا من الديار في مدى أربعين يوما ·· وعلى أن يدفع الرجل منهم عشرة دنانير ·· والمـرأة خمسة ·· والولد اثنـين ·· ومن لم يستطع فهـو أسير ··

وكان دخول بيت المقدس في ليلة ٢٧ رجب وهي ليلة المعراج عند أغلب العلمـاء ·· وكانت هـذه مصادفـة من الأقدار ·· وكم للأقـدار من مصادفات عظيمات !!

ولنا أن نزهو ونفخر عندما نقرأ هذا التاريخ أو نسـطره ·· ولكن صلاح الدين لم يزه ·· ولم يفتخر ·· بل سجد لله شكرا ·· هو ومن معه ·· يعترفون أمام الله سبحانه بالفضل ·· ويقـرون له بالحمـد والثناء ··

***

وجلس صـلاح الدين في خيمته ذات الأوتـار المشدودة ·· وأمـر بالمسجد الأقصى أن يرجع إليه منبره العـظيم ·· وأن تقام الشعـائر الدينية في البلاد ·· وأن تقـام الصلوات شكرا لله ·· وأن يكتب إلى جميع البلاد الاسلامية أن بيت المقدس رجع إلى أهله وأن الفرنجة قد ارتدوا على أعقابهم خائبين !!

وحق للمسلمين أن يفرحـوا ويبتهجوا ·· وحق لصـلاح الدين أن يبكي من شدة البهجة ·· وحق للتهليل والتكبير أن يعلوا في الآفاق ··

وقد كان صلاح الدين مجموعة من السجايا الحميدة ·· كان للرعية أبا رحيما ·· ووالدا انسانا ·· وحاكما حكيما ·· شديدا في الحق ·· صلبا على الأفرنج ·· وكان في الجهاد مثابرا لا يقعده عن ذلك مرض ·· ولا يلهيه عنه أهل ولا ولد !

شهد له الأعداء قبل الأصدقاء ··

ذلك هو صلاح الدين ·· الذي انتقل إلى رحمة ربه عام ٥٨٩ هـ ، ١١٩٣م .

لقد رسم لنفسه أن يكون عظيما ·· وأرادت له الأقدار أن يكـون عظيما ·· فعاش عظيما ومات عظيما !!

ولكن العظمة في صلاح الدين كانت من لون جديد ·· فلم يحاول أن يفرض نفسه عـلى التاريـخ ·· ولم يحاول أن يكـون عظيمـا بالقهـر والجبروت ·· ولم يحاول أن يكون عظيما في ناحية ما ·· تاركا بقية النواحي تحتاج إلى الكمال والبناء ·· لم تكن عـظمته شيئـا من ذلك كله ·· بل كانت أسمى من هذا كله ··

لقد كانت مزاياه في سعة قلبه ·· وفيض حنانه ·· واشراق روحه ، وصلابة عزمه ·· وحسن معاملته ·· وكبر تواضعه !!

انظر صلاح الدين الفاتح لفلسطين كلها في مدى شهرين ·· هـذا البطل الفاتح الكبير يسمع نساء يبكين أزواجهن وأولادهن ·· فيبكي معهن ويشهق ·· لقد كان هؤلاء النسوة من نساء الأعداء ·· ولكن الرحمة حين تنفذ إلى القلب لا تعرف في قاموسها قريبا ولا بعيدا ، انها تتسع حتى تعم الانسانية كلها ·· ولم يرض صلاح الدين لنفسه في هذا المقام أن يبكي فقط ·· بل أسرع بالأمر إلى هؤلاء الأزواج والأولاد أن يتبعوا نساءهم وأمهاتهم ·· وكانت هذه الدموع سببا في اطلاق ما يزيد على المئات من الأسرى الافرنج ··

ان صلاح الدين بكى قبل أن يفرح ، ذلك لأنه كان لا يرى الفرحة بالنصر في أقواس وأعلام ·· إنما كان يرى الفرح الأكبر في سجدة شكر لله !! يعبر فيها عن سره ونجواه ·· ومن الفرحة بالنصر أن يبكي للأسرى ·· ويعطف على المساكين !

ولقد كان عنصر التدين في صلاح الدين عميقا إلى حد كبير ·· حتى لقد بلغ به أن يأخذ على نفسه الا تكون تحركات جيشه إلا في أيام الجمع وعقب الصلوات ··

ولقد كانت هذه التحركات مباركة عليه فعلا ·· فقد حدث أن استولى على ست قلاع من أحسن القلاع في ست جمع متوالية !!

وكان من أمانيه الدينية : تكوين جبهة اسلامية متحدة ·· وفي سبيل ذلك عقد الحلف الاسلامي ·· واجتمع بسفراء البلاد وأمراء الشرق جميعا ·· وشاء الله أن يكون صلاح الدين زعيم هذه الجبهة من مصرها إلى سودانها ·· إلى شامها وفلسطينها ، حتى كتب لأخيه يطمئنه على سلامة الأمور في هذه البلاد واذعانها لصلاح الدين فقال له : « لا تجد فيها لغوا ولا تأثيما إلا قيلا سلاما سلاما ·· » !!



محمد فريد وجدي

رائد التوفيق بين العلم والدين

الأستاذ أنور الجندي

بعد الزعيمين الاسلاميين الرائدين في بداية هذا العصر : الأفغاني ومحمد عبده ، كان « محمد فريد وجـدي » أول باحث مفكـر ؛ تفرغ للموضوعات الاسلامية ، وأبدى عناية خاصة بالرد على الكتاب الغربيين المغرضين ، وما اثاروه من شبهات وأضاليل حول الاسلام والمسلمين ٠

وقد كان هناك أكثر من قضية أثارها هؤلاء الكتاب ٠ يتركز كل ما أداروه حولها من مزاعم ، في أن الاسلام لم يعد صالحا لهذا العصر ، لأنه ضد العلم ، وضد التقدم ، وأنه ـ أي الاسلام ـ السبب في تخلف المسلمين ٠

وكان للاستاذ الامام محمد عبده ، مفتى الديار المصرية في أوائل هذا القرن العشرين ، وقفات رائعة في هذا الميدان ؛ ميدان الرد على هـذه الدعوة الباطلة ٠٠ بأسلوبه الهادىء المتزن ! على نحو ما نجده في كتابيه الشهيرين : « الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنيـة » و « الاسلام والرد على منتقديه » ٠

وجاء بعده محمد فريد وجدى ليواصل هذه المهمة ، بنفس العزيمة والهمة ، وبنفس الاخلاص والصدق ، واستمر يجاهد ويكافح ، تارة عن طريق مؤلفاته العديـدة ، وكلها ذائعـة ومعروفـة ، واخرى عن طريق

الصحف والمجلات ٠

وقد كان لمحمد فريد وجدي أيضا أثر بارز في مجال التأليف العلمي البحت وان كان لم يخرج عن هدفه الديني الاسلامي ، وأي أثر أعظم من كتابه في التفسير على المصحف ، وقد حاز رواجا ليس له مثيل ، ثم موسوعته الكبرى : دائرة معارف القرن العشرين ٠

وهذه الموسوعة أو الدائرة تقع في عشرة مجلدات قام بتأليفها وحده ، دون مشارك أو معين ٠

***

ومن المعروف عن محمد فريد وجدي أيضا أنـه اصدر في وقت من الأوقات صحيفة يومية سياسية اسمها « الدستور » ومجلة علمية شهرية اسمها « الحياة » وكان يساعده في الصحيفة محرر واحد فقط ٠٠ محرر ناشىء ٠٠ اسمه عباس العقاد ٠٠ أصبح فيما بعد أبرز كاتب في مصر ، وفي طليعة الكتاب الاسلاميين ٠

وقد ظل المرحوم العقاد وفيا لذكرى محمد فريد وجدي طيلة حياته ، وكان يثني عليه أطيب ثناء ! وفي كتابه « رجال عرفتهم » خصه بحديث يفيض بالاخلاص والحب ٠٠ قال فيه :

« ٠٠ عرفنا في عصره طائفة غير قليلة من حملة الاقلام ، ورجال الحياة العامة ، فلم نعرف أحدا منهم يماثله في طابعه الذي تفرد به في حياته الخاصة والعامة ، وفي خلقه أو تفكيره ، وفي معيشته اليومية ، أو معيشته الروحية ، وأوجز ما يقال عنه في هذه الحالات جميعا أنه لم يخلق في عصره من يتقارب المثل الأعلى والواقع المشهود في سيرته كما يتقاربان في سيرة هذا الرجل الفريد !

نعم : الفريد حتى في لغة الجناس لأن اسمه فريد ٠٠ » ٠

***

وفي هذا الكتاب الفريد عن محمد فريد وجدي ٠٠ يحدثنا مؤلفه الفاضل الاستاذ الكبير أنور الجندي عن جوانب عديدة من حياة هذا

الرجل وكفاحه وجهاده ، ومثاليته التي تفرد بها في سلوكه على نحو ما أشار الاستاذ العقاد ·· يقول الاستاذ الجندي :

« نحن ازاء شخصية خصبة ، غاية الخصوبة عميقة غاية العمق ·· شخصية مفكر وفيلسوف ، وباحث متجرد لفكرة واحدة ، عاش لها حياته كلها وما أطولها بعيدا عن مجالات الشهرة والتألق ، أو احداث الدوى ، كأنما هو زاهد ، لا يتطلع إلى أي شيء في هذه الحياة ، غير أمر واحد ، هو أن يقول كلمته ، انه من النماذج القلائل التي تظهر في تاريخ الفكر الانساني ، بين آن وآخر لتكون مهيأة بالعقل والقلم على أداء دور كبير ، ليس على مسرح الحياة وانما في أعماقها ·· من أولئك القادرين على استيعاب مفاهيم عصرهم من أجل الدفاع عن دعوة انسانية رفيعة يحملون لواءها مدى حياتهم ، لا يصيبهم اليأس ولا التحول ، ولا تزيدهم الأيام والأحداث إلا قوة على الاستمرار ·· فكأنما هذه الحياة عندهم مجرى طويل ممتد يبدأ أول أمره عاديا لا يلفت النظر ·· ثم لا يلبث أن يزداد عمقا ·· ولايزال يمتد ويتسع ويعمق حتى اذا أوفى على الغاية اكتمل وتضخم وأحال كل ما حوله خصبا وحياة ·

كذلك كانت حياة « فريد وجدي » في مطلعها قبل أن ينتهي القرن الماضي بخمس سنوات ·· شاب في العشرين من عمره ولد في الاسكندرية وتنقل بينها وبين دمياط ثم استقر في السويس مع والده الذي كان يلي منصب وكيل المحافظة بها ·· وقد أكمل تعليمه في مكتبة والده متفوقا في اللغة الفرنسية ، وقارئا بها · مازجا ذلك بثقافة عربية اسلامية أصيلة قوامها دراسات الأدب والعلوم والفقه والتاريخ والسنة والشرائع والقرآن ·· موجها قلمه إلى قضية عصره ·· مواجها تحديات الفلسفة المادية داعيا الى الايمان بالأديان ·· مقدما الى أهل عصره عصارة الثقافات القديمة والمستحدثة ·· الشرقية والغربية على السواء ·· من أجل بناء ثقافة عربية اسلامية عصرية · وكان عمله في هذا : دائرة معارف القرن العشرين ··

وتجرى حياة « فريد وجدي » الطويلة العميقة التي امتدت قرابة الثمانين عاما على أرجح الأقوال في أربع مراحل كبرى :

١ ـ مرحلة بناء الشخصية ٠
٢ ـ العمل الصحفي الوطني ٠
٣ ـ الموسوعة والأعمال الكبري ٠
٤ ـ الصحافة الاسلامية ومجلة الأزهر ٠

***

وقد كان « فريد وجدي » مؤمنا بحاجة المفكر إلى تخليص دماغه للعمل الذهني ، ومن هنا حرر نفسه من قيود كثيرة ٠٠ هي قيود العمل الوظيفي الذي رفضه في أول حياته وقيود العمل الرتيب في الصحافة ٠٠ وهو عمل شاق مرهق يقتل الأعصاب ٠ وأمضى حياته منطلقا إلى غايته في البحث عن المعرفة والتماس الحقيقة فيلسوفا لا يذهب مذهب الأغراب ٠٠ وباحثا لا يستعلي بعلمه ٠٠ ومساجلا سمحا ما ان يدخل في جدل مع كاتب أو باحث حتى نراه مثلا عاليا للخلق والانصاف ٠

ولاشك كان فريد وجدي رائد مدرسة فكرية عصرية سلفية ٠٠ تجمع بين القديم والجديد ٠٠ والشرق والغرب ٠٠ والحضارة والدين ٠٠ وتحاول أن تزاوج بينهما على منهج جديد ، يختلف عن منهج الباحثين من رجال الدين والعلم على السواء ٠٠ ويمكن ان يقال ان كتابات الدكتور محمد حسين هيكل وعباس محمود العقاد ومحمد أحمد الغمراوي ومحب الدين الخطيب هي متابعة لمنهجه واستمرار لفكرته ٠

مفاهيم فريد وجدي وفلسفته

يكشف فريد وجدي من خلال الاطار الذي رسمته حياته الفكرية بين الصحافة والتأليف والترجمة وبين الموسوعة والكتاب ٠ ومن خلال الوف الصفحات التي حررها منذ أن بدأ يكتب عام ١٨٩٦م الى أن توقف قلمه قبيل وفاته بآخر كتاباته في مجلة الأزهر في فبراير عام ١٩٥٢ والى أن توفى في ١٩٥٤ انه صاحب « رسالة » حمل لواءها نيفا وخمسين عاما لم

يتوقف ·· وقد بدت هذه الرسالة واضحة أمام فكره منذ اليوم الأول وظلت تمضي كالنهر تعمل وتمتد حتى نهاية عمره فهو من أولئك المفكرين الانسانيين الذين تملكهم فكرة واحدة كبرى يعيشون لها حياتهم ويدافعون عنها بكل ما يملكون من أسباب ووسائل وأسلحة ·· ومن أجل هذه الرسالة التي آمن بها فريد وجدي عاش حياته وجرد نفسه لها فلم يخلط بها شيئا من مطالب الحياة - أو لذات العيش · وقد ملكت عليه وقته وماله فلم تصرفه لعمل آخر · ولم تكن إلا لذته الكبرى التي تملأ عليه حياته كلها ·· ومن عجب أن رسالة فريد وجدي انما كانت في جذورها الأولى تمثل أزمته الشخصية أزمة عقله وروحه فلما أتيح له أن يقرأ أو يبحث ويهتدى جعل منها قضية كلية عامة للناس جميعا ·· ذلك بأن نظريات الالحاد والتشكيك في العقائد والأديان كانت أزمة العصر في مطلع شبابه ·· وقد حاول أن يجد حلا لها عند المتصدرين للعلوم الدينية فعجزوا عن أن يحققوا رغبته أو يقدموا له الهداية واليقين فلما وصل الى ذلك عن طريق دراسة الأديان وعالم ما وراء المادة دعاه ذلك كله الى أن يندب نفسه ليكاشف به بني قومه ، وأن يحمل لواء العمل لرد الشبهات ، ودحض الاتهامات المثارة ضد الاسلام والأديان ·· وعالم ما وراء المادة ··

ومن خلال مؤلفاته المتعددة وصحفه وأبحاثه ودراساته المتوالية في حلقات حياته المختلفة كان مرن العبارة ·· واسع الأفق ، قادرا على الاستيعاب من الموسوعات والمؤلفات الغربية ·· وقد تطور اسلوبه وانصقل مع الزمن حتى غدا في الاربعينات غاية في المرونة والسلاسة ·· ولكنه عاد في كتاباته لمجلة الأزهر الى اسلوب اكثر فخامة وبلاغة ·· مما يكتب فيه في الصحف والمجلات ·· ولعله كان يحرص على بلوغ اكبر قدر في نفوس قرائه في مختلف اجزاء العالم الاسلامي ·

***

وقد كان فريد وجدي يستطيع أن يكون أديبا ·· وهو أديب وشاعر

وله نظم جميل ·· ويستطيع أن يكون صحفيا عالميا ·· وأن يكون عالما اجتماعيا ·· فقد بدأ حياته بدراسات العمران وعلم الاجتماع ·· وأن يكون مؤرخا ·· وأن يكون كاتب تراجم ، ولكنه آثر ذلك الخط الواحد الذي بدأ منه ومضى عليه طوال حياته ·· ذلك بأنه لم يكن من المتطلعين أساسا للشهرة أو المنصب أو المال ·· وإنما كان يستهدف أن يرضى نفسه وضميره بأن يحرر العقائد ويصحح المفاهيم ، ويدفع عن الدين والروحية والاسلام والانسانية كل اتهام ··

عالمية الاسلام

يقول المؤلف « دراسات الاسلام » هي القضية الكبرى لفريد وجدي التي عالجها من خلال مختلف قضايا الفلسفة المادية والعلم والدين ·· ومن خلال كتاباته السياسية والاجتماعية جميعا ·· ثم اتيح له في السنوات العشرين الأخيرة أن يشرف على تحرير مجلة الأزهر ·· فيتخصص فيها ويوسعها بحثا ومجمل رأى فريد وجدي في الاسلام من عصارة عشرات المقالات التي كتبها عنه يتلخص في اثنتي عشرة نقطة ·

١ ـ الاسلام دين اجتماعي عمراني يؤاخي بين مطالب الروح والجسد ، لم يأمر بنبذ الدنيا ·· ويحض على الأخذ منها بأكبر نصيب ·

٢ ـ لم يحجر على العقل اطلاقه ، بل جعل له الحكم الفصل في المعتقدات والمعاملات ·

٣ ـ لم يبطل حرية البحث بل اطلقها ، وجعل السلطان للحجة والبرهان ·

٤ ـ حث على النظر في الكون ، وتسخير مواده ونواميسه ·· والسير في الأرض للاعتبار باحوال الأمم وأخذ ما يصلح منها ·

٥ ـ لم يأت من العبادة الا ما يفيد الشخص في روحه وجسده ·

٦ ـ لم يغمط حق الجسد ، ولم ينكر مقتضيات المادة ،

٧ ـ قرر دستور العلم ، **فدعا** الى عدم الانخداع بالأوهام ، ولا يغتروا بالظن وأن يسألوا أهل الذكر ، وألا يقولوا بغير دليل ، وأن يعملوا

عقولهم فلا يقلدوا أحدا وأن يكونوا أحرارا في النظر لا يصدهم عن ذلك شيء ·

٨ ـ أمرهم بتعمير الأرض والتنافس في الصنائع والفنون النافعة ·

٩ ـ جعل للمبتكرين الثواب في قوله : « من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها » ·

١٠ ـ فتح للناس باب الاجتهاد في فهم الحياة فلم يقصرها على طائفة خاصة من الناس ·

١١ ـ ناط بكل انسان تبعة أعماله واعتقاداته ·

١٢ ـ وسع للناس باب المعاملات ، وأوصاهم بحسن معاملة الأجانب عن ملتهم وبرهم ·

***

والحق أن هذه الصورة للاسلام هي من أدق ما كتب عنه وضوحا وعمقا ، وبساطة وشمولا ، وعنده أن الاسلام حاصل على جميع المقومات الأدبية التي تجعله دين الكافة في كل زمان ومكان ·· وبأنه في غير حاجة لاصلاح جديد ·· وان اسلافنا قد قاموا منه على طريقه ·· فنحن ندعو اليها ونشيد بذكرها ··

واذا كان فريد وجدي قد بلغ هذا الحد من النضوج الفكري في قمة العمر ، فان عمق فهمه يبدو واضحا منذ فجر شبابه حيث تنبه إلى التجديد والتطور ·· وأكد أن هذه الأمة لا تستطيع أن تتخلى عن الدين ·

ويؤمن فريد وجدي بأن الاسلام يدعو إلى تأسيس مدينة فاضلة ويتحدث عن هذا في كثير من أبحاثه ·

***

وهكذا عاش فريد وجدي يؤمن بأن الاسلام هو نهاية الفكر الانساني ، وأن الانسانية بعد طول حيرتها حول المذاهب والدعوات والأفكار لن تجد حلا لمشاكلها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية إلا

في الاسلام ·· وعنده أن المدنية الصحيحة لا تنافى الدين الحق ·

ثم هو حفى بأن يصور عالمية الاسلام من حيث مناعته في جميع أدوار حياته في مواجهة كل أزمات الالحاد والتشكيك ·

وهو حين يصور موقف الاسلام من العلم ، يرى انه لا يوجد دين من الأديان ، ولا نظام اجتماعي من النظم المعروفة قديما وحديثا يبلغ شأن الاسلام في رفع شأن العلم والتنويه بقيمته ، وفي الدعوة اليه ، والتعويل عليه ·

ويرى فريد وجدي ان الاسلام ، يستطيع أن يقاوم كل حملة يمكن أن تحملها عليه أي فلسفة في العالم ، وان ما يوجهه الفلاسفة الماديون انما يوجهونه الى أديان ليس أساسها العقل والدليل ·· وليس يتجه الينا منها شيء ·

ويرى فريد وجدي ان عالمية الاسلام ترجع الى أنه اخر الأديان الالهية : الدين العام لمجموع البشرية وانه يصبح دين الكافة غير منازع ·

***

وهو يرى من أسرار عظمة الاسلام وقدرته على العالمية انه قانون عام للأفراد والأمم ، وهو يؤكد قول « برنارد شو » بأنّ أوروبا قد لا يمضى عليها قرنان حتى تكون قد اتخذت من الاسلام دينا ··

محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن

حفلت كتابات فريد وجدي بدراسات واسعة عن « محمد » صلى الله عليه وسلم ، وعن القرآن الكريم : فقد بدأ منذ أن انشأ مجلة « الحياة » ١٨٩٩م يتناول سيرة الرسول على نحو علمي في فصول متعددة جمعها في كتاب « الاسلام في عصر العلم » ثم عاود البحث في سنواته الأخيرة في مجلة الأزهر فأمضى اعواما في دراسة سيرة النبي « صلى الله عليه وسلم » في ضوء العلم والفلسفة وفي مختلف المناسبات ··

أما القرآن فقد أولاه من دراساته كثيرا من البحوث وفي مقدمتها دراسته الضخمة في مقدمة « صفوة العرفان » وجملة رأيه أن القرآن اثبت ان للاجتماع نواميس ثابتة قبل أن يتخيلها أعلم علماء الأرض ٠

« سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا » « فهل ينظرون إلا سنة الأولين فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا » « ولكل أمة أجل فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون » ٠

ويرى أن القرآن هو موجد علم الاجتماع ، بأخص معانيه ٠٠ وليس موجده ابن خلدون ولا أوجست كومت ٠٠ وقد قرر علم الاجتماع أن شؤون الأمم تجرى على سنن طبيعية ثابتة لا تتغير بتغير الأزمنة والأمكنة ، هذا ما قرره العلم في القرن التاسع عشر ، قد سبقه الوحي الالهي في القرآن الذي قرر ذلك بأفصح عبارة ، وعندما شرع المسلمون في احياء موات العلم ، ونقل كتبه ، وانشاء تلك النهضة العلمية الضخمة ، كانوا مستهدين بالأصول الأولية للقرآن ٠

مساجلات ومعارك

يقول المؤلف : اذا عرضنا لمساجلات فريد وجدي ومعاركه كجانب هام لابد من مراجعته ٠٠ فاننا نستطيع أن نقول أولا ان حياة فريد وجدي الفكرية كانت معركة كبرى في مواجهة سجال واحد : هو سجال النظرية المادية للفكر الانساني ومحاولة مقاومتها للدين والعلم جميعا ٠ تلك هي القضية الكبرى ، أو المساجلة الكبرى التي تصدى لها فريد وجدي ، والتي دفعته إلى أن يحمل القلم ويقرأ ٠٠ ويهبها حياته كلها ، ويحرص على أن يمد هذه الحياة بالحماية لها ، والحفاظ عليها حتى تتسع للعمل على مواجهة الفلسفة المادية ٠

تلك هي معركة فريد وجدي الكبرى التي يقف بها في مواجهة كل خصوم الدين والروحية وما وراء المادة ٠٠ وقد كانت كتاباته في أول

أمرها ردا ومساجلة لدارون ، وبختر ، ومن ترجم لهما من أمثال « شبلي شميل » والدكتور صروف وغيرهما ·· كما واجه فريد وجدي طابعا آخر من المعارك ، هو معارك الانتقاص للفكر الغربي والحضارة الاسلامية ، ودور العرب والمسلمين في الحضارة الحديثة ، وما وجه الى « الاسلام » من اتهامات وشبهات ، وفي هذا كانت معركته الباكرة في الرد على « هانوتو وورينان وكرومر » وهي معركة لها طابعها الواضح في الدفاع عن الاسلام ، وفي التفرقة بين الاسلام نفسه دينا ونظاما اجتماعيا ·· وبين ما عليه المسلمون في العصر الحاضر ·

***

ثم كانت معركته مع « قاسم أمين » في شأن اطلاق الرأى في حرية المرأة ·· وضرورة الاستفادة من الاخطاء التي وقعت فيها التجربة في الغرب ·

ثم لا يلبث فريد وجدي بعد الحرب الأولى أن يواجه معارك اخرى من نوع جديد مع « طه حسين » بعد اصداره « الشعر الجاهلي » ·

وكانت له مع كل من « هيكل وزكي مبارك » آراء حول ما عرضاه في كتابيهما« ثورة الأدب » و « النثر الفني » ·

وعندما اثير أمر كتاب « مسائل في العلم » الذي كان يدرس في الجامعة الأمريكية ويحوى هجوما على الاسلام تقدم فريد وجدي بالرد على هذه الشبهات في فصول نشرت في جريدة الجهاد وجمعت في كتابه « الاسلام دين عام خالد » ·

***

أما في المرحلة الأخيرة من حياته حين تولى تحرير مجلة الأزهر ، فقد ظل فريد وجدي عشرين عاما كاملة يواجه كل ما يكتب عن الاسلام في المؤلفات والصحف الغربية تحت باب معروف لم يتوقف :· هو « دحض شبهات عن الاسلام » عرض فيه لآراء كثيرة ، مفندا في إفاضة وعمق ·

معارك الأدب وقضاياه

ثم يتناول المؤلف معارك فريد وجدي الأدبية مع الدكاترة « طه حسين » و « زكي مبارك » و « محمد حسين هيكل » حول ما ورد في كتبهم عن الشعر الجاهلي ، والنثر الفني ، وثورة الأدب٠٠ وهي معارك كان لها في زمانها شأن وأي شأن ٠٠ وقد كان ممكنا أن نعرض لها في هذا لولا ضيق المجال ٠



الصهيونيّة العالميّة

الأستاذ عباس محمود العقاد

المعروف عن المرحوم العقاد انه الخصم رقم واحد بين الكتاب العرب للشيوعية الدولية ·

ولقد خاض العقاد معركته مع الشيوعية كأشد ما تكون المعارك عنفا وضراوة ·· وما انخدع بها قط في يوم من الأيام ·· ومن قبل خاضها أيضا مع الفاشية والنازية ، عندما كان للفاشية والنازية نفوذ وسلطان !

بل لقد ظل العقاد منذ أن مارس صناعة القلم في اوائل هذا القرن العشرين وهو في كفاح موصول مرير مع كل انواع الدكتاتوريات ومع كل اعداء العدل والنظام واعداء الحريات ··

وعلى نحو ما خاض العقاد معاركه الطويلة المريرة مع كل من الفاشية والنازية وغيرهما واخيرا مع الشيوعية ·· خاضها ايضا في صمود مع الصهيونية العالمية خاضها في أكثر من كتاب من كتبه العديدة ، وفي عشرات من المقالات التي نشرتها له الصحف في مصر وفي العالم العربي ·

وليس من شك في أن من أقيم ما ظهر للعقاد في هذا المجال ، كتابه المشهور ـ الصهيونية العالمية ـ بل لعلي لاأراني مبالغا ان قلت إن كتاب العقاد هذا ، عن الصهيونية العالمية يعتبر أبرز ما ظهر في اللغة العربية من الكتب عن الفضائح الصهيونية ·

والعقاد يتحدث في هذا الكتاب عن الصهيونية العالمية ماضيا

وحاضرا ، فهو لايكتفى بحديثه عن الصهيونية كدولة قائمة مصطنعة ٠٠ وانما يعود بقارئه الى ماضي هذه الصهيونية العاتية منذ أن ظهرت في الوجود ٠

وقد لايكون جديدا على أي قارىء حصيف أن يقال له هنا ان الصهيونية ليست وليدة هذا العصر الحديث ٠٠ وانما هي عريقة في القدم عراقة اليهودية نفسها ٠٠ فالواقع انه منذ ظهرت اليهودية ظهرت معها هذه الصهيونية بجميع ماتتسم به من الخصائص ، وما يلازمها من الشذوذ ٠٠

وكأنما اخذت الصهيونية على نفسها عهدا منذ ان نشأت أن تعتزل غيرها ، وأكثر من ذلك ، ان تعادى كل العناصر والأجناس والأديان غير الاسرائيلية ٠٠

ولذلك كان لامحيص لها ان تستمر ـ على تعاقب العصور ـ في خصومة دائمة مع غيرها ، وان تكون هي البادئة دوما ، وهذا ما يثبته تاريخ اليهود ٠

يتحدث العقاد عن الصهيونية قبل الميلاد فينفي اولا ان تكون الصهيونية حركة دينية قديمة ، وانها مرتبطة بما ورد من الوعود للخليل ابراهيم عليه السلام ، وانما هي حركة سياسية تابعة لقيام الدولة وسقوطها في بيت داود ٠

كانت الصهيونية في الزمن القديم نزعة سياسية ، ثم ذهب الأمل في نجاحها السياسي ، فانقطعت العلاقة بينها وبين معناها الجغرافي ٠

وكما كانت الصهيونية القديمة ، فكذلك ايضا اختها الصهيونية الحديثة : كلتاهما وليدة السياسة والسياسيين ، أيا كان السبب الذي تستند اليه ٠

وجملة اسبابها ـ كما يذكرها المؤرخون لها ـ يقول العقاد : هي الاضطهاد ، وظهور الفكرة القومية ، ومطامع الاستعمار ٠

فهم يقولون ـ ولايملون تكرار القول ـ ان الاضطهاد هو علة

الصهيونية الأولى ، وان قيام الصهيونية يقضى على هذه العلة ، أو يمنع تجديدها ٠

ويقول العقاد : ان الاضطهاد نتيجة لداء مزمن في اليهود ، سيبقى معهم في دولتهم الجديدة ، كما كان معهم في دولتهم القديمة ٠

ويتساءل : من الذي اضطهد اليهود في مملكة سليمان حتى انقسمت على اهلها ، ثم انقسم كل شطر من شطريها على اهله ؟

ومن الذي اضطهدهم يوم تمردوا على كل نبي من انبيائهم ، وكل قائد من قادتهم ، وهم بعيدون من سلطان غيرهم ٠

ان القرآن الكريم قد وصفهم حقا حيث قال عنهم ـ تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ـ ولم يصفهم القرآن الكريم إلا بما وصفتهم به كتبهم ورسلهم من اقدم عصورهم الى ما بعد عصر المسيحية ٠

وفي غير هذه الكتب اجماع على غلظ رقابهم وشكاستهم ، وامتناع الوفاق بينهم وهذه هي الآفة التي لاتفارقهم في دولتهم الجديدة ، ومافارقتهم قط في دولتهم الغابرة حتى قضوا عليها قبل أن يقضى عليها اعداؤها ، وقد جروا على انفسهم الاضطهاد في كل بقعة وفي كل عصر ، وبين كل قبيل ، فليس من المعقول ان تكون العلة في غيرهم ٠٠ ثم يقول الكاتب : وانما آفة القوم الكمينة فيهم انهم كائن ممسوخ من الوجهة الاجتماعية ، لأنهم جماعة مقتضبة لم تصبح أمة ، ولم ترجع الى نظام القبيلة البدوية ، واشتبكت مع العالم وهي في مرحلة غير نامية ، وغير صالحة للنمو على حدة ، فكل علاج لها ميئوس من جدواه ، ما لم يغلبها العالم على طبيعتها ، ويدمجها اضطرارا في طوية أممه ، وسوف يكون ذلك لامحالة لأن غيره لن يكون ٠٠

ومنذ القرن الأول للميلاد لم يطرأ على الصهيونية جديد قبل القرن التاسع عشر ، فكل ما عرفه اليهود عن الصهيونية في عصر السيد المسيح بقى كما كان في القرون الوسطى ، وفيما تلاها من قرون النهضة والاصلاح الى أوائل القرن التاسع عشر ، أي الى القرن الذي يصح أن

يسمى في وقت واحد بعصر الثورة ، وعصر الاستعمار ، وعصر الصناعة الكبرى ، ولكل صفة من هذه الصفات علاقة باليهودية لاتخفى على النظرة العاجلة ، ولكنها تستحكم وتتغلغل في جميع الجوانب بعد انعام النظر اليها ٠

كان اليهود يعيشون في ارجاء الدولة الرومانية بين أناس يخالفونهم في العقيدة ، وكانوا يعزلون انفسهم عن المجتمع باختيارهم ٠

ثم ماذا ؟

يقول العقاد : وكلما كثرت الحروب وضح لابناء الأمم المختلفة أن هذا الشعب المسمى « اليهود » متفق عليهم ، متفاهم فيما بين ابنائه على ابتزازهم ، واستباحة اموالهم وأرزاقهم ٠

وحدث غير مرة أن اليهود كانوا ينصرون كل مغير على البلد الذي يقيمون فيه ٠٠ وحدث غير مرة انهم كانوا يصاحبون الجيشين المتقاتلين لشراء الأسرى ، وبيع المئونة ، وبذل القروض ، ثم يتقابلون على تفاهم عند تصفية الأعمال والمساومة ٠٠ فوقر في اخلاد الأمم انهم شعب غريب ٠

ويسجل التاريخ الأوربي على اليهود انه كانت لهم مشاركة في كل فتنة ، وكل اغارة ومما قيل وأصر القائلون عليه انهم أسسوا جماعة البنائين الذين اشتهروا باسم « الماسون » وقرنوا بين التعاهد على بناء الهيكل وبين هذه التسمية وما يتصل بها من المصطلحات والشعائر ٠

أما فكرة « الوطن القومي » فلم تنشأ قبل عصر النهضات الوطنية ، ولم يسمع فيه صوت لليهود الا لأن هذا العصر كان كذلك عصر الصناعة الكبرى ، وعصر الاستعمار ٠

وظلت فكرة الوطن القومي ، وفكرة الدولة اليهودية كالسحاب الذي يتشكل على حسب أوهام الناظرين اليه : حتى أوشك القرن التاسع عشر أن ينتهي دون أن تستقر على وضع محدود ، ثم تبلورت على شكل ثابت

في مؤتمر بال بسويسرة سنة ١٨٩٧ م وتم تشكيلها على الوضع الأخير بوعد بلفور بعد عشرين سنة ٠

وإذن فقد دخلت الصهيونية في دور العمل السياسي النافذ بعد هذا الوعد المشئوم : وعد بلفور ، وما تلاه من انتداب بريطانيا لادارة فلسطين ٠

ويخيل الى بعضهم من اليهود ومن العرب - يقول المؤلف (ان هذا الوعد منتزع أو مغصوب بحكم الضرورات الحربية ولكنه في الواقع جزء من سياسة عامة تتناول الشرق الادنى برمته ومنه فلسطين وسائر البلاد العربية ٠

ان الواقع المحقق في مسألة الصهيونية ان اليهود يستغلون الدول ٠٠ والدول تستغلهم ٠٠ وهذا الواقع المحقق وحده هو الذي يقرر لنا أن العامل المهم في بقاء الصهيونية بفلسطين يتوقف على ارادة الأمم العربية في نهاية المطاف ، فلن تدوم الصهيونية في الشرق الادني إذا عملت أمم العرب على أن تموت ولاتدوم ٠

وفي وسع الدول الكبرى أن تصنع كثيرا لاسرائيل إلا شيئا واحدا لاتستطيعه لأنه لايستطاع ٠

ليس في وسعها ان تقيمها على قدميها ، وان تغنيها عن معونتها وهي لاتفتأ تستعين بها على نفقات الدفاع ، ونفقات الايواء والتعمير ، وسداد الديون ، وان طال صبرها على معونتها فليس في وسعها ان تضمن لها دوام « التقلبات السياسية » في مصلحتها ، ولا ان تقتلع من طباع ابنائها جذور ذلك الداء الذي شكاه انبياؤها قديما ، وسيشكوه لامحالة اصبر الساسة من الأقوياء والضعفاء : داء الرقبة الغليظة وليس له ، دواء ٠

والصهيونية العالمية حقيقة واقعة ٠٠

هي قوة موجودة بأعمالها وآثارها ٠٠ موجودة بدعايتها واخبارها ،

موجودة بمقاصدها وغاياتها ولاحاجة بها الى وجود في صورة اخرى ما دامت موجودة بالأعمال والدعوة والغايات ٠

لكن هذه الصهيونية العالمية لاتعمل وحدها في هذا الميدان ، بل تعمل معها قوتان اخريان أكبر منها ، وهما : قوة المصالح الاستعمارية ، والتعصب الشديد على الاسلام ٠

* * *

ان الغربيين الذين يساعدون الصهيونية العالمية لايساعدونها حبا لها فما في الناس أحد يحب الصهيونية ، والصهيونيون انفسهم لايحب بعضهم بعضا حتى في فلسطين ٠٠ وانما المسألة هنا خدمة للمصالح الاستعمارية ، وعداوة للاسلام وليست محبة للصهيونية ٠

هي ـ اذن ثلاث قوى تعمل في قضية فلسطين : قوة الصهيونية العالمية ، قوة المصالح الاستعمارية ، وقوة التعصب على الاسلام ٠

والمؤلف هنا يضع النقاط على الحروف ! انه يعلنها صريحة كل الصراحة ٠

فلااظن هذا الذي يقرره لنا هنا بكل وضوح في حاجة الى اي تعليق !

فلننتقل إذن الى موضوع آخر : موضوع يقول عنه المؤلف الطوابير الخامسة للصهيونية العالمية في ميادين السياسة والاقتصاد ٠

وفي ذلك يقول : الطوابير الخامسة هي مصدر القوة الكبرى للصهيونية العالمية ، لأنها منتشرة في كل بلد ٠٠ متفقة على الحقد والضغينة ، وان لم تتفق على المحبة والخير ، مطلعة على اسرار الدول ، وأسرار الشركات ، وأسرار المجتمعات ، ولا توجد قوة في العالم تنتشر هذا الانتشار ، وتتفق على الحقد والضغينة هذا الاتفاق ، وتطلع على الاسرار ، وعلى وسائل استغلالها هذا الاطلاع ٠

وقد يكفينا هنا أن نشير الى مثالين اثنين من أمثلة عديدة أوردها المؤلف ، المثال الأول في الميدان الاقتصادي « الأخوة روتشيلد » يقول المؤلف عنهم : يوجد في العالم افراد من ملوك المال امثال مورجان

وروكفلر ولكن لايوجد فيه ملوك مال من قبيل الأخوة روتشيلد : روتشيلد بريطاني في لنـدن ، وروتشيلد فرنسي في بـاريس ، ورتشيلد الماني في برلين ، وروتشيلد نمسوى ، في فينا ، وحولهم شبكـة محكمة في السر والعلانية تحيط بالأسواق ودواوين الحكومات ٠

المثال الثاني من رجال الطابور الصهيوني العالمي في الميدان السياسي يذكره المؤلف الكبير ، ليس من عندياته ـ كما سترى ـ وانما استنادا الى صحيفة اليهود الرسمية المعروفة « جويش كرونيكل » فمن هذا الرجل ، انـه « شرشـل » الذي كان يقـول ولايـداري خبيئـة صـدره « انـه صهيوني » ٠

ويعلق المؤلف قائلا : هذا طابور من الطوابير الصهيونية الخامسة التي تعمل للسيطرة العالمية ٠٠ ثم يقول : وان هذا الطابور الخامس لواحد من طوابير كثيرة ٠ فان يكن في الأمر عجب فليس هو العجب لنفوذ الصهيونية في العالم ٠٠ بل العجب ألا يكون لها في العالم نفوذ اكبر من هذا النفوذ !!

لكن هل هذه وحدها هي الطوابير الخامسة للصهيونية العالمية ؟

ابدا إن الصهيونية العالمية لاتكتفى بطابورها الخـامس في الميدان السياسي ، أو طابورها الآخر في الميدان الاقتصادي !

ان هناك طابورا آخر لها في الميدان الثقافي ٠

والصهيونية العالمية ـ كما يشير المؤلف ـ تتوسل الى السيطرة على الثقافة والفنون بوسائل كثيرة ، ومن هذه الوسائل :

أولا : وسيلة الصحافة العالمية ٠

ثانيا : وسيلة الشـركات التي لهـا اتصال وثيق بـالصحافـة ولاسيما شركات الاعلان ٠

ثالثا : شركات النشر والتوزيع ٠

رابعا : هيئات الثقافة العالمية ٠

وهذه الوسائل الأربع كافية مع التضامن والتآلف لتمكين الصهيونية

من السيطرة على الكتابة والقراء سيطرة لاتتيسر لقوة عالمية اخرى ٠

تتمكن الصهيونية العالمية من الصحافة بالمساهمة في رؤوس الأموال ، والمساهمة في التحرير والمراسلة وبالمساهمة في السبق الى الأخبار والاسرار ٠

ولكن الوسيلة النافذة هي الوسيلة الثانية ، وهي شركات الاعلان ، فالصحف التي تطبع الملايين في البلاد الغربية لاتستغني عن الاعلانات ولاتأتى لها تعويض النفقات الكثيرة بثمن البيع أو الاشتراكات السنوية ٠

والصحيفة التي تجازف بالموت هي الصحيفة التي تهاجم الصهيونية العالمية ، أو تناهضها في دسيسة من دسائسها فان المساهمين في رأس مالها يهددونها ويحرجونها في مجالس الادارة فان لم تكن للصهيونية حصة كبيرة من رأس مالها ولم يكن لهم دخل في تحريرها واداراتها فهناك الاعلانات التي تعول عليها ولاتستغني عنها فانها تنقطع عنها فجأة وتتركها عرضة للافلاس ٠

وتأتي الهيئات العالمية بعد هذه الهيئات المشتغلة بالصحافة أو النشر او الاعلان والدعاية تأتي بعد ذلك هيئات عالمية لاتخطر على البال لأول وهلة ، لأنها مفروض فيها ان تعمل لخدمة الأمم الانسانية جميعا ، ولكنها لاتعمل لخدمة أحد كما تعمل لخدمة الصهيونية العالمية ٠

من هذه الهيئات العالمية الهيئة المعروفة باسم ـ اليونسكو ـ والتي يقال انها مجعولة لخدمة الثقافة الانسانية في ارجاء العالم ، والتي تتقاضى المال من كل احد غير الصهيونيين ٠

فهذه الهيئة العالمية ـ الانسانية ـ ينتشر في دواوينها الصهيونيون بين امناء السر ورؤساء المكاتب ، ومديري الحسابات ، وزمرة المحررين والمسجلين ، ولم تعمل حتى اليوم عملا اظهر واجهر من اعمالها في خدمة الصهيونية ومحاربة اعدائها ٠

والحديث سيطول ويطول لو اردنا ان نعرض لحديث المؤلف عن بقية

انواع الطوابير الخامسة للصهيونية العالمية ·

فلنتجاوز ذلك ·· الى حديثه عن اساليب الصهيونية العالمية في العصر الحاضر حيث نراه يقول :

تختلف أساليب الصهيونية بين عصر وعصر على حسب اختلاف الحوادث والأفكار والمناسبات واختلاف وسائل الاقناع والدعاية والتأثير ولكنها في جوهرها شيء واحد تتلخص في استطلاع الاسرار والخفايا وتسخير سلطان المال لاستغلال الحركات الاجتماعية والعلاقات بذوي النفوذ والاتجاه بها الى الوجهة التي تحقق لها مصالحها واغراضها ·

وينبغي ان نعلم انها بطبيعتها اساليب هدم ومقاومة وأساليب غش وتضليل ولا مناص لها من ذلك إلا اذا خرجت على طبيعتها وتخلت عن وجودها لأنها لا تستطيع البناء والتعمير ولاتستطيع الامانة والعمل الصريح ·

كذلك لاتستطيع الصهيونية العالمية ان تسود بغير الخداع والتضليل لأنها لاتعمل بسلطان القوة الظاهرة او بسلطان الملك والسلاح ، وانما تعمل بسلطان المطامع والمنافع والشهوات من وراء ستار فلابد لها على الحالين من أساليب الهدم واساليب الخداع ·

لهذا تبادر الصهيونية الى استغلال نفوذها في اثارة الفتن والقلاقل ، وتظفر الفتنة بتأييدها كلما توقعت منها الامعان في الهدم والفوضى !

وقد اشتركت الصهيونية في كل حركة من حركات الهدم والتدمير ·· وآخر ما اشتركت فيه ـ ولا تزال مشتركة فيه ـ حركة الشيوعية في العصر الحديث ·

وربما كان الصهيونى من اصحاب الملايين ولكنه يحرص على نشر الشيوعية ويمولها بالمال والدعاية ، ويواليها بالدسائس والمؤامرات في مجتمع السياسية الدولية ·

ومن المعلوم قبل هذا ان امام الشيوعية الأول هو ـ كارل ماركس ـ اليهودي وان منافسه في المانيا ـ لاسال ـ من سلالة اليهود !

ومن أساليب الصهيونية العالمية استغلال الحركات الاجتماعية ، والاتجاه بها الى الوجهة التي تريدها ·

ومع استغلال الحركات الاجتماعية تعنى الصهيونية في كل وقت باستغلال المراكز العالمية والعلاقات الشخصية باصحاب النفوذ من حكومات العالم جميعا ، وحكومات العالم الكبرى قبل سواها ·

فما من رئيس ذي سلطان في السياسة الدولية وفي سياسة قومه يتركه الصهيونيون بغير رقابة منهم على القرب تحيط بـه وتنفذ الى اسراره ونياته وتبذل له الخدمة التي يتعودها ويتوهم مع الزمن انه لايستغنى عنها فلا يزال معولا عليها في كل عمل يفكر فيه أو يقدم عليه ·

وفي الوقت الحاضر كل جهود الصهيونية العالمية تنحصر في غاية واحدة ، وهي انقاذ اسرائيل من قضائها الذي تخشاه ·

ولاسبيل الى ذلك في تقدير الصهيونية وفي الواقع الذي يراه غيرها كما تراه الا بوسيلتين :

أولاهما الصلح مع العرب ·

والاخرى : استبقاء نفوذها في البلاد الأمريكية ·

فالواقع ـ يقول العقاد ـ ان اسرائيل هالكة لامحالة اذا استمرت مقاطعة العرب لها سياسيا واقتصاديا بضع سنوات اخرى !

ولهذا يتعمدون خلق المشكلات بين اسرائيل والبلاد العربية عسى أن يؤدى البحث في المشكلات الى البحث في الصلح ·· وعسى أن يؤدى البحث في الصلح الى فك الحصار السياسي والاقتصادي عن الدويلة القائمة على غير اساس !

لكن : ماهو مصير الصهيونية العالمية ؟

في عبارة موجزة صريحة يقرر العقاد ان الصهيونية العالمية قوة مولية ·· وان عوامل الزوال التي تحدق بها اكثر من عوامل الثبات ·

ولهذا المصير ، ولهذا الزوال اكثر من سبب واحد يشرحه مؤلف الكتاب ، ويعنينا هنا ان نشير الى واحد منها وهو مقاطعة العرب

لاسرائيل ، وفي هذا الصدد يقول :

اذا كان هناك شيء يتفق عليه العرب والصهيونيون ، ويتفق عليه من يكتبون لمصلحة القضية العربية ، ومن يكتبون لمصلحة الصهيونية فذلك هو الحقيقة التي تبدو لأول نظرة ، ثم تبدو مؤكدة مرددة بعد مائة نظرة : ان اسرائيل لاتحتمل البقاء مع مقاطعة العرب لها ، فاذا قاطعها العرب وثابروا على مقاطعتها فليس في الأرض قوة تنصرها عليهم وليس بالعرب من حاجة الى سلاح يدفعون به خطرها امضى من هذا السلاح ٠

واسرائيل بعد لايمكنها ان تعيش ـ اذا ما قدر لها ان تعيش ـ إلا باحدى وسيلتين اولاهما ان تظل عالة على التبرعات والمعونة الخارجية بغير انقطاع ولاتستطيع دولة ان تعتمد على هذا المورد في تدبير وسائل البقاء الطويل ٠

والوسيلة الاخرى ان تعيش بمواردها في صناعتها ومرافقها التجارية والاقتصادية وليس في استطاعتها ان تعيش بمواردها الصناعية وثروتها الاقتصادية حين يتقدم العرب في الصناعة ، وحين تصبح لهم تجارة تناسب هذا التقدم في اخراج المصنوعات ٠

اذن ماذا ؟

اذن لابد من وسيلة للحيلولة دون اي تقدم يحرزه العرب في مجال الصناعة والاقتصاد ٠

واذن ـ وهذا ما يقوله الكاتب هنا في كلمات واضحة كل الوضوح : فتعجيز البلاد العربية ـ الى الأبد ـ شرط لازم لبقاء اسرائيل معتمدة على مواردها ، غير معتمدة الى غير نهاية على صدقات المتبرعين ومعونة الحماة والنصراء من الدول الأجنبية ٠

ينبغي ان تظل البلاد العربية عاجزة عن التقدم الصناعي ، فريسة للمستغلين من الصهيونيين لتعيش اسرائيل بثروتها وموارد صناعتها ٠

ينبغي ان يضرب الحجر الأبدى على بلاد العرب فلا تكون لها قوة تزيد على قوة اسرائيل في ميدان القتال ، ولاتكون لها صناعة تعول

عليها ، وتستغني بها عن الصناعة الصهيونية في ايام السلام !

ويتابع مؤلف كتاب ـ الصهيونية العالمية ـ كلامه في هذه النقطة ·· الى ان يقول :

اذا كان رجحان الصهيونيين في عدة الحرب واجبا متفقا عليه ، وخطة مقررة في عرف حماة الصهيونية ـ فليس من المعقول ان يسمح للعرب بالرجحان في عدة الصناعة وموارد الثروة والمال ، ولاحاجة الى قراءة الضمائر الخفية للعلم بالمقاصد المبيتة للعرب جمعـاء ، فلن تقف تلك المقاصد دون تعجيز العرب في ميدان الحياة العصرية ، وتقييد نهضاتهم وبرامج الاصلاح في اوطانهم ـ كلما عملوا على تدبير ثروتهم ، وتـوفير مصنـوعاتهم ، والانتفـاع بخامـاتهم ، والاستغناء بهـا عن السـادة المتحكمين ، او السادة المستغلين في اسرائيل !

وهذه هي الصهيونية المستعمرة !

وهذا هو الاستعمار الصهيوني الذي لايدانيه في الخـطر استعمار قديم ولا حديث ، لأنه يوصد طريق التقدم ـ من جميع جهاتـه ـ امام ثمانين مليونا ليستغلهم مليونان ، ولا ينتهى هذا الاستغلال بعد حين قصير أو طويل ، بل يزداد ويتفاقم مع الزمن ، وتتـواطأ عليه القـوى البارزة والمستترة ، ممن يسمون هذا المسخ الابدي توازنا في الاستعداد والعدة بين العالم العربي وعصابة صهيون ·

وبعد ·· فلا اظنه في حاجة الى تعليق هذا الذي يقوله الاستاذ العقاد عن حقيقة الصهيونية العالمية ، وحقيقة اهدافها ومخططاتها ومؤامراتها ومناوراتها ·· وعن بشاعة الخطر الذي مايزال يقف بالمرصاد من جانب اسرائيل بالنسبة للأمة العربية جمعاء ·

فلنقف عند هذا ·· وليكن ختاما لهـذا العرض المختصر لكتـاب ـ الصهيونية العالمية ·

أضواء على الصهيونيَّة

الأستاذ علي السَّعدني

ما من شك في أنه برغم ضخامة عدد الكتب التي صدرت عن الصهاينة أو الصهيونية في السنوات الماضيات ·· وفي مختلف اللغات ·· فالواقع أن مجال القول في هذا المجال ·· سوف يظل « ذاسعة » حافلا بكل جديد ·· وبكل غريب وعجيب ·· وأحب أن أسأل : ماذا أصبحت كلمة صهيونية تعني اليوم في نظر محبي السلام قاطبة ؟

وما هو المعنى الذي توحيه في النفوس ؟! يبدو لي بصورة لا تقبل أي جدل ·· أن أول ما يفهمه الناس جميعا من كلمة « صهيونية » هو « الجريمة »·· فهل يختلف في هذا اثنان ؟!

الجريمة هي التفسير الحقيقي لكلمة الصهيونية ، يؤيد هذا التفسير تاريخ أسود ·· لليهود منذ أقدم العصور · تاريخ كله جرائم في أسوء الصور ، وفي أقبح الألوان ··· واليهود هم الصهاينة ·· لا فرق ثمت ولا تمييز فاذا كان قد ظهر في الفترة الأخيرة من قال بعكس هذه الحقيقة ، فهو في رأينا لا يخلو من أحدى صفتين : إما خادع ، وإما مخدوع ··

***

على أي حال فسيكشف لنا هذا الكتاب « أضواء على الصهيونية » عن الكثير ·· الكثير من الحقائق الرهيبة عن اليهود الصهاينة ·· أو الصهاينة اليهود ··

يقول المؤلف في المقدمة :

بعد مضي ما يقرب من أربعة عشر قرنا اتضح لقلة من رجال الفكر الاسلامي والعربي أن بني اسرائيل الذين عاشوا في رعاية الاسلام ، وحماية المسلمين كانوا يظهرون للمسلمين غير ما يبطنون ٠٠ كانوا يتملقونهم في الظاهر ٠٠ ويبغضونهم في الباطن ٠٠ يتوددون اليهم ٠٠ ويضمرون لهم السوء ، ويتجسسون عليهم ، ويتآمرون ضدهم ، ويبيعون الأسرار التي اطلعوا عليها بحكم مهنهم سواء أكانوا يحترفون الطب ، أو يشتغلون بالترجمة أو يعملون في الشؤون المالية والتجارية ٠٠

وبعد مضي ما يقرب من أربعة عشر قرنا اتضح لقلة من رجال الفكر الاسلامي والعربي أن بني إسرائيل الذين عاشوا في رعاية الاسلام والمسلمين كانت لهم سياسة عدائية ضد الاسلام الذي رأوا فيه خطرا على مصير اليهود ٠٠ لذلك أعلنوها حربا سافرة في عهد رسول الله ٠٠ فلما جاء نصر الله والفتح ، ودخل الناس في دين الله أفواجا ٠٠ أعلنوها حربا سرية ٠٠ والحروب السرية تتسم عادة بالمكر السيء ٠٠ والخديعة والدهاء الخبيث ٠٠ وكانت معاركهم الخفية من طرف واحد ٠٠ لأن الطرف الآخر لم يفقد ثقته في بني إسرائيل بل ان من الخلفاء من استوزر بعضهم ورفعهم الى أعلى مناصب الدولة ٠٠

ثم ماذا أيضا ؟

يقول المؤلف :

وبعد مضي ما يقرب من نصف قرن ٠٠ تبين للعالم الاسلامي وللشعب العربي أسرار المؤامرة الكبرى التي رسم خطوطها وأشرف على تنفيذها كل من الاستعمار والصهيونية العالمية والتي كان من نتائجها :

١ ـ الغاء الخلافة الاسلامية التى دامت أكثر من ثلاثة عشر قرنا ٠٠

٢ ـ تصفية الامبراطورية العثمانية الاسلامية ، وتحويل تركيا العظمى

الى تركيا الصغرى ، والوقيعة بينها وبين الدول العربية لفترة غير قصيرة ..

ومازالت الصهيونية العالمية وبعض الدول الاستعمارية تنفذ سياستها العريقة في الوقيعة بين الدول الاسلامية والدول العربية بعضها البعض حتى لا تتفق كلمتهم ولا تتحد نظمهم فيخضع بعضهم لنظم مستوردة لا تمت الى تراثهم الروحي بصلة . كما خرجت حكومات بعض الدول الاخرى عن الخط الاسلامي .. وبذلك اختفت وحدة الصف وتباعدت وحدة الهدف ، وارتدى عملاء الصهيونية والاستعمار ورجالاتهما أقنعة عربية وإسلامية كما حدث بالنسبة لمهزلة « لورنس » .. ومأساة « جلوب » ..

وأخيرا وليس آخرا : قبضت الصهيونية من الاستعمار البريطاني ثمن تعاونها معه قطعة نفيسة مقدسة عزيزة على كل العرب والمسلمين والمسيحيين استولت عليها الصهيونية وجعلت منها « نصل خنجر » و« رأس حربة » في قلب الدول العربية **وجعلت تتسع في رقعتها، وهدفها تحقيق وعد في التوراة المحرفة، هو ذاته وعد محرف..** ثم يقول المؤلف :

ولسوف يجد الباحث ان أكبر الاخطاء الجسيمة التي وقعت فيها الدول الاسلامية والحكام المسلمون والعرب انهم خرجوا على أوامر الدين وأحكام القرآن الكريم وسنة الرسول والخلفاء الراشدين وأنهم لم يفطنوا الى إحدى مظاهر الاعجاز في كتاب الله بالنسبة للخطر الاسرائيلي فقد حذرنا الله سبحانه وتعالى منهم في عشرات الآيات وكان يكفي أن يذكر « وان كان مكرهم لتزول منه الجبال » حتى نعزلهم عن المجتمعات الاسلامية .. أو نبعدهم عنا ..

***

ولسوف يجد الباحث أن لبني إسرائيل سياسة قديمة تمتد جذورها - غير المرئية - في أعماق التاريخ ، الى أن تصل الى سنوات كتابة التوراة

المحرفة التي كتبت خلال ثمانمئة عام بأربع لغات مختلفة ٠٠ كما سيجد الباحث ان لبني اسرائيل أهدافا عدائية ضد بني البشر ، رسمها لهم أحبار التلمود ، وان حاخامات بني اسرائيل كانوا حريصين على أن تظل سياستهم العدائية لبني الانسان حية خلال فترات التشتت في العالم والتقوقع والانطواء داخل احيائهم ٠٠ حية مختفية في زوايا قلوبهم المريضة ٠٠

وعندما استطاع بنو اسرائيل أن ينتصروا على الكنيسة خلال معارك خفية انتهت بالنصر الرهيب الذي اطلقوا عليه اسم الثورة الفرنسية ٠ انطلقوا يعيثون في الأرض فسادا ٠ **يعبثون** بثروات الشعوب وحرياتها تحت شعارات مزيفة تخصصوا في إطلاقها ، فكانت الشعوب تئن تحت وطأة الظلم والاستبداد والاستغلال تحت شعار : الحرية والمساواة والاخاء ٠٠

ولسوف يجد الباحث أن قادة بني اسرائيل قد جمعوا شتات الأفكار الخبيثة التي حافظ عليها احبارهم في الصدور ، في ملحمة تقطر سما زعافا ، أطلقوا عليها اسم « محاضر بروتوكلات حكماء صهيون»تشرح السياسة التلمودية ، وتوضح خطوات تنفيذها وكان من حسن طالع البشرية أن وقعت نسخة من البروتوكولات في أيدي من اذاعوا سرها ونشروها في الصحف والمجلات والكتب فثار الرأي العام العالمي ضد اصحاب البروتوكولات ٠٠ فسارع قادة بني اسرائيل الى إنكارها وتكذيبها ، ورفعوا دعوى ضد من نشرها فكانت قضية الجيل ٠٠ حيث اصدر القضاء السويسري العالمي حكما يقضي بصحة«محاضر بروتوكلات حكماء صهيون»وطالب الحكومة السويسرية بتعقب اصحابها وطردهم من البلاد ٠

***

ونظرا لأهمية البروتوكولات وخطورتها فقد حرص المؤلف على نشر نصها بالكامل ونشر ملخصها ٠٠

وفي صفحات متتابعة مسهبة يتحدث المؤلف عن توراة اليهود المحرفة ثم عن التلمود ·· وهو أخطر كتب اليهود ، وهو دستورهم الديني الذي يؤمنون به ويسيرون عليه ولا يحيدون عنه قيد انملة ··

يقول المؤلف : ويعتقد اليهود أن التلمود وجد قبل الخليقة ولولاه لزال الكون !!

« وأن الله قد منح اليهود السلطة على جميع مقتنيات كل الشعوب »··

وسخر الله لشعبه المختار الحيوان والانسان لانه يعلم ان اليهود تحتاج لنوعين من الحيوان »··

نوع اخرس كالدواب والحمير !!

ونوع ناطق كالمسيحيين والمسلمين والبوذيين من اهل الشرق والغرب فقد سخرهم لنا لخدمتنا ·· الخ ·· الخ ··

● **من وصايا اليهود** أن يبذل جهده لمنع امتلاك باقي الامم في الارض لتبقى السلطة لليهود وحدهم ··

● اذا جاء الاجنبي واليهودي أمامك بدعوى ·· فاذا امكنك ان تجعل اليهودي رابحا فافعل ·· واستعمل الغش والخداع في حق الاجنبي حتى نجعل الحق لليهودي ··

● يجوز لليهودي ان يحلف يمينا كاذبة وخاصة في معاملاته مع باقي الشعوب ، واليمين جعلت لحسم النزاع بين الناس اما لغير اليهودي من الحيوان فلا اعتبار لها ··

ويجوز لليهودي ان يشهد زورا ، وان يقسم بحسب ما تقتضيه الظروف ··

ان أشباه هذه الوصايا العجيبة متتابعة في التلمود ··

***

ويتحدث المؤلف عن حوادث « استنزاف الدماء » التي كان يمارسها اليهود ·· وهي حوادث بشعة يندى لها الجبين ··

بروتوكولات حكماء صهيون

يقول المؤلف : بعـد ان اورد النص الكامـل لبروتـوكولات حكمـاء صـهيون :

وخطورة بروتوكولات حكماء صهيون ـ وهي اشد فتكا من القنابل الهيدروجينية ـ انها تنفذ في الخفاء ٠٠ وتتسلل الى النظم والدسـاتير والقوانين لتجهز على المجتمعات تحت ستار شعارات خانقة قاتلة خبيثة برع في صياغتها وعرضها اخوان الشيطان ٠٠ وانها لا ترى ولا يسمع لها انفجار ، ولا تعقبها اشعاعات ذرية ولكن تأثيرها ينتشر كوباء اشد فتكا من الطاعون لا يبقى ولا يذر ٠٠ يقضي على كل ما هو انساني في المجتمع الانساني ٠٠فلم تعد مشكلة البروتوكولات قائمة حول جدل عن صحتها ، أو أنها مدسوسة على الصهاينة ٠٠ فقد انهى القضاء السويسرى العالى هذاالجدل عام ١٩٣٧ وانتهى إلى إدانة الصهاينة بتأليف البروتوكـولات للسيطرة على العالم ٠٠ولكن المشكلة الحقيقة ان البروتوكولات اصبحت خطرا حقيقيا على المجتمـع الانساني فقـد استعانت بهـا اجهـزة الاستعمـار في الدول الاستعمارية ٠٠ والتجأت الى كثير من بنودها أجهزة المخابرات في كثيرمن الدول ٠٠ ومما يزيد في خطورة الموقف أنه لا توجد لجان دولية لوقفاستعمال البروتوكولات وحماية حقوق الشعوب ٠٠ الخ ٠٠ الخ

وجهاز رهيب اسمه «اكيهيلا»

يقول المؤلف : ومعناها اللفظي « المحكمة العليا » وتعتبر اغرب جهاز في التاريخ ٠٠ وعلى عكس ما يفهم من اسمها فهي لا تتعرض للشؤون القضائية لليهود ٠٠ انما تعالج مستقبل اليهود في العالم على ضوء وعود التـوراة المقدسـة وتعليمات التلمـود ٠٠ وبنود بـروتوكـولات حكماء صهيون بالاستعانة بالمحافل الماسونية والجمعيـات السريـة واللجان الخاصة ٠٠

وتتولى « الكيهيلا » رسم السياسات المختلفة في كل دولة من دول العالم ، وتتولى لجانها المختلفة الاشراف على تنفيذ تلك السياسات والتنسيق بينها داخل الاطار العريض للسياسة التلمودية ٠٠

وتعتبر مدينة نيويورك المركز الدائم حاليا للكيهيلا حيث يقوم فيها اكبر جيتو في تاريخ اليهود ولم يكن اختيار المدينة الكبيرة لتكون مقرا للامم المتحدة ومجلس الامن نتيجة دراسات وابحاث الدول التي اجتمعت عام ١٩٤٥ في مدينة سان فرنسيسكو ولكن ذلك الاختيار كان بناء على قرار من الكيهيلا قبل اجتماع المؤتمر المذكور وقبل الهدنة مباشرة ٠٠

وقبضة الكيهيلا على نظام الحكم في الولايات المتحدة شديدة حتي صارت قراراتها شبه ملزمة للحكومة الامريكية كما ان قرارات الحكومة الامريكية تكاد تكون شبه ملزمة لكل من مجلس الامن والجمعية العامة للامم المتحدة ٠

وتعتبر الكيهيلا أن نشوب الحروب العامة أو المحلية من أخص اختصاصاتها كما أن نشوب الثورات الكبرى ٠٠ والفتن والمؤامرات الصغرى من صميم أعمالها كما أن نشاطها بالنسبة لتنظيم الحروب الباردة أو العبث بالبورصات العالمية وهبوط وارتفاع العملات المختلفة أو اضطراب الأسواق العالمية في مختلف الدول من شؤونها الخاصة ٠٠

والمهم أن نشاط الكيهيلا يمتد من تنظيم ثورة في المجر أو تشيكوسلوفاكيا الى العمل على وقف طبع كتاب مثل تاجر البندقية إلخ ٠٠ والكيهيلا هي التي تتولى رسم السياسة العليا الخاصة مثلا بالتحالف السري بين اليهودية والغرب المسيحي ضد الاسلام والمسلمين الى أن ينتهي الأمر في تقديرها بالقضاء على المسلمين ٠٠ ثم الانفراد بالمسيحيين لتحقيق الوعد المقدس بسيادة اليهود على العالم ٠٠

وهي التي تتولى رسم السياسة التي تقضي باضعاف الطبقات المتوسطة ، وانحراف الشباب ٠٠ وانحلال المرأة ٠٠ التي ترى في

قوتها معوقات لقيام الامبراطورية العالمية اليهودية ..

والكيهيلا هي التي تتولى رسم الخطة لحماية بقية يهود العالم بابتداع بدعة الفصل ما بين خطر الصهيونية وخطر اليهودية وهي التى تتولى الايعاز الى لجانها وعملائها من الماركسيين والرأسماليين بترديد هذه الانشودة ..

وأخيرا فهي تمثل الحكومة العالمية اليهودية .. ومع ذلك فلا يكاد يسمع عن اسمها أحد أو تحس بنشاطها حكومة وقد نجحت نجاحا منقطع النظير إذ جعلت هيئة المخابرات المركزية الأمريكية تعتنق سياسة البروتوكولات بل ان بعض أجهزة المخابرات في العالم قد اتخذت من بروتوكولات حكماء صهيون دستورا وميثاقا لها ..

تضم الكيهيلا جميع الممثلين الرسميين لجميع المنظمات والاحزاب اليهودية في جميع انحاء العالم . وعلى رأسها أنصار المذهب الماركسي .. وأنصار الرأسمالية اليهودية العالمية وقد لا يعلم البعض أن الماركسية تستند في رسالتها الى التوراة ..

وقد قامت الكيهيلا بدور رئيسي في قيام الثورة الشيوعية فقد أرسلت تورتسكى من نيويورك عام ١٩١٧ على رأس وفد من اليهود ، كان يتكون من ٣٠٠ عضو ، مزودا بمبلغ بليون دولار بعد أن غيروا أسماءهم الامريكية الى أسماء روسية وقاموا بتنفيذ الخطة التي رسمتها الكيهيلا للسيطرة على زمام الثورة البلشفية والمضي بها لحساب اليهودية العالمية ..

كما تضم الكيهيلا ممثلين عن الرأسمالية اليهودية العالمية التي تستند في أساسها الديني الى الاصحاح الأول من سفر يشوع ..

***

وتكون الكيهيلا لجانا خاصة تتولى رسم الخطط الخاصة بالسياسة اليهودية في جميع أنحاء العالم فيما عدا الشرق الأوسط الذي يتولى أمره اتحاد الصهيونية الأمريكي ..

وبذلك أصبح واضحا أن الصهيونية تستهدف الاستيلاء على الشرق الأوسط وتحقيق الوعد بالاستيلاء على الأراضي التي تمتد من النيل الى الفرات كما جاء في توراة عزرا ٠٠

أما اليهودية العالمية فتستهدف تحقيق الوعد المحرف في التوراة المحرفة بسيادة العالم وتحقيق المجتمع التلمودي الذي يقضي بالقضاء على الطبقة المتوسطة ٠٠ والذي يتولى أمره حاليا كل من النظامين الرأسمالي والماركسي ٠٠

بين الماسونية والصهيونية

تتفق الماسونية مع الصهيونية في امور كثيرة منها :

١ ـ ان كلا منهما يرسم في الظلام ويخطط في السر ويعمل من وراء الستار ويراقب في الخفاء كما هي عادة المجرمين الذين يفكرون في الجريمة وينفذونها في السر ٠٠

٢ ـ إن الماسونية والصهيونية وليدة شرعية لليهودية تستمد كل منهما أصولها من التلمود وتنفذ تعليماته وتعمل بها في السر والخفاء ٠٠

٣ ـ تتفق الماسونية مع الصهيونية في عداء كل منهما للاديان غير اليهودية ٠٠ فالصهيونية لا تعترف بالمسيحية أو الاسلام ٠٠ أما بالنسبة للماسونية فقد قرر المحفل الاكبر في ١٣ – ٥ – ١٨٧٧ حذف كلمة الله ـ سبحانه وتعالى ـ وخلود الروح من دستوره كما جاء في مجلة اسكيت دي لافرنس في عددها الصادر في ١٥ – ١٠ – ١٩٦٤م٠٠

٤ ـ يعتبر الصهاينة والماسون من كبار رجال المؤامرات والدسائس والثورات في التاريخ فقد اشترك الماسون في الثورة الفرنسية وفي الثورة الشيوعية واشترك الصهاينة في مؤامرات احتلال فلسطين ٠٠

خطورة التمييز بين الصهيونية واليهودية

إن الدعوة الى التمييز بين الصهيونية واليهودية ، سياسة مستحدثة

لم تعرفها المسيحية الاولى ·· ولم يقل بها الانجيل ·· ولم يذكرها القرآن الكريم ·· ولم يتحدث بها أحد من المفكرين أو المؤرخين أو رجال الدين ، أو السياسة حتى نهاية القرن الثامن عشر ··

وخطورة هذه الدعوة أن أغلب الذين يتظاهرون ، باعتناقها من الرسميين ، أو من الذين تربطهم السياسة الاجنبية بصلة مباشرة مستترة ·· أو غير مباشرة مختفية ··

ومن بينهم من تزود بالثقافة الاجنبية الماركسية أو الرأسمالية أو من خريجي المحافل الماسونية ·· فطبيعة تكوينهم الثقافي ترفض أي نقد ضد اليهودية حتى لا يوصموا بأنهم ضد السامية ·· والاتهام هذا بالسامية شعار مخيف وسيف مسلط على رقاب كل من تحدثه نفسه بانتقاد السياسة اليهودية ·· حتى يترك لها الحبل على الغارب فتعبث ما شاء لها العبث بمستقبل الجنس البشري والحضارة الانسانية ··

***

● ومما لاشك فيه أن التمييز بين الصهيونية واليهودية ، سياسة لا تخدم العرب أو القضايا الاسلامية ··

ولكنها تخدم بلا شك السياسة الصهيونية لأنها تحمي اليهود الذين يتظاهرون بأنهم ضد الصهيونية ·· وتحمي مصالحهم ·· الى أن يتمكن الصهاينة من إيجاد المجال الحيوي - خلال مراحل من المعارك السياسية والاقتصادية والعسكرية بين العرب وإسرائيل - الذي يتسع للفائض من اليهود في اوربا وأمريكا ، حسب الخطة الصهيونية العامة ··

● ان الدعوة الى التفرقة بين الصهاينة واليهود تتيح لليهود التمتع بكل الامتيازات الطبيعية ·· وفي ظل تلك الحرية يستطيع اليهود خدمة المصلحة الصهيونية ··

والتعاون مع الاستعمار ·· وتنفيذ سياسته ، والاشراف على مخططاته ، ومتابعة خططه ، والاساءة الى العرب والمسلمين ما

استطاعوا الى ذلك سبيلا ، وهي تتيح للرأسمالية اليهودية استغلال بترول العرب لحسابها ولحساب إسرائيل وهنا يكمن السر في التمسك بهذه الدعوة ··

- ان مجرد الدعوة الى التفرقة والتمييز بين اليهودية والصهيونية يوهم المسلمين بأن اليهود منقسمون على أنفسهم ·· وليس هناك أخطر من الاستهانة بقوة العدو الغادر الذي يتظاهر بالضعف او بالانقسام على نفسه ليخفي قوته ·· ويغطي سياسته ·· ونفوذه وسيطرته ··
- إن سياسة التمييز والتفرقة هي أصلا سياسة يهودية وخطة صهيونية ·· لحماية اليهود المقيمين خارج إسرائيل ·· والذين يقومون بدور خطير لتدعيم الدولة اليهودية ونصرتها والدعوة لها ·· والذين يدفعون لها الضرائب ·· ويتولون الاشراف على الدعاية لها في جميع انحاء العالم ·· ومنهم يتكون الاحتياطي العام للجيش الاسرائيلي إذا احتاج الى نجدتهم ··
- إن التفرقة بين الصهيونية واليهودية سياسة بارعة لحماية اليهود المقيمين خارج اسرائيل من ناحية ولمساعدة اسرائيل على تنفيذ سياستها من ناحية اخرى ··

وليس من شك في أن كل من يعتنق هذه السياسة لا يخرج عن كونه أما عميلا مستترا أو جاهلا أحمق عنيدا أو مجاملا للغرب ··

فليست هناك حكمة واحدة تدعونا الى اعتناق هذه السياسة المدمرة سوى خوف المنادين بها من تهمة التعصب الديني ·· لكي يوصفوا بالدبلوماسية واللباقة والمرونة السياسية ··

أما بالنسبة لتهمة التعصب الديني ، فان التمييز بين اليهودية والصهاينة تخطيط سياسي ·· وليس تعصبا دينيا ·· ولاشك أن قادة المسلمين قد ارتكبوا إثما كبيرا خلال عصور التاريخ بعدم اتخاذ الحذر والحيطة ـ التي نادى بها القرآن الكريم والحديث الشريف ـ من اليهود والخطر اليهودي ··

ولاشك أيضا أن اليهود قد استغلوا ذلك الاهمال في تقويض أركان الخلافة الاسلامية .. والمشاركة في اضمحلال الحضارة الاسلامية والتعاون مع الاستعمار للسيطرة على مقدرات العالم الاسلامي .



خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية

القائد عبد الله التل

يقول الناشر لهذا الكتاب الجليل بعد أن قدم لنا تعريفا موجزا بالكتاب وما ضمنه فيه مؤلفه القائد العربي « عبدالله التل » من معلومات وما أبدى فيه من آرائه في الكيفية التي يمكن أن تحل بها القضية الفلسطينية · يقول الناشر صاحب دار القلم :

« بهذه النظرة العميقة قدم لنا القائد العربي « عبدالله التل » دراسة واعية عن قضيتنا الكبرى ·· فلسطين ·· مبتدئا من أصولها وجذورها ·· متسلسلا معها في حلقاتها الدولية والمحلية الى حاضرها الأليم ·· ومنتهيا إلى مقترحات وآراء صريحة وجريئة يقدمها استمرارا لدوره كجندي باسل أمين خاض المعركة وأبلى أحسن البلاء فيها ، الخ ·· » ·

والكتاب يحتوى على قسمين : القسم الأول ـ كما يشير المؤلف ـ مكون من ثلاثة عشر فصلا تبدأ بالعدوان اليهودي الأول على فلسطين قبل ۳۰ قرنا من الزمان ، وقد أوضح في هذه الفصول الصلات الأولى بين اليهود والمسيحية وبينهم وبين الاسلام ·· وشرح حقيقة الدين اليهودي الذي يمارسه اليهود من توراتهم وتلمودهم ومقررات حكمائهم ·· وذكر بعض خطط اليهودية العالمية وأدواتها التنفيذية من ماسونية وصهيونية ولا سامية للسيطرة على العالم ·· وختم فصول القسم الأول بالحديث عن نجاح اليهودية العالمية وحكومتها المستورة ·

في تدمير القيم الأخلاقية في دول الغرب الأعمى ، وسيطرة اليهود على أغلب دول أمريكا وأوروبا وعلى عصبة الأمم ومن بعدها الأمم المتحدة ٠

أما القسم الثاني من هذا الكتاب فيتكون من عشرة فصول تبدأ من العدوان اليهودي الثاني الذي بدأ منذ الاحتلال البريطاني (١٩١٧م) وتنتهي بالعدوان اليهودي السادس ـ كما يقول المؤلف ـ لاغتصاب المياه العربية في أيامنا هذه ٠٠ وتضمنت هذه الفصول مراحل تنفيذ الاعتداءات اليهودية الستة وما لازمها ٠٠ وجاء الفصل العاشر متضمنا رأى المؤلف في الحل الصحيح للمشكلة موضحا سبيل النجاة مما تعانيه الأمة العربية وتعانيه الانسانية من ويلات وأخطار على يد اليهودية العالمية ٠

وفي الحق ٠٠ لقد أبرز المؤلف في دراسته هذه التاريخية المركزة لمشكلة فلسطين اهتمامه العميق بالجانب المقدس منها ـ ويعني به الجانب الاسلامي لهذه المشكلة ٠٠ ـ ومرد ذلك ـ كما يصرح ـ الى ايمانه الذي لا يتزعزع بأن قضية فلسطين دينية مقدسة في المقام الأول ٠٠ وان أية معالجة لها لا تكون على أساس ديني جهادي ٠٠ مكتوب عليها الاخفاق لا محالة ويقول المؤلف هنا : « وايماني هذا مبني على تجارب عسكرية عشتها وحقائق تاريخية لمستها ووعيتها ٠٠ ثم يشير ـ مضيفا إلى ما يؤكده في هذا الصدد ـ ان دعاة العلمانية « لاييك » الذين يسقطون من حسابهم العامل الديني في قضية فلسطين يتناسون انها القضية الوحيدة في العالم التي قامت مدة ثلاثين قرنا ومازالت تقوم على أسس دينية روحية ، وأنه إن صحت معالجة اية مشكلة على اسس مادية ، فان قضية فلسطين لا تعالج إلا على أسس دينية بالدرجة الأولى ، وأسس مادية بالدرجة الثانية ٠٠ « يقول المؤلف أيضا : ويتناسى قادة الاحزاب والحركات العربية العلمانية أن جميع المعارك الحاسمة في تاريخ العروبة والاسلام من القادسية ٠٠

واليرموك ·· وحطين ·· وعين جالوت ·· كانت صيحة الحرب فيها دينية مقدسة ·· الله أكبر !

ولقد ركز المؤلف الفاضل على هذه النقطة بالذات في فصله الأخير من كتابه القيم ·· واستوعب البحث في هذا المجال فجاءت دراسته وافية مكتملة وكانت آراؤه سديدة كل السداد دون شك فلنستمع اليه يقول :

« ·· يجب أن نخوض معركة فلسطين على أساس الجهاد الديني ذلك لأن فلسطين بلد اسلامي مقدس كل شبر فيه ممزوج بدماء الصحابة والمجاهدين ، يضم المسجد الأقصى أولى القبلتين ، وثالث الحرمين الشريفين الذي أسرى بالنبي اليه ، ويضم مسجد الصخرة ومئات المساجد والمقامات الاسلامية الأثرية المقدسة ، الخ ··

« ان فلسطين ليست بلدا عربيا اغتصب فحسب ، وانما هي بلد اسلامي بالدرجة الأولى لأنها تعد مهوى أفئدة سبعمائة مليون مسلم يقدسونها كما يقدسون مكة المكرمة ·· والمدينة المنورة ·· وهي ليست ملكا لعرب فلسطين وحدهم ولا للأمة العربية وحدها ·· وانما هي ملك جميع المسلمين ، وواجب الدفاع عنها فرض عين على كل مسلم على وجه الأرض ·· كما أنها مهوى افئدة ملايين المسيحيين المخلصين الذين لم تخرب اليهودية العالمية ضمائرهم ، وتفسد عليهم أمور دينهم وتجعلهم يبيعون قبر المسيح بالمال اليهودي ·· يجب على العرب حكومات وهيئات ومنظمات شعبية ان تجدد الصلة مع الشعوب الاسلامية وتقوي الروابط معها ، وتبصرها بخطر اليهود والاستعمار ـ خادم اليهود ـ على بيت المقدس ومن بعده على المدينة المنورة ومكة المكرمة قلب الاسلام تمهيدا لاشراك تلك الشعوب في حرب جهادية لتحرير فلسطين ·

ثم يقول المؤلف :

لقد استطاع اليهود بباطلهم المستند على توراتهم المزيفة أن يقنعوا الغرب المستعمر بارتباطهم الروحي بفلسطين ، وخاضوها سنة ١٩٤٨م

الأساس الديني التاريخي ·· وجاء في مذكرات وايزمان حول قطة مايلي :

ول وايزمان : « ·· ولقد قابلت لورد بلفور وزير خارجية بريطانيا الذي بادر بسؤالي على الفور : لماذا لم تقبلوا اقامة الوطن القومي في أوغندا ؟ وقلت لبلفور : ان الصهيونية حركة سياسية قومية ·· هذا صحيح ! ولكن الجانب الروحي لا يمكن اغفاله ، وأنا واثق أتم الوثوق اننا اذا أغفلنا الجانب الروحي فاننا لن نستطيع تحقيق الحلم السياسي القومي » ··

هكذا كان اليهود ـ يقول القائد عبدالله التل مؤلف الكتاب ـ : يستغلون الجانب الروحي ومازالوا كذلك ·· بينما أسقط العرب من حسابهم العامل الديني ، والرباط الروحي الذي يربط المسلمين بفلسطين ، وخاضوا المعركة على أساس أن فلسطين أرض عربية مهددة بالاستعمار والصهيونية ، فخسرنا المعركة وكسبها اليهود ··

وتنبه كاتب عربي مسيحي شريف هو الاستاذ حبيب جاماتي الى هذه النقطة الخطيرة فكتب يقول :

« ·· لقد حان الوقت لكي تركز الدعاية العربية ضد الصهيونية على المشاعر الدينية ، بعدما ظلت الى الآن مركزة على نواح كثيرة أخرى ماعدا الدين !

ان الدعوة الصهيونية قامت على الفكرة الدينية ، وعلى الشعور الديني وعلى التعصب الديني ، وما الناحية العنصرية في تلك الدعوة غير مظهر من مظاهر التعصب الديني ، ففي الشرق الأدنى الآن بقعة من الأرض العربية سرقها اليهود باسم الدين ، وانشأوا فيها دولة قائمة على الدين ، ولايزالون يبثون في انحاء العالم دعايتهم المنبعثة من الدين ·· الى آخر ما ذكره الأستاذ جاماتي في هذا الموضوع ··

ويقول المؤلف : « سيظل الغرب يهزأ بنا ويسخر منا مادمنا نعالج

مشكلة فلسطين على أساس أنها أرض عربية اغتصبها الاستعمار والصهيونية ٠

ان العرب وهم يعالجون مشكلة عروبتها فحسب اخفقوا في كسب تأييد الشعوب الاوروبية والأمريكية ، وأعتقد ان مكاتب الدعاية التي تبثها جامعة الدول العربية في أوروبا وأمريكا وجهود السفارات العربية كلها بما فيها من ملحقين صحفيين وسياسيين وتجاريين والملايين التي بذلتها جامعة الدول العربية والحكومات على الدعاية لقضية فلسطين في أوروبا وأمريكا خلال الست عشرة سنة الماضية لم تؤد الى كسب احد من الأمريكان أو الانجليز أو الفرنسيس أو الطليان إلى صف العرب ، والسبب في رأيي هو ضعف الحجة التي نقدمها لمنطق الغرب المستعمر وعقليته التي لا تؤمن إلا بالقوة !

وليس معنى هذا أن نلغى جانب الدعاية في المعركة وانما ينبغي أن نحول أسلوب الدعاية ونجعلها ترتكز على قدسية فلسطين واستعداد ٧٠٠ مليون مسلم لخوض الحرب من أجل انقاذها من اليهود ٠

ويتابع المؤلف كلامه إلى أن يقول : الأحزاب والحركات العربية العلمانية الملحدة اخفقت في جميع أعمالها لأنها كانت منذ نشأتها ولاتزال تعمل بمعزل عن الشعوب العربية المؤمنة ، وعجزت تلك الأحزاب والحركات عن ادراك الاختلاف الكبير بين الاسلام الذي هو دين ودنيا ٠٠ وبين الكهانة التي ارغمت حكومات الغرب على اتباع العلمانية ٠٠ والسبب الرئيسي في ذلك هو أن الأحزاب والحركات العلمانية التي تنتشر اليوم في الوطن العربي من المحيط الى الخليج ، قد تخرجت في مدارس الغزو الثقافي الغربي التي استطاعت أن تفصل بين ضحاياها من العرب وبين أصولهم العريقة المجيدة ، وعلى رأس تلك الأصول القرآن الكريم ٠٠ وجاءت دساتير تلك الأحزاب والحركات المكتوبة وغير المكتوبة خالية من اية اشارة الى الجانب الروحي في حياة الأمة وما انطوى عليه ذلك الجانب من قوة كامنة جبارة ٠٠ وأصبح

آلاف الشباب العربي ممن استهوتهم تلك الأحزاب والحركات يعيشون في متناقضات عجيبة : السنة حداد ٠٠ وقلوب فارغة ٠٠ فبينما يتشدقون بالقومية العربية ومقدمها الأول اللغة العربية ، نجدهم يثقفون أنفسهم بالتهام قصص الجنس من المجلات الرخيصة ، وينفرون من ذكر القرآن الكريم الكتاب الذي حفظ اللغة العربية ، ويعتبرونه أثرا من الماضي ٠٠

لابد من اشراك جميع الشعوب الاسلامية في أندونيسيا وباكستان وايران وتركيا وأفغانستان والملايو ومسلمي افريقية في معركة تحرير فلسطين ٠٠ وأعتقد ان لديها من الحماسة الدينية والتطلع للجهاد المقدس في سبيل انقاذ فلسطين أكثر مما لدى العرب ٠٠ يجب اعادة الصلة بهذه الشعوب وتقوية الروابط معها ٠٠ الحرب المستعمر لا يخشى إلا القوة ، ولا يحترم إلا القوة ، والحروب التي وقعت في فلسطين ، أو من أجل فلسطين كانت على مر التاريخ حروبا دينية ، أو أن الدوافع الأساسية لها كانت دينية ، أو أن السلاح الأول الذي استخدم فيها هو الدين ٠

ولهذا لابد من أن تكون المعركة المقبلة دينية ٠٠ أو أن تكون الدوافع الأساسية لها دينية ٠٠ لقد خسرنا فلسطين في معركة شنتها علينا اليهودية العالمية ، ومن تسخرهم من أساطين الاستعمار والصهيونية ، واعتمدت على أسس دينية ٠٠ ولكي نسترد فلسطين لابد أن نحارب بالسلاح الذي حوربنا به ، ولا يفل الحديد إلا الحديد !!

ويستمر المؤلف الفاضل في حديثه هذا على هذا النحو متناولا الموضوع من شتى الجوانب ٠٠ ثم يقول :

٠٠ الحركات العلمانية هي التي تفرض على المسلمين أن يقلدوا الغرب ويعادوا المسجد ٠٠ كما عادى الغرب الكنيسة نتيجة الصراع المرير بين السلطتين الدينية والزمنية ٠٠ ومعلوم ان المسجد في الاسلام

يمثل العلم والخير والسياسة والحرب . الى جانب العبادة ولا يمكن فصل المسجد أو الدين عن الدولة المسلمة .

ثم قال ان حكومات أوروبا وأمريكا التي تتظاهر بالعلمانية وقد طبقت فصل الدين عن الدولة عمليا .. ؟ انها جميعا ـ ماعدا روسيا ـ تعنى بالدين عناية فائقة لدرجة التعصب وتتمسك حتى بالطائفية الدينية فلا يكون رئيس فرنسا ووزراؤها إلا من طائفة الكاثوليك لأن فرنسا تفتخر بأنها تحمي الكثلكة في العالم .. ولا يكون رئيس بريطانيا ووزراؤها إلا من البروتستانت ، لأن بريطانيا تفتخر بأنها تحمي مذهب البروتستانت في العالم .. وكذلك الأمر في المانيا ودول امريكا الشمالية والجنوبية ، ان حكومات تلك الدول التي تدين بالمسيحية تولى المسائل الدينية عنايتها التامة ، وتتبارى في خدمة الدين والتمسك به والحرص عليه بالقدر الذي تسمح به قبضة الحكومة اليهودية العالمية المستورة !

ويتحدث المؤلف بعد ذلك عن « الغزو الثقافي الغربي » الذي هو ـ كما يقول ـ أشد خطرا من الغزو الاستعماري المسلح ، وقد نجح الغزو الثقافي في خلق جيل من الشباب لا يؤمن بعظمة الاسلام ، ولا يدرك أن الاسلام بالنسبة للأمة العربية كالروح بالنسبة للجسد ، ويجهل تاريخه وتراثه الحضاري ..

فلا بد اذن من محاربة الغزو الثقافي الذي يسعى دائما وأبدا الى تدمير نفوس شبابنا ، ومن البديهي ان قوانين جميع الدول العربية تمنع استيراد مواد غذائية فاسدة تضر معد العرب وأجسامهم فكيف تسمح باستيراد الغذاء الفكري الذي لا ينتج عنه إلا تخريب النفوس وافساد العقول وانحطاط الاخلاق .. ؟ ثم كيف نسمح باستنبات الغذاء الفاسد محليا .. ؟ **وبعد.. فما نظن أن كتابا أحرى بالقراءة والعناية من هذا الكتاب في هذه الفترة الرهيبة من تاريخنا.**

أبنـــاء الأفـــاعي

الأستاذ سعـــد جمعـــة

مؤلف هذا الكتاب القيم سياسي عربي مرموق مارس السلطة في بلاده في فترة من أحرج الفترات ·· وكان له دوره البارز في المعركة ·· وهو في كتابه هذا النابض يطالعنا بآرائه في أكثر من ناحية من نواحي كفـاح الأمة العربيـة والاسلاميـة اليوم وهي تـواجه معـركتها الكبـرى مع الصهيونية والاستعمار ·

مع الاستاذ سعد جمعة ، رئيس وزراء الأردن الأسبق وفي كتابه هذا الفريد سوف نطالع خلاصة تجارب رجل من رجـال النضال ·· ومن رجال الحكم في نفس الوقت ، ومن هنا تظهر أهميـة ما اشتمـل عليه الكتاب من آراء سديدة وحقائق ومعلومات قل أن نصـادفها في كتـاب آخر ·

لقد كان مخطط الصهيونية العالمية منذ استشرى أمرها ، يقوم على سبب محدد واضح ، لا لبس فيـه ولا غموض ، يتلخص في كلمتـين : التجمع والاقتحام ، ولذا كان « تكتيكهم » الذي يمارسونه خطوة وراء خطوة ، كلما جمعوا أمرهم لقفزة جديدة ، هو افتعال المعارك في الظرف المناسب للاقتحام والتوسع ·

والظرف المنـاسب كان ومـايزال فتـرة تمزق الصف العـربي ·· وانشغـال العرب بتنـاقضاتهم الداخليـة عن الخطر الجـائح · الذي

يستهدف بقاءهم كـامة ·· ووجـودهم كحضارة ، والتنـاقضات بـين الأنظمة العربية التي نمت وربت ، منذ تقسيم التركة التركية بين الحلفاء في أعقاب الحرب العالمية الأولى وغذتها المؤامرة الضارية ضد الحضارة العربية الاسلامية ، بغية اعداد المناخ الملائم والأرض الخصبة لغرس البذرة الصهيونية في قلب بلادنا ، تنفيذا للمخطط الجهنمي في حماية أوروبا من وحدة دول الشرق الأوسط ووفاء بوعود الدول الاستعمارية الصهيونية العالمية باقطاعها أرضا عربية بعـد اقتلاع أهلهـا منها · والقـذف بهم في متاهـات الضياع ، في أبشـع وأقذر مـؤامرة عـرفها التاريخ ··

و كـانت تلك المتناقضـات ، تبرز في صـور شتى مع بقـاء المضمون الواحد ··

ومن الظواهر الغريبة أن الأنظمة العربيـة ، ما انـطوى منها ومـا استجد منذ سنة ١٩٤٨ إلى سنة ١٩٦٧ تاهت في دوامة تلك التناقضات المفتعلة المجلوبة المصنوعة في دوائر الامبرالية ودهاليز الصهيونية ·· حتى لقد كان بعضها ينظر إلى بعضها الآخر قولا وممارسة « نظرة عداء أزلي » وينظر إلى اسرائيل نظرة تعاطف على أساس المذهبيات الوافدة التي ترى أن المعركة الأساسية في المنطقة هي المعركة بين ما يسمونه التقدمية وما يسمونه الرجعية ·· سواء أكانت هذه أو تلك عربيـة أو اسرائيلية ، وان انتصار العقائديات الهدامة في الشرق الأوسط منوط بالتفاهم بين « البروليتاريا » العربية وبين شقيقتها الاسرائيلية ، في وجه الرجعية التي تحول دون وحدة القوى التقدمية !

وقد ساعـدت الانحرافـات بين العـرب والتنكر لتـراثهم وأصولهم الحضارية ، وينابيعهم الروحية على تصعيد تلك النظرية بأقلام عربية لتحويل القلق إلى ضياع ، والتوتر إلى استخذاء في غياب المسؤوليـة ، وغياب العقل والمنـطق ، وغياب الثقـة والشرف والضمـير ·· بسبب تجهيل المواطن وتضليله وسلخه عن إيمانه بربه وأرضه ومقدساته ··

حتى تمت لهم تعريته من كل أسلحته ، في وجه الهجوم الشرس الدؤوب ··

ولذا رأينا الساحات العربية تصخب وتضج بدعاة المصالحة والاستسلام ، بل التآخي والتعاون بين الجماهير العربية والجماهير الاسرائيلية في نطاق وحدة النضال البروليتاري ، ضد البرجوازية والرجعية والتخلف والاقطاع ·· وهدفها الوحيد من كل ذلك هو القضاء على مقومات الأمة ، وقيمها الروحية ، وتدمير أمضى أسلحتها وهو الايمان ··

وأعتقد مخلصا ، أن الخلل الذي اعترى مسيرتنا يرجع في علله وأسبابه إلى صخب الأقلية الكاذبة وصمت الأكثرية الصادقة ·· وإلى تقسيم الجبهة العربية إلى محاور تقدمية ورجعية وبين يسار وبرجوازية صغيرة ، وأخرى كبيرة بديلة لوحدة متلاحمة في ابعاد الخطر الذي يهددها جميعا ·· حتى لقد عمينا عن التفكير في جدوى أي ثورة اجتماعية مما يدعون ·· طالما أن تلك الثورة وأرضها وسماءها وأبطالها مهددة كل لحظة بالابادة والتدمير ··

إن مناقشات الايديولوجيات المتصارعة في ميادينا يضيق بها كتاب غير انى أسرع ، لأقول لرسل الثورة الاجتماعية ودعاياتها ودعاتها :

إن التقدمي الحقيقي هو المؤمن بالله ·· إذ أن من لا دين له ·· لا عهد له ·· ولا ذمة له ·· بل لا شرف له ·· وان نقيض ذلك هو أحط وأبشع صور الرجعية على الاطلاق ·· وأن معركتنا الأولى التي تقودنا إلى النصر هي معركتنا مع أنفسنا ·· معركة دين أو لا دين ·· إيمان أو لا إيمان ·· وأن الأمم كالأفراد ، إذا مسها قرح فزعت إلى بارئها تستمد منه القوة المعنوية الجبارة لمواجهة مكارهها بالعزم والعلم ·· والادارة والتصميم ··

كما وأن الثورة الاجتماعية قد انتهت بمجيىء الاسلام ، ونحن لو هدانا الله للالتزام بعقيدتنا وشريعتنا كما طبقها أبوبكر وعمر خليفتا

رسول الله (ص) في أعظم وأعدل تجربة حكم عرفتها الدنيا منذ كانت الدنيا لما أصبحنا أيتاما على فتات موائد الشرق والغرب ، ولما أصابنا هذا الذل الذي نرتع فيه ·

والله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ·· ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها ·· وكل ماعدا ذلك هراء فارغ ·· ولغو من سقط المتاع ·

وحين نقرر أن من لا دين له لا مروءة له ·· وأنه لا يكون شرف دون إيمان ، ولا يصدق جهاد أو فداء دون عقيدة ·· ندرك عمق الهوة التي نغوص فيها ·· ونحن لا نطالب احدا بالتسليم الأعمى ·· ذلك أن التصديق المرتجل كالانكسار المفتعل كلاهما ليس بحجة ·· انما الحجة هي مقارعة رأي برأي ·· وبرهان ببرهان ·· هي في الحق الذي لا يجيء في الباطل مثله ·· وما أضر بأمتنا شيء كالارهاب الفكري الذي يصنع القوالب الجاهزة كما يحلو لذويه ·· ويصبها كرها في أذهان الناس وعقولهم فمن آمن بها عن جبن أو تخاذل ·· أو تزلف أو ممارأة انضم إلى ركب الهتافة ، وأصبح رقما في القطيع ··

ومن كفر بها عن معرفة ويقين انصب عليه البلاء من كل جانب وانهالت عليه تهم العمالة والخيانة والرجعية وأصبح مصداق الآية الكريمة : « هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله » وتظل الأكثرية الصامتة ـ مذبذبة بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ··

الايمان بالله اذن هو ضرورة حتمية فوق أنه فطرة بشرية لحماية المصير الانساني من الدمار ··

فهو الضابط الأخلاقي للفرد والجماعة ·· وهو الوازع الشرعي ·· عن الاثم والكبائر يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، وينظم علاقات الأفراد بالأفراد وعلاقتهم مع المجتمع تنظيما متناسقا يقيم التوازن والتكافل والتلاحم ·· والمؤمن لا يهادن في دينه ·· ولا يساوم على شرفه ·· ولا يفرط بحقه ·· ولا يرضى الظلم ولا يقبل الهوان ·· ذلك

أن الحياة عنده برزخ جهاد موصول لقمع شهوات النفس ·· ودفع الشر ·· ورفض العار ··

- والانسان بلا إيمان يصبح دابة تحكمها الغرائز الحيوانية وتوجهها الضرورات المادية ، وكل ما يقال ويزعم بأن ضابط المرء ضميره ، هو خدعة الطبع اللئيم ، كما وأن القوانين الوضعية إنما تسن وتشرع لقمع المنكر بعد اجتراحه ، ـ لا لتغرس في نفس المخلوق المنهج الالهي الذي يردع بأمر القرآن قبل أن يردع بسيف السلطان ·
- ولولا الايمان بالله ، لما قامت حضارات ·· ولا استقامت مجتمعات ·· والبرهان القاطع على ما نقول ما تتردى فيه البلدان الاوروبية اليوم من فلسفة رفضية صارمة ، وفوضى خلقية عامة ·· تتحلل من كل وازع ، وتتنكر لكل قيمة ·· وتفهم الحياة على أنها خبز ·· وجنس ·· وأفيون !!
- ان تفوق الحضارة الغربية في الابداع المادي والكشوف العلمية ، لا جدوى له ولا طائل وراءه اذا لم يستند الى خلفيات اخلاقية ·· ومثل عليا ·· ذلك أن العلم طاقة محايدة يتوقف نفعه وضره على اليد التي تستعمله ، فاليد المؤمنة تحيله إلى طاقة خيرة لخدمة الانسانية ·· واليد الفاسقة تحيله إلى قنبلة ذرية تسقط على هيروشيما !!
- إن الحضارة في المفهوم العلمي تقوم على ركنين متوازيين مترابطين : ابداع مادي ·· وقيم أخلاقية ، ليس يغني أحدهما عن الآخر شيئا ··

ولا يستقيم مسار التقدم البشري إلا إذا اجتمعا ·· وتعانقا ·· وانطلقا من نبع واحد إلى مصب واحد ·· والتصور الاسلامي للدنيا والناس ، أعلن ذلك وباركه وزكاه وحض عليه ، ووضع له المبادىء المشعة ·· والقواعد المضيئة الصالحة لكل زمان ومكان ·

وليس سبب ما نعانيه هو نقص الاسلام ، كما يزعم أعداؤه ، بل هو نقص المسلمين من جراء تفريطهم بدينهم وتنكرهم لتراثهم ، وجهل علمائهم بحقيقة شريعتهم السمحاء ·

● لقد كان هدف الغزو الثقافي اعدادانا للهزيمة ، وفق منهج مدروس يسلخنا عن ديننا ، ويقتلعنا من أصولنا الحضارية ٠٠ وقيمنا الروحية ٠٠ ومبادئنا الأخلاقية ٠٠ ليسهل افتراسنا واصطنعت المؤامرة لهذا الغرض أحزابا فينا ٠٠ يقومون عنها بالمهمة ويتولون لها كبر الدعوة الملطخة لاقصاء العقيدة عن حركة المواجهة مع إسرئيل والاستعمار ، وينفثون فينا سموم الفساد والالحاد ٠٠ حتى لقد أظلنا زمن أصبح القابض فيه على دينه كالقابض على الجمر ٠٠ وحتى لقد أصبح من أخطر أمراض امتنا « أنصاف المتعلمين » الذين يسهل استدراجهم للعمالة ٠٠ فيعتنقون مبادیء لا يفهمونها ويمارسون صناعة لا يحسنونها تؤدى كلها إلى تفسخ الأمة وضياعها بين الصراعات الايديولوجية ومعارك الشعارات ٠

● وإذا كانت الدول العربية تحارب الأمية فان واقعها يقتضيها ٠٠ أن تستدل وتتعرف على « أنصاف المتعلمين ! » ٠٠ الذين يستوردون لنا القاذورات الفكرية ، من « مزابل الغرب » ومستنقعاته تحت ستار « العلمانية » و « الليبرالية » وحرية الفكر ٠

● يتسول الواحد منهم كتابا ٠٠ أو كتابين عن المذهبيات الرفضية العدمية المصنوعة عن سبق قصد واصرار وتصميم لالهاء وافساد مجتمعاتنا الغارقة في الضلالة والجهالة ٠٠ ويتصدر فينا ليبيعنا تجارته المسمومة وجهله المفضوح ٠

● ولقد ـ والله ـ نجحت المؤامرة الثقافية بقدر ما نجحت المؤامرة السياسية ٠٠ في غزو عقول مفكرينا حتى ليخجل الواحد منهم من دينه وكأنه وصمة عار ٠٠ فاذا جاء ذكر الكارثة على قلمه أو لسانه أورد لك ألف سبب وسبب ٠٠ وألف تحليل وتعليل متجنبا الاشارة إلى أمضى سلاح في معركة مصيرنا ، وهو : سلاح العقيدة والايمان خشية الاتهام بالتخلف والرجعية !!

ولست أدعو القارىء هنا إلى مقارنة هذا الفسوق المدمر بما يفعله العدو مقارنة واعية وئيدة ٠٠ بل أدعوه للاستماع إلى الندوات الاذاعية والتلفزيونية التي تعقد في إسرائيل كل صباح وكل مساء ٠٠ لتؤكد على دور الدين والعقيدة في قيام إسرائيل ، وتلاحم المجتمع الاسرائيلي ٠

المؤامرة والغزو الفكري

يهرف البعض منا في كل مناسبة ، أن معركتنا مع إسـرائيل هي : معركة حضارية ٠٠

ونقول نحن لهم : قلنا وصدقنا ٠٠ صحيح أنها معركة حضارية ٠٠ ولكن دعونا نتفق أولا على تعريف محدد للحضارة كما يفهمها الناس ٠٠

لقـد أوضحنا في فصـل سابق أن الحضـارة ـ أي حضارة أغنت الانسانية ـ قامت دائما وأبدا على العلم والايمان ٠٠ الابداع المادي من جهة ، والقيم الروحية من جهة أخرى وقد وعت اسرائيل معنى العلم ومعنى الايمان وتسلحت بكليهما فانتصرت ٠

وأنكرنا نحن قيمة العلم ٠٠ كما أنكرنا نعمة الايمان فانهزمنا ٠٠

وما لم نتسلح بما تسلح به عدونـا فلا جـدوى من كل تحـركاتنـا ونشاطاتنا ، ولغطنا الفارغ ٠٠ وتناقضاتنا المسعورة ومنطق التـاريخ يؤكد هذه البديهية ٠

***

ولقد كان هدف المؤامرة الصهيونية الاستعمارية منذ بداية القرن ، تقويض معالم الحضارة الاسلامية في نفوس أبنائها ، بالتشويه والتزوير والتزييف ، فوضعوا لنا البرامج التعليمية التي تشكك المسلم بقوميته وعقيدته ، وتجعله مـطية للتضليـل ٠٠ والتجهيل وفـريسة للشـوائب والشبهات ٠٠ وعادت إلينا بعثاتها العلمية التي أوفدناها إلى الجامعات الغـربية محملة بخمـائر المـذهبيات المنحـولة بدل التـزود بالمعـرفـة

الصحيحة ·· والثقافة المبدعة ·· والعلم الخلاق ·· وعادت إلينا لتشارك في معركة الغزو الفكري ··

فنشأ فينا ما يسمى بحركة التجديد في الفكر الاسلامي ، وقامت الأحزاب المتصارعة تستجدي من الغرب منحل الشعارات ·· وتتسول قشور الثقافات ·· وتهتم بالحوار المذهبي ·· والصراع الأيدولوجي ·· والنقاش البيزنطي ·· تعويضا عن اهتمامها بالعلم والتقنية ·· وبديلا عن مبادىء عقيدتها ·· وقواعد شريعتها ·· ومقومات حضارتها ·· وأصبحت دساتير تلك الأحزاب تقوم على أسس ضالة محددة الأهداف واضحة المعالم ··

تنظر إلى الاسلام نظرة مشحونة بالكره والأحقاد ·· وكأنه وصمة عار ·· فالاسلام عندها هو سبب التخلف ·· ووحدة الدين لا تصلح أساسا لوحدة سياسية ·· ومحمد مصلح سياسي !!

والقرآن صناعته بشرية ·· والاسلام دين لا دولة ·· والفضائل والقيم والمثل العليا تخضع لناموس التطور ·· فليس هناك قيم ثابتة ·· بل تتغير مقاييس الخير والشر والرذيلة والفضيلة وفق النواميس الاقتصادية ··

● « وهكذا ذهبنا إلى قدرنا نواجه العلم والايمان ·· بلا علم وبلا إيمان ·· فكانت هزيمتنا قضاء مقضيا » ·

ولو شئت أن أقيم الدلالة على أبعاد المؤامرة ، وما يدبر لنا علانية وفي الخفاء ·· ونحن عما يراد بنا ساهون لا هون ·· لملأت المجلدات ، لكنني أكتفي بايراد مثلين لاستاذين من أساتذة مدارسنا الفكرية تصفع حملة الحجة الداحضة فينا الذين يتاجرون بشرف أمتهم ولا يستحون ··

يقول المستشرق لورانس براون : « الخطر الحقيقي كامن في نظام الاسلام وفي قدرته على الاقناع والاخضاع ·· وفي حيويته المتجددة على الزمان فهو الصخرة الصلدة في وجه الاستعمار الاوروبي ·

وإذا اتحد المسلمون في امبراطورية عربية أمكن أن يصبحوا لعنة على العالم ·· وإذا بقوا متفرقين كانوا بلا قوة وبلا تأثير !! » ·

ويقول القس « كالهون سيمون » : « ان الوحدة الاسلاميـة تجمع آمـال الشعـوب الملونـة وتسـاعـدهـا عـلى التخلص من السيـطرة الاوروبية » ·

ولذا كان التبشير عاملا مهما في كسر شوكة هذه الحركة ·· فهو يظهر الحضارة الاوروبية في ثوب جذاب !! ويسلب الحركة الاسلامية عنصر القوة والتمركز ··

المؤامرة وحرية الالحاد

أسبقت القول في فصول مضت بأن معركتنا مع إسرائيل هي معركة جهل تجاه إسلام ·· وكفر ازاء إيمان !!

والأمثلة على مواقف العدو ومواقفنـا في هذا المضمـار أكثر من أن تحصى ··

وأرجو من القارىء أن يمعن معي النظر فيما سأقوله ·· فهو حقا مذهل رهيب ··

١ ـ حينما ذهب « شازار وبن جوريون » إلى لندن للمشاركة في احتفال دفن « تشرشل » صادف الاحتفال يوم سبت ··

فأبى الشيخان اللذان جاوزا السبعين ، ركوب العربات كغيرهما من الوفود ·· بل سارا على الأقدام حفاظا على شعائرهما الدينية ·· التي تحرم استخدام وسائل النقل ذلك اليوم مسافة طويلة تزيد عـلى كيلو مترين ·· فلم يهتما بالرجعية ·· والتخلف ·· بل استحقا احتـرام المشتركين ·· وأثبتا للعالم أن العقيدة مقدمة عندهما على كل شيء !!

٢ ـ حينما احتل اليهود القدس في حرب الأيام الستة كان أول من وصل إلى حائط المبكى الحاخام الأكبر ليصلي بالجنود الخاشعين الناحبين ·· ووقف « شازار » يبكي ويدس في شقوق الحائط ورقة كتب عليها أمانيه

كما تفعل العجائز ·· وهتف « أشكول » : « اليوم ثأرنا لخيبر ··· »
ومضت الجماهير المنتشية بخمرة النصر الذي صنعناه لها تشتم الاسلام وبني الاسلام !

٣ ـ صرح شمويل يوسف عجنون الأديب الاسرائيلي الحائز على جائزة نوبل بأنه يأبى أن يكتب بغير العبرية لأنها لغة الله !! وما يزال يقاوم بضراوة فكرة انسحاب الجيش من الأراضي التي احتلها لأن ذلك مخالف لخرافات التلمود !!

***

يقول المؤلف : إذا تتبعت أقوال القادة والمفكرين والفلاسفة اليهود وجدتهم لا يستشهدون إلا بكلام أنبيائهم ·· ولا تسمعهم مرة واحدة يستشهدون بأقوال « كاسترو » و « جيفارا » و « ماوتسي تونج » ·

ثم يقول سمعت بن جوريون يقول في حفل بلوغه سن الخامسة والثمانين : ان الدين هو الذي وحد شمل اليهود ·· وحفزهم على بناء دولة صهيون ·· الخ ·· الخ ··

هذه بعض أقوال تحضرني الآن أوردتها في مجال المقارنة بينها ·· وبين مواقفنا نحن من تمسكنا بعقيدتنا وايماننا بالله !

لقد كان الفكر اليساري المستورد الغريب على تراثنا ومعتقداتنا وينابيعنا الفكرية والروحية والخلقية ·· هو الصوت الجهير في الساحة العربية قبل معركة ١٩٦٧ وبالرغم من كل العثرات التي أنهكت قوانا بعد تلك المعركة المذلة مازال ذلك الصخب المنكر يمزق الصف العربي شر ممزق ويسلخ المواطن من قيمه التراثية وإيمانه بالله ·· ليسهل للعدو افتراسنا بعد عزلنا عن مقوماتنا الحقيقية التي هي أمضى أسلحتنا في معركة مصيرنا ·

ويتابع المؤلف الحديث في هذا الموضوع إلى أن يقول :

يا أخي القارىء ! لعلك ترى معي بعد هذا الحديث الذي سقته لك أن الصهيونية والاستعمار في معركتهما الضارية ضد حضارتنا وعقيدتنا وبقائنا ·· لم تكتف بالغزو العسكري والغزو الفكري ·· والغزو الخلقي ·· ·· بل هي قد اصطنعت نفرا منا يؤدون عنها المهمة ·· ويعدون لها معاول الهدم والتخريب ·

أبنـاء الأفاعي

ان ما انفثه في هذه الكلمات هو صبابة أمل في قرارة يأس ·· هو محنة أوقد علينا نارها ما نراه من ظلم يجر ظلما ·· وفساد يلحق بفساد ··

غرضي الدائم ·· ويقيني الذي لا يتزعزع أن لابقاء لنا إذا لم نجعل علاقتنا بهذه الأرض الطيبة ـ ما بقى لنا وما فقدناه ـ علاقة وله شغف ومحبة ·· فان المرء لا يعذر عمن يهواه ·· وأن لا خير فينا اذا لم نرتفع بأنفسنا في معاناتنا سواء أكانت عامة أم خاصة ؟ حكومية أم شعبية ·· إلى مستوى الايمان والقداسة والفناء التام ··

إننا بين أمرين لا ثالث لهما : اما أن نستبسل فتكون لنا فرصة أهل الحق ·· واما أن نسقط في سبيل الكرامة ·· وبين هذه وتلك مواقف كثيرة ·· فيهوى رجال ·· ويسمو رجال ·· ويبين في مثار النقع من يجاهد في الله ·· ومن يصانع في الطاغوت ·

لقد آن لنا أن نعى أن عقيدتنا تقوم على حماية المصالح العامة من الأمزجة والأهواء ·· فمسؤولية المؤمن أن يكشف الحقائق مهما تكن مرة ·· فكشف الحقائق أولى بنا ·· وأهدى لنا من التستر على المخزيات !

ان معالجة قضايا المجتمع لا تكون بالهروب من الواقع ·· بل بمواجهته ·· لا بمراوغة الناس بل بهدايتهم ·· لا جذبا لنفع أو طمعا في شهرة أو التماسا لمتعة ·· أو رغبة في التبجح والاستعلاء !

إن المنحرف والفاسد والفاسق هم وحدهم الذين يخافون كلمة الحق ٠٠ خاصة حين يشاء القدر أن يصبح أمثال هؤلاء هم حملة الحجة الكاذبة ٠٠ والماضون على منهاج الباطل دون حياء ٠

ان من نوافل القول ٠٠ وبداهته في مثل حالنا ونحن نواجه أشرس هجمة عرفناها في تاريخنا ٠٠

إن النظافة والأمانة والكفاءة والايمان هى أولى الخطوات لاعداد المواطن الصالح والاستعداد للمعارك الآتية ٠٠

أليس من المستهجن اننا في مجتمعاتنا العربية لم نفهم للآن كيف نتعظ بالكوارث المستفظعة التي نزلت بساحتنا ٠٠ ودمرت حقوقنا ؟

الدور الطليعي للطلاب العرب
في ضوء الثورة الطلابية في العالم

يقول المؤلف في محاضرة تحت هذا العنوان القيت في مدرجة الجامعة الأردنية ووردت في هذا الكتاب :

الدور الطليعي للطلبة العرب أن يعكسوا آلام أمتهم وآمالها وأن يكونوا نبض المأساة وجذوتها المطهرة ٠٠ وأن يمتلئوا يقينا صارما بأن لا أمل في النصر ما لم يحتل الايمان مكانه كعنصر رئيسي في المعركة ٠٠

الدور الطليعي للطلبة العرب أن يدركوا أن سلاح المعركة هو العلم والايمان لا يغني احدهما عن الآخر شيئا ٠٠ وكلاهما أساس وضروري في مواجهتنا الضارية لاسرائيل ومن هم وراء اسرائيل ٠

***

إن أول ما يجب أن يدركه الشباب العرب أن الاسلام يواجه اليوم بسبب جهل أبنائه وعجز علمائه أشرس حملة واجهها في تاريخه الطويل ٠

إن الصهيونية استطاعت أن تقتحم معاقل الايديولوجيات كلها ٠٠ ولم يبق صامدا في وجهها غير الاسلام !

جميع الأحزاب اليسارية قامت في الاساس لمحاربة الاسلام !

جميع الحركات القومية وجدت في الاساس لمناهضة الاسلام !

لقد حاولت الصهيونية والشيوعيةو والاستعمار منذ مطلع هذا القرن أن تلفق لأهل كل قطر مسلم « قومية وهمية » لتجعل منها فسيفسائية معزولة عن الجامع الذي يؤلف بينها ٠٠ وحين لم تنجح تلك الدعوات الاقليمية لجأوا الى فكرة القومية العربية ٠٠ يريدون بها أن تكون بديلا للاسلام !

إننا من دعاة الوحدة العربية ولسنا من الغفلة بحيث نحسب أن في الامكان قيام وحدة فورية مرتجلة بين الأقطار الاسلامية ٠٠ لكن حين ندعو إلى الوحدة العربية ندعو اليها في اطار الايمان بضرورة التضامن بين الدول الاسلامية ٠٠ ذلك لأننا نعتقد أن الاسلام الصحيح هو ثورة دائمة على الجهل ٠٠ وعلى التخلف الحضاري ٠٠ والجنوح الفكري ٠٠ ثورة على الظلم ٠٠ والذل والفساد ٠٠ ولذا كان هدف الغزو الفكري والخلقي والثقافي والسياسي في هذه المنطقة افراغ المواطن العربي من هويته الدينية لاعداده للهزيمة ٠٠ وهكذا كان ٠٠

فيا أيها الاخوة والأبناء :

ان ما سقته باختصار ٠٠ ليس ينبغي له أن يظل في حدود الأحلام والأوهام ٠٠ ولا خير فيكم أنتم اذا لم تكسوا هذه الافكار اللحم وتجروا فيها الدم وتمزجوها بنفوسكم مزجا عضويا بحيث تصبح دستور حياتكم لأنها ضمان بقائكم ٠٠ ولا يكون مؤمنا صادقا من يسلم على ارضه ومقدساته في سبيل نزوة عابرة ومتاع إلى حين ٠

ان الذل قد ساوى بين العرب ٠٠ كبيرهم وصغيرهم ٠٠ غنيهم وفقيرهم ٠٠ صعلوكهم وأميرهم ٠٠ حتى اختلط الحابل بالنابل ٠٠ إن التاريخ بأسره بكل ما فيه من حقائق وشجون يلتفت صوبكم اليوم ويرنو إليكم ٠٠ وأنا التفت إليكم بوجهي وبصدري وبكياني كله قائلا لكم : إن مستقبل الأجيال المقبلة بأسرها أمانة في أعناقكم !

نحـــن واليهــود

الأستاذ كاظم محمّد النقيب

يقول المؤلف : لنا ـ نحن المسلمين ـ مع اليهود تاريخ طويل ، مليء بالأحداث ، والصراع ٠٠ ولنا مع اليهود حاضر مليء بالعدوان علينا والتعصب ضدنا ٠

ثم يستطرد في مقدمته ٠٠ الى ان يقول لم يعد هناك « ضمير عالمي » ٠٠ ولم تفد الأمم المتحدة ولا الأمم المتفرقة ٠٠ الأمر أصبح واقعا والرضوخ له سهل يسير بألا يكلف أموالا ولا أرواحا ولا جهودا ٠ ولا جهادا ٠ ولكنه يكلفنا شرفا وعزة وكرامة فهل نحن مستعدون لنخسر هذه (القيم) ام ماذا ؟ ماذا يفعل المسلمون امام هذا الأمر الواقع ؟

وعلى هذا النحو نمضي مع المؤلف الفاضل مع حديثه عن اليهود ، عبر التاريخ ، ثم في حديثه عن عدوانهم الآثم في العصر الحديث ٠

واخيرا ٠٠ في حديثه عن العرب والمسلمين انفسهم فيما آل اليه امرهم تجاه هذا العدوان ٠٠ وهو يتساءل : ما هو الحل لقضيتنا مع اليهود ـ في نظر الاسلام ؟

ولايتردد في أن يجيب :

الحل هو : القتال ٠٠ وفي موضع آخر يقول : على ان تكون المعركة بيننا وبين اليهود المعتدين قائمة على اساس الاسلام ، لأن

الاسلام يفجر في الانسان المسلم طاقات لايستطيع تفجيرها فيه اي مبدأ آخر ٠

ويوم تكون المعركة قائمة على اساس الاسلام ، فان النصر يتحقق باذن الله !

ولنمض مع المؤلف من البداية ٠

الحكم الاسلامي لفلسطين

بدأ حكم المسلمين لفلسطين منذ عام (١٦ هـ ٦٣٧ م) فنشروا فيها العدل والأمان ٠ وأعطوا الحرية الدينية لجميع اهل الأديان ٠٠ يمارسونها دون ان يكرهوهم على اعتناق الاسلام ٠ وقاموا بتعميرها فانشأوا المدن وفتحوا القنوات للرى ، وانعشوا الحالة المعاشية لجميع السكان دون تمييز ، وعاش الجميع ينعمون بالخير والسعادة واستمر الحكم الاسلامي قائما في فلسطين حتى قيام الحرب العالمية الأولى ٠٠ وفي عام (١٩١٧ م) احتلتها انكلترا مع جملة ما احتلته من أراض اسلامية اخرى ٠

وقد بلغت الفترة التي حكم فيها المسلمون فلسطين ١٢٤٠ عاما ٠ لم ينازعهم عليها أي منازع ، ولم يجرؤ أحد ان يقول ان فلسطين هي وطن قومي لليهود أو لغيرهم ، ولم يعمل اليهود على ذلك طيلة هذه المدة وما ذلك إلا لأنهم كانوا يتمتعون بتمام الحرية وينعمون بكمال السعادة في ظل الحكم الاسلامي ولو كان وقع عليهم اي نوع من الاضطهاد لما ظلوا هذه المدة تحت الحكم الاسلامي ، بل لهاجروا الى خارج الوطن الاسلامي ٠

وقد تعرضت فلسطين كما تعرض غيرها من البلاد الاسلامية في المشرق والمغرب الى غزوات الصليبيين الحاقدة ، واستطاعوا في وقت ضعفت فيه شوكة المسلمين ، وتفرقت كلمتهم أن يؤلفوا فيها امارات صليبية صغيرة ، لكن سرعان ما استعادها المسلمون واسقطوا تلك

الامارات واعادوها الى حظيرة الوطن الاسلامي كما كانت وكما اراد لها ان تكون · وذلك بعد ان تكاتف المسلمون وتركوا الاختلافات التي كانت قائمة فيما بينهم ووحدوا كلمتهم على اساس الاسلام الذي هو مصدر عزتهم وقوتهم ·

اي الفريقين أحق بالأرض المقدسة ؟

ان أحقية المسلمين في فلسطين تتمثل اولا ·· بانها ملك عام لجميع افراد المسلمين ، وهي جزء لايتجزأ من وطنهم الاسلامي الشرعي الذي نالوه بالفتح لنشر الدعوة الاسلامية باعتبارها النظام الأصلح للبشر والتي اختارها الله لهم · وثانيا بطول المدة التي حكموها وبسطوا نفوذهم عليها كما مر بك واستوطنوها استيطانا طول تلك المدة ·

وليس لليهود ولا لغيرهم ممن حكم هذه البلاد اي حق يضاهي حق المسلمين او يضارعه ، ولنعد الى فجر التاريخ لنرى اي الفريقين أحق بهذه الأرض المقدسة ؟

يذكر المؤلف موجزا عن التاريخ القديم لفلسطين ثم يقرر ما يلي :

١ ـ ان اليهود لم يحكموا فلسطين باكملها الا مدة وجيزة من الزمن تلك هي قسم من حكم داود وحكم سليمان والبالغة (٧٣) سنة اى من عام ١٠٠٠ ـ ٩٢٧ق·م)

٢ ـ ان اليهود لم يحكموا الا مناطق صغيرة وفي مدة قصيرة ومتفرقة ـ منها قبل حكم داود ـ ومنها قسم من حكم داود ومنها بعد حكم سليمان يبلغ مجموعها (٣٤١) سنة ·

٣ ـ ان الحكم اليهودي بأي شكل من اشكاله لهذه الأرض زال منذ عام (١٣٥م) زوالا نهائيا · ولم يعد له فيها اي حكم مدة (١٨١٣) سنة اي حتى قيام دويلة اسرائيل بطريقة التآمر والاعتداء عام ١٩٤٨ م

٤ ـ ان المسلمين حكموها مدة طويلة تبلغ (١٢٤٠) سنة عدا فترة حكم الصليبيين لها بعد غزوهم لها والبالغة(١٩٢) سنة ولم يحدثنا التاريخ

عن امة من الأمم استوطنت فلسطين وحكمتها بمثل المدة التى استوطن بها المسلمون وحكموها ٠٠ ولابما يقاربها ٠
٥ ـ ان حكم المسلمين لفلسطين وغيرها ـ ماجاء نتيجة لغزوها والاستيلاء عليها بقصد نهب خيراتها واذلال رعاياها ٠٠ وانما بقصد نشر الدعوة الاسلامية باعتبارها النظام الأصلح للبشر وانها الشريعة الآلهية العادلة ذات الكلمة الفاصلة في جميع المجالات التي اختارها الله لهم وارسل بها اشرف انبيائه محمد بن عبدالله (صلى الله عليه وسلم) لتكون خاتمة الشرائع الالهية ، فليس للبشر ان يختاروا لأنفسهم بعد ان اختار الله لهم ٠٠ فالمسلمون هم المنفذون لأمر الله في خلقه حتى لاتكون فتنة ٠ ويكون كله لله ٠

من هذا يتبين ان الحق كله للمسلمين في فلسطين ٠٠ وليس لليهود ولا لغيرهم فيها أي حق ٠٠ ولكن هل تدرك الأمم المتحدة هذه الحقائق الدامغة ؟! وهل يتيقظ الضمير العالمي ليقول كلمته في الحق المغتصب ؟ وهل يسمع بهذا مجلس الأمن ليعيد الأرض الى اهلها الشرعيين ويسود الأمن في المنطقة كلها ؟ ستظل هذه التساؤلات دون ان تنال الاجابة حتى ينهض المسلمون من كبوتهم ٠

وينفضوا عنهم جميع ما علق بهم من مخلفات الاستعمار الكافر ٠ ويعيدوا سيرتهم الأولى ٠ وبذلك وحده يثبتون للعالم اجمع حقهم المضيع في فلسطين العزيزة ٠٠ وان غدا لناظره قريب ٠

واجب المسلمين في استرداد الوطن

ان الواجب الاسلامي يفرض على كل مسلم ان يبذل جميع ما بوسعه من اموال وجاه ٠٠ وحتى نفسه من اجل المحافظة على الوطن الاسلامي ، وحماية بيضة الاسلام من كل اعتداء خارجي يهدف الى سلب او اقتطاع جزء من ارضهم او نهب اموالهم او الاعتداء على

كرامتهم ٠٠ وذلك بان يجاهد في سبيل الله جهادا مقدسا لرد العدوان وردعه ٠

ثم يقول المؤلف بعد حديث مستفيض عن معنى الجهاد واهميته ٠٠ ووجوبه على جميع المسلمين اليوم دون استثناء احد منهم ٠٠ وذلك لأن اليهود مارسوا العدوان ومازالوا يمارسونه بأبشع صورة مما ادى الى استيلاءهم على قسم عزيز من البلاد الاسلامية وتهديدهم المباشر للاقسام الأخرى ٠

الحرية التي تمتع بها اليهود في ظل الحكم الاسلامي

لم يتمتع المسلمون الذين عاشوا أو يعيشون الآن في ظل دين من الأديان او نظام حكم من الأنظمة القائمة اليوم ، والتي تدعى الحرية الدينية لكافة مواطنيها ٠٠ أو الأنظمة التي كانت سائدة سابقا على اساس من الدكتاتورية الفردية والتعصب المقيت ٠٠ لم يتمتع المسلمون ـ في ظل حكم غيرهم ـ بمثل ما تمتع به غيرهم من اهل الأديان والمبادىء ، في ظل الحكم الاسلامي ٠

وان الذي يدرس التاريخ ، ويقارن بين معاملة المسلمين لغيرهم من اهل الأديان بوجه الخصوص ٠٠ ومعاملة اهل الأديان للمسلمين ، يجد ان البون شاسع ٠ والفرق كبير بين المعاملتين ٠

يجد التسامح والعفو والصفح والحرية والحماية المخلصة وكل انواع الانسانية والنبل والشهامة والكرم والعطف والشفقة والرأفة والأخوة الى غيرها ٠٠ من كل معاملة طيبة تتمثل في المسلمين تجاه غيرهم من أهل الأديان ٠

ويجد الارهاب والتنكيل وارتكاب افضح الجرائم وافظعها ٠٠ وقتل الأطفال والنساء والشيوخ ٠ وابادة الناس بالجملة ٠٠ كما يجد الحقد والضغينة ٠٠ والتعصب الأعمى وكل الأعمال اللاانسانية تتمثل في معاملة غير المسلمين للمسلمين ٠

واليهود بالرغم من التعبير القرآني فيهم ، وفي عداوتهم للمسلمين ٠ « لتجدن أشد الناس عدواة للذين آمنوا اليهود ٠٠» فقد عاملهم النبي صلى الله عليه وسلم معاملة طيبة اذ عقد معهم معاهدة تضمن أن يعيشوا في المدينة مع المسلمين دون أن ينالهم أي أذى ان هم وفوا للمسلمين بعهدهم ولم يتجسسوا عليهم لحساب المشركين ولم يعاونوهم ٠٠ ولم يؤلبوا على المسلمين عدوهم ٠٠ وبذلك امنهم على اموالهم وانفسهم ٠٠ ومنع جميع المسلمين من التجاوز على حقوق اليهود او التطاول عليهم ٠٠ وكان صلى الله عليه وسلم قد اوصى عامله معاذ بن جبل بالا يفتن اليهود عن يهوديتهم كما انه لما غنم المسلمون ما غنموا من اموال اليهود في خيبر بعد انتصار المسلمين عليهم بسبب خيانتهم كان من بين تلك الغنائم صحائف متعددة من التوراة ٠٠ فلما جاء جماعة من اليهود يطلبونها أمر النبي صلى الله عليه وسلم بتسليمها لهم ٠

ويقول الدكتور « اسرائيل ولفنسون » في هذه الحادثة بالذات : « يدل هذا على ما كان لهذه الصحائف في نفس الرسول من المكانة العالية مما جعل اليهود يشيرون الى النبى (ص) بالبنان ويحفظون له هذه اليد ٠ حيث لم يتعرض بسوء لصحفهم المقدسة ٠ويذكرون بازاء ذلك ما فعله الرومان حين تغلبوا على اورشليم سنة ٧٠ ب٠م اذ احرقوا الكتب المقدسة وداسوها بأرجلهم ٠٠ وما فعله المتعصبون النصارى من حروب اضطهاد اليهود في الأندلس ٠٠ حيث احرقوا ايضا صحف التوراة ٠٠ هذا هو البون الشاسع بين الفاتحين ممن ذكرناهم ٠٠ وبين رسول الاسلام ٠

اضطهاد اليهود للمسلمين

يقول القرآن الكريم : « هل جزاء الاحسان الا الاحسان » ولكن اليهود اناس لم يعرفوا الاحسان ٠٠ ولم يكافئوا المحسنين اليهم الا

بالاساءة ، بل بأشد انواع الاساءة ·· لقد كان الأولى باليهود ـ ان كانوا بشرا ـ ان يذكروا للمسلمين معاملتهم الطيبة لهم واياديهم البيضاء ومعروفهم الجميل الذي أسدوه لهم خلال قرون وقرون من الحكم الاسلامي الذي عاشوا في ظله آمنين !!

ولكن أنى لليهود ان يتحلوا بمكارم الأخلاق ·· وأنى لهم ان يتصفوا بالانسانية ·· وتعاليم عقائدهم تملى عليهم الاجرام ·· ففي التلمود :

« ان املاك غير اليهود تعتبر كالمال المتروك الذي يحق لليهودي ان يتملكه ·· وان الله قد منح اليهود السلطة على مقتنيات وحياة كل الشعوب » ·

الى أن يقول :

ولو اردنا ان نحصى جرائم اليهود ضد المسلمين ، وما يمارسونه من ظلم وتقتيل ونهب وسلب منذ عام ١٩٤٧ م الى يومنا هذا سواء كان ذلك داخل فلسطين المحتلة ·· أو بسبب الهجوم الذي يشنونه بين آونة واخرى على البلاد العربية المجاورة · لو اردنا ان نحصى ذلك لاحتجنا بلا أي مبالغة الى مجلدات ضخمة لهذا الغرض فقط ·· بل ولعجزنا عن احصاء الكثير من اعمال الاضطهاد التي لم تقع تحت حصر ·· ولم تسجل بسجل ·· ولكن ذكر بعضها يكفي للتعرف على فظاعة الأعمال الأخرى ·

تقول الكاتبة الأمريكية « ايلين بيتي » بعد أن تذكر انواعا متعددة من العدوان على الآمنين وابادة قرى عربية بكاملها على ايدي اليهود « ان اسرائيل تزعم انها تدافع عن نفسها ·· ولكن ان كان ذلك القتال دفاعا عن النفس فعلا ضد غزاة ما ·· أفلا ينشب على الحدود ، أو على الجانب الاسرائيلي من خطة الهدنة ؟ لماذا تقع هذه المذابح التي تذهب ضحيتها قرى عربية بكاملها ؟ اجل لماذا تقع هذه المذابح دائما وابدا عبر الحدود ·· وفي الجانب العربي من خط الهدنة ؟»

وهي بعد ان تذكر المساعدات الامريكية لاسرائيل تقول : هل يعرف مواطنونا الأمريكيون اليهود انهم انما يمولون في حمية ونشاط برنامج تقتيل وسفك وسرقة ضخمة ؟

اليهودي يهودي أينما حل ،

من الخطأ الفاحش أن يعتقد الفرد منا ، أن اليهود الذين يعيشون في قطر من الأقطار يكونون مواطنين صالحين ، شأنهم في ذلك شأن سائر الأفراد الآخرين يعملون من أجل وطنهم وبلادهم · ان من يعتقد ذلك ، أما أن يكون جاهلا بحقيقة اليهود ·· ومتأثرا بدعاياتهم التي لا حد لها ولا حصر من حيث لا يدري ولا يعلم ، وتلك مصيبة يجب عليه أن يتخلص منها ، واما أن يكون مغالطا ويعمل لحسابهم ، ومسخرا من قبلهم ، وهو يعلم بحقيقتهم فعندما تكون المصيبة أعظم ·· فيجب عليه أن يعرف أن البلاء الذي ينزله اليهود بالمسلمين يعمه ويشمله ولا تنفعه عمالته لهم ··

وعلى كل فريق من هؤلاء أن يستمع الى أقوال اليهود أنفسهم وتصريحاتهم في هذا الشأن ليكون على بينة من أمره ·

فهذا الحاخام يهوذا الأمريكي اليهودي قال في بيان أصدره عام ١٩٦١م ، بالحرف الواحد :

« انني يهودي أولا ·· ثم أمريكي ثانيا بعد ذلك ··· » !

وهذا يهودي آخر هو « ستيفن سين واين » قال : « لقد كنت أمريكيا ثلاثة وستين جزءا من أربعة وستين جزءا من حياتي ، ولكنني ظللت يهوديا منذ أربعة آلاف سنة » ·

وقد أدرك « هتلر » هذه الحقيقة حينما خاطب اليهود في المانيا وغيرها من دول اوروبا عندما شن عليهم حملته بعبارته المشهورة « أنت لست المانيا ·· بل أنت يهودي ! » ·

من هذا وغيره نستخلص أن اليهودي يهودي أينما حل ونزل ، وأينما

سار وارتحل فهو لمصلحة اليهود ولا ينسى أنه يهودي قبل كل شيء ٠

فلذا نراه اذا أصبح غنيا ذا أموال طائلة فهو يسخر تلك الأموال لحساب اليهود ، واذا تولى منصبا في قطر ما فانه يستغله الى أبعد الحدود لأجل مصالح اليهود ٠٠

وهم يسعون بكل ما لديهم من قوة ومن مكر للحصول على الأموال والجاه والمناصب لتسخيرها لمصالحهم ٠

ومن أمثلة ذلك سيطرتهم على المنظمات الدولية ٠٠ وعلى قيادات الأحزاب ٠٠ وعلى وزارات كثير من البلدان ودوائرها الحساسة ٠٠

٠٠٠ وقد جاء في تقرير لجنة الأمم المتحدة عن فلسطين ، المجلد ٣ ص ١٣٠ « اليهودي يبقى يهوديا دائما حتى ولو ارتد عن دينه ٠٠ فاذا ارتكب هذه الخطيئة بقي يهوديا على الرغم من ذلك وهو لن يستطيع أبدا تحرير نفسه من أسر يهوديته » ٠٠ قال ذلك الحاخام ج . ل . فيشمن ٠

وما اليهود الذين شغلوا مناصب كبيرة في دول كثيرة وفي هيئات الأمم المتحدة ، وفي قيادات الأحزاب المختلفة إلا دليل قاطع على أنهم يسعون لذلك لتسخير ما يمكنهم تسخيره عن طريق هذه المناصب لمصلحة عامة اليهود ، وخدمة أغراضهم التوسعية ٠

خطط اليهود لافساد الأخلاق

ما سادت الأخلاق في أمة إلا ورقت وارتفعت معنوياتها إلى مصاف أرقى الأمم المتقدمة ، وما انهارت أخلاق أمة الا وتدهورت وانحطت الى جنب الأمم المتأخرة ٠٠

٠٠٠ أدرك اليهود ذلك فراحوا « كجزء من مخططهم الجهنمي الذي يستهدف السيطرة على العالم والتحكم في أمواله وأرواحه وتنفيذا لما يدور في رؤوسهم وعقلياتهم من أنهم « شعب الله المختار » وأنهم أبناء الله وأحباؤه » ٠٠ يفسدون في الأرض بعد اصلاحها ، ويسعون في

الأرض فسادا ، وذلك بتحطيم أهم ركيزة ترتكز عليها الحياة الانسانية وهي : الأخلاق ··

··· فكل ما نراه اليوم في عالمنا من مظاهر الانحلال والتفسخ والانحطاط الخلقي والميوعة لدى الشبان والشابات والسقوط إلى مهاوي الرذائل ، التي انتشرت انتشارا عجيبا ، ولم تترك دارا ولا محلا إلا ودخلت اليه ، ونفذت الى جوانبه ما هو إلا من أثر التخطيط اليهودي لافساد الاخلاق ··

قال « هتلر » : « منذ أن وضع اليهود والبلاشفة نصب أعينهم تقويض صرح الدولة الألمانية رأينا الرذيلة تنصب شراكها في الطريق ·· وعرش الاباحية والخلاعة ينتصب في دور العرض السينمائي والمرابع والحانات ·· وحتى في الساحات العامة ·· وكيف يرجى من شبيبة هذا شأنها أن تهب للذود عن الوطن ، وأن تستميت في الدفاع عن مؤسساته وتقاليده ؟ » ·

ومن العجيب أن يتنبه « هتلر » إلى ذلك الخطر ·· ويظل المسلمون في غفلة عنه حتى تفشى فيهم وأحالهم إلى حيارى لا يعرفون كيف يواجهون مشاكلهم وهم أهل الشرف والحمية ، وأهل الغيرة والمروءة ·

***

··· واليهود بمحاربتهم للأخلاق ، ومحاولتهم القضاء عليها إنما يسلبون الشعوب أعز ما لديهم وإنما يلحقون بهم خسائر لا يمكن تعويضها بشيء آخر ·· إذ أن المثل المشهور يقول :

« اذا خسرت المال لم تخسر شيئا ·· واذا خسرت الصحة خسرت شيئا ·· وإذا خسرت الشرف خسرت كل شيء ·· » ·

ماذا قال الرئيس كنيدي عن أمريكا

··· وهذه أمريكا التي تلعب بها اليهودية كيفما تشاء هي الأخرى · أصبحت غارقة في الشهوات مما أدى إلى « كندي » أن يصرح في

سنة ١٩٦٢ : « أن مستقبل أمريكا في خطر ·· لأن شبابها مائع منحل غارق في الشهوات ·· لا يقدر المسؤولية الملقاة على عاتقه ·· وأنه من بين كل سبعة شبان يتقدمون للتجنيد يوجد ستة غير صالحين ·· لأن الشهوات التي غرقوا فيها أفسدت لياقتهم الطبية والنفسية !! » ·

ثم جاء دور انجلترا : قضية « بروفيمو » وتعريض أسرار الدولة العسكرية للخطر لقاء لذة فاجرة يقضيها وزير الحرب مع احدى العاهرات ··

ثم جاء دور روسيا : صرح خروشوف ١٩٦٢ ـ كما صرح كندي ـ بأن مستقبل روسيا في خطر وأن شباب روسيا لا يؤتمن على مستقبلها لأنه مائع منحل غارق في الشهوات !! » ·

***

هذا هو حال الدول الكبيرة ·· وما الدول الأخرى بأقل انسياقا وراء شهواتها منها ·

وقد نشرت جريدة عربية كانت تصدر في « القدس » حول مفاسد الأخلاق ·· ثم ختمت هذه الجريدة كلامها بهذا النداء المؤلم المثير :

« يا شباب حلب ودمشق والعراق والقاهرة وبيروت ومكة والمدينة !! إذا كان هذا شأنكم فانتظروا ·· فان اسرائيل سترقص رقصة الموت على أشلائكم ·· وفي عقر دياركم وفي عواصمكم ومدنكم وقراكم ·· فما بعد « قبية » و « نحالين » وغيرهما من قرى الحدود ·· إلا الاندفاع إليكم والاجهاز عليكم » ·

تعاون اليهود مع الصليبيين ضد المسلمين

ان الصليبية الحاقدة على الاسلام ·· والعدوة الثانية للمسلمين ·· والتي لبست من الاستعمار الحديث قناعا تستر به وجهها الكالح ، آن هذه الصليبية التي شهرت السلاح وجندت الجنود ، وحاربت المسلمين بتلك الحملات الصليبية الظالمة ··

قد اتفقت مصالحها اليوم مع مصالح اليهود ضد الاسلام والمسلمين ، فوجدت من اسرائيل ستارا جديدا تختفي وراءه لتفرغ حقدها على المسلمين ، وتنفذ مآربها في وطننا الاسلامي ٠٠

فليس اليهود وحدهم أمامنا في المعركة ، وانما وراءهم الصليبيون بكل قوتهم وجميع امكانياتهم التي وضعوها بأيدي هؤلاء اليهود للفتك بنا والاعتداء على كرامتنا ٠٠ وان أشدها فتكا هو سلاح التعصب ضدنا ٠٠ والحقد الدفين علينا ٠

معركتنا مع اليهود

ان معركتنا مع اليهود كانت ومازالت وستظل حتى يتطهر اخر شبر من وطننا الاسلامي من عدوانهم ، وعدوان أسيادهم الانكليز والأمريكان ومن لف لفهم ٠٠ وحتى تزول من الوجود هذه الدولة المسخ التي أقيمت على أشلاء أمتنا ٠٠ وعلى انتهاك حرماتنا ومقدساتنا ٠٠

قال تعالى : « قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون » هذا هو حل القضية في نظر الاسلام ٠٠ انها معركة بين الحق والباطل ٠٠ بين الذين يدينون دين الحق ، وهم أهل الاسلام وبين الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ٠٠ انها معركة لا تنتهي ٠٠ وهذه المعركة تطلب منا الكثير والكثير من العمل المتواصل الجاد ، وأهم ما يلزمنا القيام به هو ما يلي :

١ ـ العمل على أن تكون المعركة بيننا وبين اليهود المعتدين قائمة على أساس الاسلام لأن الاسلام يفجر في الانسان المسلم طاقات لا يستطيع تفجيرها فيه أي مبدأ اخر ٠٠ وبذلك يحقق قوة فعالة تقدم على المصاعب ولا تحجم ، وتصمد في الأهوال ولا تنهزم أمام الشدائد ٠٠ وقد أثبت

التاريخ بطولات نادرة صنعها الاسلام ، وحقق بها جميع انتصاراته المعروفة ··

ورحم الله عبدالله بن رواحة اذ قال في غزوة « موتة » كلمته المشهورة بعد أن رأى المسلمين مترددين في حرب الروم لأنهم يزيدون عليهم أضعافا كثيرة فقد كان عدد المسلمين ثلاثة آلاف ·· بعثهم النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان عدد الروم ومن والاهم من العرب المتنصرين « مائتين وخمسين ألفا !! » فشجعهم عبدالله بن رواحة · وقال لهم : « يا قوم ! والله ان الذي تكرهون لهو الذي خرجتم له خرجتم تطلبون الشهادة ونحن ما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ·· ما نقاتلهم الا بهذا الدين الذي أكرمنا الله تعالى به فانما هى احدى الحسنيين ·· اما ظهور ، واما شهادة ·· » ·

***

ويوم تكون المعركة قائمة على أساس الاسلام ، فان النصر يتحقق باذن الله تعالى ·· لأنه هو القائل : « ان تنصروا الله ينصركم » ·· وهذا يمكن للعرب وحدهم أن يقوموا به ·· بعد أن تخلص النيات ·· وتجتمع القلوب على طاعة الله ·· وابتغاء مرضاته ··

ولكن هـذا لا يتحقق ولن يتحقق إلا اذا أخذنا الاسلام وجعلناه القاعدة التي يرتكز عليها نظامنا ودستورنا ، وإلا اذا طبقناه في جميع مجالات حياتنا العامة والخاصة فعندئذ نجد أن الاسلام كفيل بتحقيق النصر لنا ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا » ·

٢ ـ العمل على توسيع دائرة المعركة ·· ونقلها من نطاقها الضيق بين العرب واسرائيل ، إلى نطاقها الواسع بين المسلمين عامة واسرائيل وبذلك تكون حربا جهادية مقدسة شاملة ·· فان الذي يرنو الى المسلمين وهم يؤلفون « ٨٠٠ » مليون من البشر ·· تجمعهم عقيدة واحدة ·· وإلى الوطن الاسلامي الذي يسكنون فيه وما يمتاز به من مواقع استراتيجية ·· وثروات هائلة متعددة ومتنوعة ·· وإلى القدرات

والكفاءات التي يمتلكها هؤلاء المسلمون ، وإلى ماضي المسلمين ·· فانه لا محالة يخرج باحساس كبير بالامكانيات الهائلة والقدرات الخلاقة التي يمكن أن يحققها تعاون هؤلاء المسلمين جميعا ··

ولكن الذي يحز النفس أسفا هو أن الكثير من المسلمين في غفلة عن هذه الامكانيات التي يمكن أن يخلقها تعاون عامة المسلمين ·

٣ ـ ان المعركة تتطلب منا صمودا وصبرا « ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين » كما تتطلب قوة وصلابة ·· ومعلوم أن المفاسد الخلقية ·· وتفشى الميوعة من الأمور التي تنخر كيان الأمة وتؤدي بها الى الخسارة ·· فعلينا أن نسعى جادين ، وبكل اخلاص لتطهير مجتمعاتنا من كل الرذائل والمفاسد التي أشاعها اليهود ، ونشروها في بلادنا ·· بقصد تمييع شبابنا ·· وانهيار اخلاقهم ·· فلابد لنا ونحن في صميم المعركة من القيام فعلا بمنع أسباب هذه المفاسد ، وتحريم استعمالها ، والقضاء على مصادرها من الخمور والافلام الخليعة ·· والمجلات التي تبرز الاجسام العارية والأغاني والكتب الغرامية ·· الخ وبذلك نحفظ للشباب حميتهم على أمتهم وغيرتهم على وطنهم ·· ونصون لهم عزتهم وكرامتهم ··

وكذلك يجب علينا القيام بالتوعية الاسلامية الصحيحة الشاملة بمختلف الأساليب والوسائل لخلق جيل اسلامي يعي احداثه ومشاكله ، ويعالجها على ضوء التعاليم الاسلامية ، يكون مماثلا لذلك الجيل الذي أوجده النبي صلى الله عليه وسلم في صدر الاسلام ·

وأخيرا : لابد من اشاعة الأمل في النفوس ·· الأمل بوعد الله ·· الأمل بالنصر المحتم ·· المبنى على العمل المثمر البناء ·· والاعداد الكامل للمعركة ولجميع متطلباتها ·

إسرائيل بين البداية والنهاية

الدكتور محمود دياب

الحديث عن اليهودية الصهيونية ·· أو الحديث عن اسرائيل وأطماع اسرائيل ·· مهما استمر ومهما تعدد ·· فلا يمكن ان يقال عنه ـ في اعتقادنا ـ انه مكرور معاد ··

ان قضيتنا مع اليهودية الصهيونية ·· والتي تمثلها اسرائيل ـ سياسيا ودوليا هي قضية مصير ·· بالنسبة للعالم الاسلامي جميعه ، ومحال الا تكون شغلنا الشاغل في كل لحظة ·· ان اسرائيل تقف نفس هذا الموقف منا دائما ·· تتعقب كل أمورنا ، وتتعرف بكل شؤوننا لان هذا هو ما يجب أن تصنعه معنا وما يجب أن يكون ··

* * *

وفي هذا الكتاب ـ اسرائيل بين البداية والنهاية ـ يتناول المؤلف جانبا من جوانب العدوان الاسرائيلي من بدايته القريبة المعاصرة أعني منذ انعقاد اول مؤتمر لليهودية في مدينة بال السويسرية عام ١٨٩٧ وما صدر فيه بمساعي هرتزل المعروف من قرارات انشاء الدولة اليهودية ·

يقول المؤلف :

ان مأساة فلسطين ستتبعها مآس ونكبات ، ان لم نتدبر نحن الامر ، ونستعد لدفع الاذى الماحق ·· لقد أصبح لزاما علينا أن نفهم الصهيونية على حقيقتها ، ونعرف الاسباب التي دفعت الحكومات المختلفة الى مناصرة الصهيونيين ، وتمكينهم من فلسطين ومنا ·

يرنو اليهود الصهيونيون الى فلسطين من زمن بعيد ··

ويعتبر (هرتزل) أول يهودي في العالم عرف كيف يحول الصهيونية الكلامية الى التعبير ٠٠

وهرتزل ٠٠ يهودي كان يعمل مراسلا لاحدى صحف فينا في باريس ، وكان يعمل في هذه الوظيفة عندما وقعت مسألة « دريفوس » سنة ١٨٩٤م وألف (اميل زولا) كتاب « اني أتهم ؟ » ٠٠ وهو يدور حول اضطهاد العالم المسيحي لليهود في أوروبا ٠

وألف « هرتزل » كتاب (الدولة اليهودية) ونشره في صيف ١٨٩١ ، ونادى باقامة مستعمرات يهودية في الارجنتين أو فلسطين ترعاها بريطانيا على ان يكون الهدف خلق دولة يهودية قومية ذات سيادة ٠

* * *

٠٠٠ وانعقد المؤتمر الصهيوني الاول في اغسطس عام ١٨٩٧م في مدينة (بال) بسويسرا ٠٠ وكان أهم ما فيه الحصول على حق شرعي دولي معترف به ٠٠٠ لاستعمار فلسطين ، وتنظيم الهجرة ، وايجاد منطقة دائمة يهودية ، لتحقيق اهداف الصهيونية ٠٠

وقال « هرتزل » عند انتهاء المؤتمر :

« الآن أقول انه ستقوم دولة يهودية في فلسطين ٠٠ ستسخرون من ذلك ٠٠ ولكني متأكد انها ستقوم ٠٠ في مدى عشرين عاما أو خمسين عاما !!

وطلب هرتزل من السلطان عبد الحميد توطين اليهود في فلسطين سنة ١٩٠١ ٠

فرفض قائلا :« ان فلسطين هي بلاد المسلمين ولا يمكن ان أفرط فيها :

ودخلت الصهيونية في مفاوضات مع الانكليز لاستعمار شبه جزيرة سيناء وأوغندا ٠٠

ومات (هرتزل) سنة ١٩٠٤ ، فلبس اليهود عليه الحداد ، واجتمع المؤتمر الصهيوني في سنة ١٩٠٥ وقرر استعمار **فلسطين ٠٠ ولا مكان**

غير فلسطين !

وفي الفترة ما بين ١٩٠٥ ـ ١٩١٤ بنيت ٥٩ مستعمرة بها ١٢٠٠ يهودي ٠

وابتدأ (ويزمان) بصلاته بساسة انكلترا ، وعلى رأسهم المستر لويد جورج ولورد بلفور ٠٠ وعمل اليهود ضد تركيا والمانيا في صف الحلفاء حتى تكون بريطانيا في فلسطين ٠٠ وصدر وعد بلفور في نوفمبر ١٩١٧ ، وانتهت الحرب العالمية الاولى ٠٠ وقال اللورد اللنبي حينما دخل القدس كلمته الشهيرة :

الآن ٠٠ انتهت الحرب الصليبية

وعين السر هربرت صمويل اليهودي أول مندوب سام لبريطانيا على فلسطين ، وأصبح للوكالة اليهودية رأي في حكومة فلسطين ، وفي تنظيم الهجرة الى فلسطين وفي اخذ اراضي الحكومة ، وأراضي اوقاف المسلمين ، وبلغ مقدار هجرة اليهود من سبتمبر سنة ١٩٢٠ ـ ١٩٢٦ مقدار ٩٩.٨٠٦ أشخاص ٠

وهبت ثورات عربية في سنوات : ١٩٢٠ ، ١٩٢٩ ، ١٩٣٣ ، ١٩٣٥ ، ١٩٣٩ وكانت انجلترا تبعث دائما بلجان ملكية تعطي العرب الفاظا جوفاء بينما تشجع الحكومة الانكليزية والمندوب السامي اليهودي ـ اليهود على الهجرة ـ وقد جاء في تقرير برسون :« ان الاستعمار اليهودي تسبب في تشريد كثير من العرب »وفي سنة ١٩٣٦ ارسلت لجنة بيل التي اقترحت التقسيم ٠

الى ان يقول : وبعد نهاية الحرب العالمية الثانية اعلنت انجلترا فشلها في مشروع التقسيم واحالة قضية فلسطين الى الأمم المتحدة ٠٠ وصدر قرار التقسيم في ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٧ ٠

وأعلنت انجلترا انسحابها في ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ في الوقت الذي

اعلن فيه « بن جوريـون » مولد اسـرائيل ٠٠ وأعلن تـرومان رئيس الولايات المتحدة الامريكية اعترافه بها بعد دقيقة واحدة من اعلانها مما يدل على ان الامر كان مدبرا بليل ٠

وهنا فات المؤلف الفاضل ان يذكر اعتراف الاتحـاد السوفيتي ايضـا باسـرائيـل في نفس الوقت ، وكـانت ثـانيـة دولة في هـذا المجال ٠٠

حقيقة اسرائيل والاشخاص الذين يسكنونها

ان الصهيونية العالمية تمكنت من جمع اشخاص كالجنود المرتزقة من كل انحاء العالم ٠٠ وقد اثبت علم الاجناس انه لا توجد اختلافات بين السلالات البشرية ـ أكثر مما تجده بين الجماعات اليهودية في مختلف القارات ٠٠ واليهود ينتمون الى عدد كبير من السلالات ، وهم يشبهون الجماعات التي يعيشون في وسطها ٠

ومن اصـدق الادلة على ذلك مـا حدث للألمـان اليهود في ظل حكم النازي ٠ فقد استطاع كثير منهم ان يثبتوا بواسطة وثائق اتقنوا صنعها انهم آريون فأقتنعت السلطات الالمانية بأنهم آريون حقا ٠٠ وسجلت اسماءهم بأنهم آريون ، لم تجر في عروقهم قطرة من دم اخر سوى الدم الآري ٠٠

أما كيف قامت اسرائيل ، فالعالم يعـرف ان سكانهـا جماعـة من مختلف الاجنـاس جمعتهم الصهيونيـة العالميـة لخدمـة الاستعمـار البريطاني اولا ، والامبريالية الامريكية ثانيا ٠٠

من النيل الى الفرات

والصهيونية العالمية قامت على اهداف محددة واضحة وهي « من النيل الى الفرات احكمي يااسرائيل !» ٠٠

وسننقل جزءا من اقوال هرتزل الذي كان اول من جمع اليهود

على هدف محدد

١ ـ ان ارض سيناء والعريش هي ارض اليهود العائدين الى اوطانهم ·
٢ ـ اوغندا محطة ليلية في طريق فلسطين ·
٣ ـ سيناء هي فلسطين المصرية ·
٤ ـ مساحة فلسطين هي من نهر مصر الى الفرات ·

ولابد من فترة انتقالية لتثبيت مؤسساتنا يكون الحاكم فيها يهوديا ، ويريدون كل ارض عربية كان بها يهود ·· ومنها المدينة المنورة : مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ·

ولقد دنسوا المسجد الاقصى بحوافر خيولهم ، وأعلنوا القدس عاصمة لاسرائيل ·

والواجب علينا ان يعرف العالم كله ان معركة فلسطين هي معركة الامة العربية كلها ·· ومعركة الامة الاسلامية كلها ·· ومعركة ضد اشد انواع الاستعمار الذي لم يسبق له مثيل في العالم ·· فلم يسبق في التاريخ كله ابادة شعب آمن بإحلال شعب آخر مستعمر مكانه ··

* * *

وأول شيء يجب معرفته هو : معرفة العدو معرفة كافية حتى نواجهه المواجهة المتكافئة بالآتي :

١ ـ من هو العدو ؟
٢ ـ من هم حلفاؤه الذين يدعمونه سياسيا وعسكريا واقتصاديا ؟
٣ ـ ماهي منظماته العسكرية وشبه العسكرية ؟
٤ ـ ماهي روحه العدوانية ؟
٥ ـ ماهي اهدافه القريبة والبعيدة ؟
٦ ـ ماأطماعه التوسعية ؟
٧ ـ ما أساليبه الاقتصادية والاعلامية ؟
٨ ـ طرقه في بث تعاليم التلمود ، وبث تعاليم الماسونية والصهيونية ،

وغيرها من الطرق الشريرة ؟

٩ ـ شبكاته الجاسوسية ؟

١٠ ـ العدو ليس يهود اسرائيل فحسب ·· بل الصهيونية العالمية بعلمائها وأموالها ، وخبرائها ونفوذها ووسائل سيطرتها ؟

١١ ـ التغلغل الاسرائيلي في افريقية ؟

١٢ ـ التغلغل الاسرائيلي في أسيا ؟

ومعركة فلسطين والشرق الاوسط هي كما سبق القول :

١ ـ معركة الامة العربية كلها ، والامة الاسلامية كلها : معركة ضد اقسى مراحل الاستعمار !

وصورة المشكلة اليوم هي قضية وطن احتلته قوة غازية غربية فاشية ·· نتيجة مؤامرة عالمية اشتركت فيها قوى الاستعمار والصهيونية ، ابتدأت ببريطانيا بوصفها اقوى امة في العالم بعد الحرب العالمية الاولى ، وانتهت بأمريكا بوصفها اقوى أمة في العالم بعد الحرب العالمية الثانية ·· وقضية فلسطين قبل يونيو ١٩٦٧ كانت قضية لاجئين ، والآن يجب ان نغير كلمة « لاجئين » بكلمة غازين وفاتحين !!

والآن ·· فما الذي يجب عمله ؟

يقول الشاعر :

وقف الزمان بكم كموقف طارق
اليأس خلف ، والرجاء امام !
والصبر والاقدام فيه ، اذا هما ··
قتلا ·· فأقتل منهما الاحجام
يحصي الذليل مدى مطالبه ، ولا
يحصي مدى المستقبل المقدام

الذي يجب عمله هو الآتي :

١ ـ التمسك بأهداب الدين الاسلامي الحنيف ، روحا وعملا ، ومعرفة

ان الجهاد في سبيل الله فريضة اسلامية ، والاستشهاد طريق الجنة ، والتخلف المادي الذي يتكلمون عنه لا يمنع التفوق النفسي والمعنوي الناجم عن الشعور بالدفاع عن الحق ، والمصلحة والكرامة والحياة ٠

ان الدولة الرومانية ٠٠ والدولة الفارسية قد سقطتا على أيدي المؤمنين من المؤمنين الأوائل ٠٠ وفي ايدي غزاة متخلفين في جميع المجالات المادية والفنية ولابد لنا من مقابلة ما نحن فيه بطاقة روحية دينية مبنية على الشعور بفداحة ما نحن فيه ٠

ومعرفة الاخطاء

ان معرفة الاخطاء واجبة ٠٠ ونحن في تقدمنا السريع الشامل خلال السنوات الماضية ٠٠ وعلى جميع الجبهات السياسية والصناعية والعسكرية والدولية غفلنا عن فجوات خطيرة ٠٠ وفاتتنا امور كان يجب أن نلتفت اليها ، نسينا في هذه المرحلة الخطيرة أننا حملنا معنا كثيرا من عيوبنا القديمة :« الفردية الشللية ـ الحساسية بالشخصية ـ التسلق الاجتماعي والاهتمام بأداء الواجب مظهريا ٠٠ دون ان يكون اداء واقعيا وبحذافيره ٠٠ الخ » ٠٠

الدعاية الاسرائيلية

لقد نجحت الدعاية الاسرائيلية في حصولها على تأييد كامل ـ ان لم يكن غزوا حقيقيا للرأي العام الغربي ٠٠

والواجب علينا أن نفهم كيف نجحت الدعاية الاسرائيلية في تحقيق غايتها عن طريق دراسة الصحف اليومية والمجلات الاسبوعية في العالم عامة ، وغرب اوروبا وامريكا خاصة ٠٠ لقد استعملت في تحقيق أغراضها مايلي :

١ ـ وسائل الاعلام : الصحف ، الاذاعة ، التلفزيون ، المسرح ، السينما ٠٠

٢ ـ الاجهـزة الدولية وغـير الحكوميـة مثل اجهـزة الامم المتحـدة ، اليونسكو ، والصحف العالمية وغيرها ·· لقد عمل اليهود فيها بـأقل الاجـور حتى يتمكنوا من معـرفة داخـل الامور ، وهـم يجيـدون عدة لغات ··

٣ ـ الاتصال المباشر : التجأت اسرائيل الى الاقليات اليهودية المنتشرة في انحاء العالم الغـربي ، وأقامت المنـظمات اليهـودية والصهيـونية المختلفة ، ثم ارسلت مندوبيها وممثليها عن طريق نشر السياسة الثقافية وباسم منظمات الصداقـة دون ان تعتمد عـلى الممثلين ·· فلهم دور آخر ··

أصول الدعاية الاسرائيلية

قدمت اسرائيل نفسها على الاسس الآتية :

١ ـ اسرائيل دولة قائمة ، ولها حق البقاء ·

٢ ـ اسرائيل ترتبط حضاريا بالوجود الغربي ·

٣ ـ اسرائيل تعبر عن العقائد السياسية المعاصرة ·

٤ ـ اسرائيل تؤمن بمبدأ العالمية ·

٥ ـ تدافع عن مبدأ المسؤولية التاريخية ·

٦ ـ اسرائيل دولة عصرية تمثل اقصى مراحل التقدم ·

٧ ـ اسرائيل تنتمي الى منـطقة الشـرق الاوسط جغـرافيا وتـاريخيا وحضاريا ·

٨ ـ منطقة الشرق الاقصى لا يوجد بها سوى جماعات وعقائد تعبر عن اقسى مظاهر التخلف الحضاري والنظامي والثقافي ·

وحرق المسجد الاقصى

·· ثم ينتقل المؤلف الى موضوع حرق المسجد الاقصى ويقول :

ان حقيقة حرق المسجد الاقصى وهدمه ترجع الى النية المبيتة من زمن بعيد لازالته من الوجود ·· وبناء هيكل سليمان مكانه ·

وهذه النية حقيقة معروفة قبل ان تولد اسرائيل ، وقبل ان يــأتي اليهـود مؤيـدين ببريـطانيا التي كـانت امبـراطوريـة لا تغيب عنهـا الشمس ٠٠ ثم مؤيدين بأمريكا حين انتهت بـريطانيـا ٠٠ وهي التي ورثت جميع الامبراطوريات السابقة البريطانية والفرنسية والهولندية ، بطرق عديدة ٠٠

وبعد ان ولدت اسرائيل ، اصبحت النية حقيقـة مؤكـدة ٠٠ وسنذكر بعضا مما يؤيد ذلك :

١ ـ جاء بالحرف الواحد في دائرة المعارف اليهودية طبعة (١٩٠٤) بلندن ان اليهود يجمعون امرهم بغية الزحف على القدس ، وقهر العرب واعادة العبادة الى الهيكل اى المسجد الاقصى ، واقامة ملكهم هناك ٠

٢ ـ وجاء في دائرة المعارف البريطانية ان اليهود يتطلعون الى امتداد اسرائيل واستعادة الدولة اليهودية ـ الموهومة ـ واعادة بناء الهيكل ٠

ولقد طالب اليهود بأحقيتهم في مبكى اليهود والمسجد الاقصى سنة ١٩٢٩ وقامت الثورات المتعددة في فلسطين من أجل ذلك ٠

* * *

وفي ٦ يونيو سنة ١٩٦٧ احتلت اسرائيل بيت المقدس ، وبادر رئيس الدولة الصهيونية ووزراؤه ، يتقدمهم الحاخام الاكبر الى الزحف نحو حائط المبكى ٠٠ وهناك قال موشى ديان ، وهو مزهو بانتصار اسرائيل في ٥ يونيو ١٩٦٧ « **اليوم أصبح الطريق الى المـدينة ـ يعني مـدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ـ مفتوحا** » !

وكانت خاتمة المطاف ان تحرق المسجد الاقصى ، وهو أولى القبلتين ، وثالث الحرمين ٠٠ وهنا هاج العالم الاسلامي ، وناشد الملك حسين ـ ملوك المسلمين ورؤساءهم وعلى رأسهم الملك فيصل ملك المملكة العربية السعودية التي تشرف على الاماكن المقدسة في الحجاز ـ الكعبة المشرفة ؛ ومسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ أن يهبوا للدفاع عن اولى القبلتين ٠

ولقد وجه الملك فيصل ـ طيب الله ثراه ـ النداء التالي :

نداء جلالة الملك فيصل ودعوته للجهاد ..

« في هذه اللحظة التاريخية التي امتدت فيها يد الصهيونية الآثمة الى أولى القبلتين ، وثالث الحرمين الشريفين ومسرى الرسول الاعظم صلوات الله وسلامه عليه ، فاني أناشد قادة المسلمين وشعوبهم في مشارق الارض ومغاربها أن يهبوا لتحرير مقدسات الاسلام في القدس العزيزة ، متسلحين بالايمان الذي هو اقوى من اي سلاح وواضعين امام أعينهم ما وعدهم الله به في كتابه العزيز الذي يقول :« **وكان حقا علينا نصر المؤمنين** » **ويقول عز وجل** : « **اننا لننصر رسلنا والذين امنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد** » ..

وان الصهيونية اللئيمة الماضية في عدوانها الاجرامي غير عابئة بالقيم الروحية والمقدسات الدينية ، والمستهزئة بجميع قرارات الأمم المتحدة والقيم الانسانية لا تؤمن الا بمنطق القوة خصوصا بعد أن أصبحت الأمم المتحدة عاجزة عن الزام اسرائيل بتنفيذ اي قرار من قراراتها .

وأن جميع الحلول السلمية التي تطلع على العالم كل يوم ما هي الا سراب يعطي الفرصة للصهيونية العالمية لتنفيذ مخططها التوسعى في السيطرة على العالم ..

اخواني : لقد ناشدتكم في موسم الحج الفائت ان تهبوا لتحرير المقدسات الدينية في فلسطين العزيزة .

وأناشدكم الآن باعلان الجهاد المقدس بعد ان استنفذت جميع الطرق السلمية .

ونحن على يقين بأن جميع الشعوب المؤمنة بالله والمتمسكة بمبادىء الحق والعدل في العالم لتؤيدنا في قضيتنا وستهب لنصرتنا .. وعلينا نحن المسلمين ان نتنادى ليوم قريب نلتقي فيه جميعا على ارض القدس

لتحرير ارضنا المغتصبة وانقاذ مقدساتنا الدينية من براثن الصهيونية الغادرة ، ولنفوز باحدى الحسنيين النصر ٠٠ او الشهادة ٠٠

* * *

ثم يتابع المؤلف ـ بعد ذلك ـ حديثه عن بقية احداث فترة ما بعد الحادث الخطير : حادث حريق المسجد الاقصى ، ووقائع مؤتمر القمة الاسلامي في الرباط وهو ما أصبح معروفا للجميع ٠

نهاية اسرائيل

وهذا عنوان آخر فصول الكتاب ٠٠ يقول فيه :

ان نهاية اسرائيل مؤكدة ٠٠ ولكن متى ؟؟!

لقد سبق ان بينت كيف نقاوم اسرائيل ٠٠ وأن عمرها سيطول أو يقصر حسب ما يعمل العرب والمسلمون بصفة عامة ضد اسرائيل ٠٠

ثم يقول :

لقد وقفنا امام التتار ٠٠ وأوقفنا جحافلهم في فلسطين ٠٠ وهزمناهم ، ووقفنا كذلك امام الصليبيين وأخرجناهم من ذات الاماكن التي تحتلها اسرائيل ٠

إذن وجب علينا أن نكون في حالة استعداد للتعبئة مادامت اسرائيل موجودة لانها في حالة استعداد للتعبئة العامة في كل ساعة من حياتها ٠٠

كذلك من الواجب علينا :

١ ـ دراسة ما تعمله اسرائيل من الناحية العسكرية والسياسية والعملية والفكرية ٠٠ وعمل الحلول اللازمة للتفوق عليها ٠٠ وعدم التكلم كثيرا عن أمجادنا الماضية الا فيما له صلة بالحاضر ٠

٢ ـ تغيير نظام حياتنا تغييرا جذريا بتعبئة جميع افراد الشعب تعبئة شاملة « دينية ووطنية وعسكرية » والاستفادة من جميع الطاقات في كل سن ما دامت قادرة على العمل ٠٠

٣ ـ دراسة آخر التطورات والابحاث العلمية في العالم ٠٠ وليس المهم الدراسة ٠٠ بل المهم التطبيق ٠

ثم بناء انفسنا من جديد ٠٠

ومعرفة أن اصدقاءنا يساعدوننا بقدر ما يعرفون عنا من تنظيم وعلم ٠٠ وبحث واعداد يحسبون لذلك كله حسابا دقيقا ٠

ومتى اصبحنا جادين في كل ذلك ٠٠ حينئذ يمكن ان تتحقق باذن الله « نهاية اسرائيل » !!



لورنس العرب على خطى هرتزل

تقارير لورنس السرية

الأستاذ زهدي الفاتح

أطلقوا عليه ـ في فترة من الفترات ـ لقب « لورنس العرب » !

وقالوا عنه الكثير ·· وبالغوا في الاشادة به ، والحديث عن مغامراته إلى أقصى حد · وسلطوا عليه كل الأضواء !

ووصفه بعضهم دون شعور بأي حرج بملك العرب غير المتوج ··

وبطبيعة الحال ، لم يكن كل هذا الذي أثاروه حول هذا « الرجل اللغز » تلقائيا وعفويا !

***

كانت الحرب العالمية الأولى ، مشتعلة الأوار عندما تفاقم الخلاف بين العرب والدولة العثمانية · ولم يكن بد من أن يستثمر هذا الخلاف ، أصحاب المصلحة ·· في توسيع شقته الى أبعد مداه ! ليصلوا في الأخير ، إلى هدفهم الأخير !

وكان ما كان ، مما لسنا نذكره · وانفجر الخلاف ، وفقا للخطة التي رسمت ·· ـ والوقائع بعد ذلك كثيرة ـ وانتهت الحرب ـ كما هو معروف ـ بانفصال العرب عن دولة الخلافة ·· وبهزيمة الرجل المريض ! وكانت هذه أول ثمرة من ثمرات الحرب ، فاز بها أصحاب المصلحة ·· ولم يخف قائدان من **قوادهم** المشاهير يومذاك فرحتهما

الكبرى عندما قال أحدهما يوم دخل القدس :

« الآن انتهت الحروب الصليبية » !

وقال ثانيهما في دمشق أمام قبر صلاح الدين :

« ها نحن عدنا يا صلاح الدين » !

وغني عن البيان أن « لورنس العرب » الذي دافع عنهم بحرارة ·· وتفانى في نصرتهم ·· والذي رفض يومها أوسمة ملكية ·· احتجاجا منه على نقض حكومته لعهودها مع العرب ·· كما ذاع وشاع ، غني عن البيان ·· أن هذا الرجل اللغز كان أول الثملين بنقض حكومته لعهودها ووعودها ·· لا لشيء إلا لأن هذه النتيجة التي انتهت اليها تلك الحرب ·· كانت ـ كما كشفت الوثائق فيما بعد ـ من صنع يديه !!

وكان من أهم ما سعى إليه لورنس ـ بحماس بالغ ـ تحقيق تنفيذ وعد بلفور تمهيدا لاقامة إسرائيل !

والهدف كل الهدف ، من ازالة العثمانيين ومن اقامة اسرائيل ـ كما اتضح ـ هو القضاء على وحدة المسلمين ، وازاحة « البعبع الاسلامي من طريق الصليبيين الحاقدين » !!

لقد كان لورنس ـ كما تظهر هذه الوثائق ـ أبرز عميل بين عملاء الصهيونية الكثيرين ·· خدمها بما لم يخدمها به أحد ·· وفعل من أجلها ما لم يفعله كبار السياسيين ، وأعاظم الرؤساء !

ولسنا ندري إذا كان كتاب الاستاذ زهدي الفاتح ·· الذي نعرض موجزا سريعا لبعض فصوله هنا ·· هو الأول من نوعه في اللغة العربية ·· أم أنه مسبوق ! إلا أن الذي يبدو أن الكثير مما ورد فيه ·· ظل مخبوءا وراء ستار كثيف من الايهام والتضليل لوقت غير قصير ··

وللاستاذ زهدي فضله الذي لا ينكر في القاء الضوء حول حقائق كان لابد لها أن ترى النور ·· حقائق لم تعد ملك أحد ، بل هي ملك التاريخ !

وهذا هو لورنس !

قال عنه رئيسه « تشرشل » : « لن يظهر له مثيل ، مهما كانت الحاجة إليه ماسة ·· » ·

أقاموا له تمثالا مع تمثالي « نلسون » و « ولنغتون » في كاتدرائية سان بول ببريطانيا ··

ورغم انه لم يخف تأييده لوعد بلفور ، الذي اعتبره وسيلة لابعاد مطامع الفرنسيين عن فلسطين وسورية كلها ·· إلا أنه كان يخفي أمرا مذهلا ·· فقد كان يعمل لاقامة دولة عربية قومية في سورية تحت الحماية البريطانية ·· ولكن بتمويل وتوجيه الصهيونية العالمية !

وبعد زيارته لفلسطين ، رأى أنه كلما سارع اليهود في حراثة الأراضي الفلسطينية ، كلما كان ذلك أفضل لهم ·· وقد لعب هو فيما بعد دورا فعليا لتحقيق هذا الرأي ··

في سنة ١٩٠٨ أعرب للدكتور بوول الاستاذ في جامعة اكسفورد عن رغبته في وضع أطروحة عن الحروب الصليبية ، تزيل من أذهان الناس التصور الخاطىء (؟!·· » الذي يقول : ان الصليبيين نقلوا إبان غزوهم للشرق الأوسط والأماكن المقدسة ، علوم الهندسة الحربية إلى الغرب ، وتثبت أي الأطروحة بالتالي ، أن العكس هو الصحيح !! أي أن الصليبيين هم الذين نقلوا إلى الشرق الأوسط هذا العلم ·· وفعلا طبعت الأطروحة بعنوان « قلاع الصليبيين » نال عليها مرتبة الشرف الأولى ، رغم أنه لم يكن ملزما ، على الصعيد الدراسي بوضعها ··

وسيذكر انساننا العربي المسلم ـ ما في ذلك شك ـ حدثا مهما للغاية عاشته شبه الجزيرة العربية ، قبيل الخامس من حزيران ١٩٦٧ بقليل ، حينما يعرف أن صاحب ثالث اثنين من التماثيل في كاتدرائية سان بول ·· قد وضع كل ماله من نفوذ وثقل لدى المسؤولين في حكومة بريطانيا العظمى في سنة ١٩٢١ لتنفيذ مخطط يستهدف السيطرة على

بلاد ما بين النهرين بواسطة القاء قنابل خانقة على سكانها المسلمين ، لا تميت ، لكنها تسبب عجزا يقضي على أية محاولة للتمرد ٠

بكى « تشرشل » في جنازته ، ووصفه بأنه الأكثر شهرة بين رجالات بريطانيا العظماء ، مؤكدا أنه لن يظهر له مثيل مهما كانت الحاجة اليه ماسة !!

ألّف عنه ثلاثون كتابا ، بأربع لغات ، بالاضافة إلى فيلم سينمائي ناجح ، وربح لويس توماس الصحافي الأمريكي ، نحو مليون دولار من أجور محاضراته عنه ٠٠

ورفض قبول أرفع الأوسمة البريطانية الملكية ، وجابه الملك جورج الخامس ، لدى مقابلته اياه ، لتقليده الأوسمة بكلام وصفه الملك فيما بعد بأنه « بذيء » لم يسمع بمثله طول حياته ٠٠

اسمه الكامل « توماس ادوارد لورنس » الشهير بـ « لورنس العرب » !!

ولد في صبيحة يوم ١٦ أب ١٨٨٨ في تريمادوك ٠٠ بمقاطعة ويلز ٠ خريج اكسفورد ٠

بدأ الدراسة في اكسفورد ، تحت اشراف دايفيد ج . هوغارت ، ضابط الاستخبارات المتخصص بشؤون الشرق الأوسط ٠٠ الذي كانت معلوماته عن أوضاع البلدان العربية في ظل الحكم العثماني لا تضاهي في ذلك الحين ٠٠ أمضى هوغارت وقتا طويلا يدرس أحوال هذه المنطقة من النواحي السياسية والوطنية والدينية ، والتحركات السرية ، ونوعية قياداتها ، ونشاطات الألمان والفرنسيين ، والبوليس السري التابع لهم ، وطبيعة الأرض الاسلامية ، ونفسية الحكام العسكريين فيها ، وجو المعارك المتوقع في حال نشوب حرب ٠٠ قام لورنس برحلة على الأقدام في عدد من بلدان الشرق الأوسط ، اجتاز خلالها نحو ألف ميل : سورية ، فلسطين ، الأردن ، ولبنان ٠٠

الحق لورنس بمدرسة للارساليين الأمريكيين في جبيل بلبنان لتحسين لغته العربية ·· وقال في ذلك : « لسبب ما ·· يريدني هوغارت اتقان العربية » !

ارتاب الأتراك في سنة ١٩١٢ بأمر لورنس ، فكتب الى هوغارت يقول : « هذه الدولة العجوز ، مازال فيها بعض حياة بعد ·· انها تراقبني » !

في كانون الثاني ١٩١٤ انخرط في سلك المخابرات البريطانية ·

في ١٣ أيار ١٩٣٥ قتل بحادث دراجة نارية كان يقودها ·

***

الذي يهم هذه الدراسة ، هو البحث الوثائقي لموقف بريطانيا ، والغرب عامة ـ طالما أن بريطانيا هي أعرق وأهم دولة استعمارية ـ من وجود الاسلام ، لا كقرآن يقرأ ولا يعمل به ، ولا كتراث يهز الرؤوس ، ولا يخترق هذه الرؤوس ·· ولا يغير هذه الرؤوس ·· بل من وجود الاسلام كدولة ·· كنظام ·· كحضارة ··

وتوماس ادوارد تشايمان ، المعروف بـ « لورنس العرب » ·· أو ملك العرب غير المتوج !! ستبقى آراؤه وأعماله ، والاستراتيجية التي وضعها ، هي الممثل الحقيقي والصحيح لموقف « الحضارة » الغربية من الاسلام ·

ما هي استراتيجية توماس أدوارد لورنس ضد الاسلام وما هي مواقفه منه ؟

بالوثائق والأرقام التي تنشر هنا لأول مرة بالعربية ، سنعيش مع لورنس « المسلم » الذي حمل ذات يوم عنق كلب معلمه هوغارت صليبا ·· وركله يحرضه على الركض ، والصليب في عنق الكلب ·

العثمانيون ·· والمخططات الصهيونية

قبل أن يرى لورنس نور الحياة ·· تنبه الباب العالي في الامبراطورية العثمانية إلى المرامي البعيدة الكامنة وراء المخططات الصهيونية الظاهرة ·· ففصل السلطان عبدالحميد « سنجق القدس » عن ولاية سورية سنة ١٨٧٧ ، وأخضعه لادارته المباشرة ·· وقبل سنة من هذا الاجراء ، أعلنت السلطات العثمانية عن عدم سماحها مطلقا بانشاء مستعمرات يهودية في فلسطين ، مؤكدة عزمها على تطبيق القوانين بشدة بحق الأجانب « ويقصد اليهود » الذين استمسكوا بوسائل غير مشروعة أراضي في فلسطين ، بعدما دخلوا اليها متذرعين بالزيارة والحج ، لكنهم أقاموا فيها بصورة دائمة ، وراحوا يسعون إلى استملاك الأراضي الفلسطينية ·

بل ان الامبراطورية العثمانية وعت في وقت مبكر جدا ، أخطار استيطان اليهود في فلسطين ·· ففرضت منع الاستيطان اليهودي في الأرض المقدسة ، وذلك في « فرمان » أصدرته في شهر نيسان من سنة ١٨٨٢ ·

لكن اليهودية العالمية لم تيأس ·· وراحت تبذل كل ما في وسعها للحصول على « فرمان » من الباب العالي يقضي بالسماح لليهود بالهجرة الى فلسطين ·· أو إلى البلدان المجاورة ، مغتنمة فرصة بدء تفكك الامبراطورية العثمانية ·· وتكاتف جميع القوى الكبرى على تفتيتها واقتسامها ·

ومن ضمن مخطط الصهيونية العالمية للتحريض على الامبراطورية العثمانية : « أن الامبراطورية العثمانية لا تعرف شيئا اسمه فلسطين : فقد جرى اذابتها طوعا في ولايتين وسنجق » ،

« ثيودور هرتزل » وحده ، شرع يفكر جديا بمقابلة السلطان العثماني منذ السابع من حزيران ١٨٩٥ ، ملتمسا مختلف الوسائل

والطرق ليسترعي انتباه الباب العالي ، فيستدعيه هذا لمقابلته ، حتى أنه سعى لدى بسمارك ، حيث كانت المانيا حليفة لتركيا ، ليتوسط له مع السلطان ٠

بعد ست سنوات كاملات من الجهد الدؤوب المتواصل والرجاء المتوسل الملحاح والمتخاذل تمكن هرتزل من مقابلة السلطان في ١٨ أيار ١٩٠١ على ما يذكر في يومياته ٠

« ويستطرد المؤلف هنا فيذكر تفاصيل محاولات هرتزل ومساعيه التي سبقت مقابلته الشهيرة للسلطان عبدالحميد وما انتهت إليه من الفشل بعد أن رفض السلطان المطالب الصهيونية » ٠

***

لورنس ٠٠ في تقرير سري :

أهدافنا الرئيسية : تفتيت الوحدة الاسلامية !

يقول المؤلف : في حديثه عن الثورة القومية العربية ضد الامبراطورية العثمانية ، التي كانت أنذاك ٠٠ تمثل رمز الوحدة الاسلامية والكيان الاسلامي اللذين مازال الغرب كله ، كما صرحت « التايم » يرتجف ربما من ذكراهما ، وبن غوريون يعتبرهما خطرا على كيان إسرائيل ٠٠ والغرب السوفياتي والشرق الصيني الشيوعي حارا ، ماذا يفعلان ، وأي نظريات لماركس ٠٠ وانجلز ٠٠ وماو ٠٠ يبتكران ويخترعان لمكافحة أخطار الوجود الاسلامي ٠٠ بل مجرد وجود طيفه ٠٠

في حديثه عن ثورة العرب القومية ، التي لعب الدور الرئيسي في تخطيطها وتنفيذها يحدد لورنس ، في تقرير سري رفعه إلى المخابرات البريطانية في شهر كانون الثاني١٩١٦ بعنوان « سياسات مكة » الأهداف السياسية لبريطانيا ، وللغرب عامة ، يقول ما ترجمته بالحرف الواحد :

« ... أهـدافنا الرئيسيـة ! تفتيت الوحدة الاسـلاميـة ، ودحـر الامبراطورية العثمانية وتدميرها .. وإذا عرفنا كيف نعامل العرب ، وهم الأقل وعيا للاستقـرار .. من الاتراك ، فسيبقـون في دوامة من الفوضى السياسية داخل دويلات صغيرة حاقدة ومتنافرة .. غير قابلة للتماسك .. إلا أنها على استعداد دائم لتشكيل قوة موحدة ضد أية قوة خارجية .

***

وفي هذا الوقت بالذات ، كانون الثاني ١٩١٦ كان الكولونيل جيلبرت كليتون يؤسس المكتب العربي البريطاني في القاهرة .. ويعكف مع عدد من ضباط الاستخبارات البريطانية هناك على اعداد مخطط عملي لتطويع حركة القومية العربية في خدمة الأهداف الحربية البريطانية ..

سبق لماكس نوردو المفكر الصهيوني أن أشار في أوائل هذا القرن إلى إمكان استغلال حركة القومية العـربية لضـرب العرب أنفسهم بحكم الامبراطورية العثمانية .. والقضاء على الاثنين معا .. في فلسـطين خاصة فيدخل هذه الأخيرة فارغة من السكان ..

الهدف للصهيونية الصليبية الجديدة
أن تبقى الدولة اليهودية يهودية !

يكـرر موشى دايـان ذات الفكرة ـ الهـدف للصهيونيـة الصليبيـة الجـديدة ، التي خلعت عن نفسـهـا قنـا ع الاحتمـاء بـ « الحضـارة الغربية » فيقول :

« إذا أصبح العرب أكثرية في إسرائيل أو ما يقارب الأكثرية ، فان دولتنا ستظل دولة من دول الشرق الأوسط .. ولكنها لن تصبح دولة الشعب اليهودي .. إنني أريد أن تبقى الدولة اليهودية يهودية .. اننا جزء من الشعب اليهودي .. إننى أولا موشى .. ثم الجنرال دايان .. إنني يهودي أولا .. وإسرائيـلي ثانيـا .. وليس هناك تنـاقض بين

الأمرين ولو كان هناك تناقض ، فانه يكون لمصلحة الشعب اليهودي ٠٠ لا لمصلحة إسرائيل ، إنني أصوت أولا لمصلحة الشعب اليهودي !! » ٠

***

ومن المؤكد أن الصهيونيين الذين كانوا يمولون لورنس ـ بمعرفة الدولة البريطانية أم دون معرفتها ٠٠ لا فرق ـ لاقامة دولة قومية عربية ، متخلية كل التخلي عن الاسلام ، في سورية ، كانوا يباركون أيضا إيمان لورنس ، في ذلك الحين ، القائم على أن مصلحة بريطانيا الابقاء على الشرق الأوسط منقسما على نفسه ، مفتتا في دويلات متناحرة ، متنافرة ، بعد القضاء على عامل توحيدهم وتماسكهم ٠

ويؤكد مؤلفا « الوقائع السرية في حياة لورنس العرب » ! فيليب نايتلي ، وكولين سميسون ، أنه بغض النظر عن ادعاء لورنس السعى إلى منح العرب الحرية والاستقلال فقد كان مصمما على الحاق البلدان العربية بالامبراطورية البريطانية ٠٠

أما لماذا أعطى لورنس ذلك الوعد ، فيقول المؤلفان المشار إليهما : إن دوافع لورنس إلى ذلك تتركز في يقينه أن ذلك الوعد هو الوسيلة الأفضل لدفعهم للقتال إلى جانب الانجليز ٠٠ رغم معرفته أن السياسة البريطانية ، وهو واحد من المخططين لاسسها لن تنفذ أبدا ذلك الوعد ، الذي حلم به العرب طويلا ، ومن أجله حاربوا ٠٠ بدليل قول لورنس إلى واحدة من أعز صديقاته :

« لقد ساعدت على حبك المؤامرة ٠٠ وخاطرت لايماني أن وقوف العرب إلى جانبنا هو عامل حيوي لتحقيق أملنا بانتصار سريع « بخس الثمن !! » في الشرق ٠٠ والأفضل أن ننتصر ، وننكث بوعدنا ٠٠ من أن ننكسر ٠٠٠ !

لورنس ·· والسيادة التركية والخطر الاسلامي

مهما تمخضت عنه هذه الحرب ، فيجب أن تكون نتيجتها القضاء على السيادة الدينية للسلطان « التركي » « لورنس » ·

ليس مهما الهزيمة أو الانتصار في هذه الحرب ، أي حرب مادامت النتيجة هي القضاء نهائيا ، وإلى الأبد ، على كل أخطار ما يمثله سلطان الامبراطورية العثمانية ، من سيادة دينية إسلامية ، هى رمز يتعلق به ثلث سكان العالم ··

« فيلوب نايتلي » و « كولين سميسون » مؤلفا كتاب الوقائع السرية في حياة لورنس يبرران لبريطانيا وللغرب كله طبعا هذا الهدف ، فيقولان ما ترجمته بالحرف الواحد :

« من حق بريطانيا أن تنظر بعين الاهتمام إلى سقوط الامبراطورية العثمانية الذي كان يعني دعوة خطرة بالنسبة إليها ·· خصوصا وأن هذه الامبراطورية كانت عبارة عن وحدة دينية متماسكة يحكمها السلطان كخليفة للمسلمين ، وزعيم لمسلمي العالم ، فقد خشيت بريطانيا على وجودها في المستعمرات ·· ففي الهند مثلا حيث تتحكم بمصير حوالي سبعين مليونا من المسلمين ·· كان قلقها ينبع من احتمال تعاون هؤلاء المسلمين مع الامبراطورية العثمانية بتلبيتهم نداء الخليفة باعلان الجهاد المقدس ·· مع اعتراف بريطانيا بمضاعفات الخطر الذي ينجم عن ذلك الجهاد ·· إلا أنها قررت مجابهته ·· معتبرة اياه اكثر أمنا لمنطقة الشرق الأوسط من الفراغ المحتمل الذي ستخلفه الدولة العثمانية وراءها » ·

كان الهدف الرئيسي اذن ، رغم كل ظواهر الأهداف الاخرى ، ومبررات الاستعداء على الامبراطورية العثمانية ، وادعاء الحرص على تخليص الشعوب المغلوبة على أمرها التي تحكمها هذه الامبراطورية من مجموعة « الأفاعي السامة » ·

كان الهدف الرئيسي ولايزال وسيبقى هو القضاء على كل وجود اسلامي متكتل ٠٠ حتى ولو كان هذا الوجود مهلهلا لا يتعدى المعنى الرمزي ، وإلا فما معنى تعريض هذه الشعوب المغلوبة على أمرها لحرب لا هدف لها منها ٠٠ ولا غاية ولا مصلحة ؟!

ان أول واخر وأهم ما يسترعى الانتباه ، بعمق ، في تقارير لورنس السرية إلى المخابرات البريطانية : تأكيده « الهستيري المحموم » والمخطط باجرام ودهاء ، على ضرورة ازالة ما يسميه خطر الاسلام !!

أليس خطيرا ، ومن الضروري العام النظر فيه طويلا ، وطويلا جدا ٠٠ هذا الربط المصيري للغرب كله ، الذي قرره لورنس ، بين أهداف بريطانيا من الحرب وبين قضائها على « المعنى الرمزي » للوجود الاسلامي ، وهو أنذاك لا يضر ولا ينفع ؟

ألا يقول لورانس في تقريره ٠٠ الآنف الذكر : إن بريطانيا لا يهمها أن تنكسر أو تنتصر في الحرب لأن انتصارها يتمثل في القضاء على الاسلام ؟!!

أليس في هذا الكلام ما يقتضي أن نعيد النظر في كل أوضاعنا ، أوضاعنا العربية والاسلامية برمتها ؟! أليس فيه ما يوجب علينا أن نعيد للزلزلة الروحية الاسلامية أصالتها ؟

ونحن نفكر في الاجابة عن هذه الأسئلة ، التي لن يرى القارىء منها أي شيء هنا ، لأنه ليس هذا من مهمة هذه الدراسة ولا من هدفها ٠

***

لنتابع لورنس في تقاريره ٠٠ نستتشف أصيل الحقد الذي تعاني منه شرايين الحضارة الغربية ازاء حضارة الاسلام حتى ولو كانت في صورة مشوهة مبتورة ، لا روح فيها ، كما كانت أيام الامبراطورية العثمانية ٠

يقول لورانس في تقريره « سياسات مكة » :

« لو تمكنا من تحريض العرب على انتزاع حقوقهم من تركيا فجأة ، وبالعنف ٠٠ لقضينا على خطر الاسلام إلى الأبد ، ودفعنا المسلمين إلى

اعلان الحرب على أنفسهم فنمزقهم من داخلهم ·· وفي عقر دارهم ·· وسيقوم ، نتيجة ذلك خليفة للمسلمين في تركيا وآخر في العالم العربي ليخوضا حربا دينية داخلية فيما بينهما ، ولن يخيفنا الاسلام بعد هذا أبدا ·· !!

لن أعلق ـ يقول المؤلف ـ على مخطط لورنس هذا ·· بغير السؤال الآتي : ألا معنى لبقاء ، واستمرار ، مجرد الشعور بالخوف من دين ما ·· رغم مرور أكثر من ١٣ قرنا على بدء انتشار هذا الدين ، ولنسمه أي مسمى آخر ، يحلو للتقدميين وللثوريين وللخجلين من الحكم بالقرآن فقط ·

ألا معنى لذلك ولو كان سطحيا ·

***

يتابع المؤلف حديثه بعد ذلك ، ثم ينتقل إلى ايراد بعض آراء لكاتبين شهيرين من كتاب الغرب اشتهرا بالاعتدال (؟) أحدهما فرنسي هو الباحث الاجتماعي « غوستاف لوبون » صاحب كتاب « حضارة العرب » الذي قال فيه : « ما عرف التاريخ فاتحا أرحم من العرب » ·

والكاتب الآخر بريطاني معروف هو المؤرخ « توينبي » قيل عنه الكثير في معرض الاشادة بآرائه المنصفة للتاريخ العربي والحضارة العربية ·

ومع ذلك فان أقوالهما المنقولة في هذا الكتاب تهدم كل ما اشتهرا به من موضوعية واعتدال ·· نعم : غوستاف لوبون ·· وأرنولد توينبي ·· لنتجاوزهما ـ اذن ـ فهما كغيرهما من كتاب الغرب ممن لا يحملون للاسلام وتاريخ الاسلام ، وحضارة الاسلام سوى الحقد والضغينة والبغضاء ··

وأخيرا المؤلف : عندما عاد حكم التوحيد الاسلامي إلى الجزيرة العربية والأراضي المقدسة فيها ·· قال الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن

آل سعود الذي كانت بريطانيا والغرب كله ٠٠ في سبيل التآمر عليه وقهر حركته الاسلامية :

« لو اتبع المسلمون ما أنزل الله في محكم كتابه ، وعملوا بسنة رسوله الأمين ، لما أصابهم شيء مما هم فيه ٠٠ ولكانوا كما كان سلفهم الصالح قادة الأمم ، ومرشدي الشعوب ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويحكمون بين الناس بالعدل ، كانوا متحدين ، فاكتسبوا باتحادهم قوة ، وبقوتهم دولة ، وبدولتهم رهبة وهيبة وسلطانا عظيما ٠٠ كان منهم الخلفاء الراشدون ومن اتبعهم باحسان ، كانوا المثال الأعلى فى الدنيا ، وكان لهم الجزاء الاوفى في الآخرة ٠

فهل من سبيل إلى الاتحاد ، وجمع الكلمة ، وتوحيد الصفوف ؟

هل من وسيلة لنهتدى بها إلى الصراط المستقيم ؟ » ٠



الديمقراطية عند العرب

الأستاذ ابراهيم حداد

قبل أن نأخذ في عرض هذا الكتاب القيم عن الديموقراطية عند العرب ‧‧ لابد أن نسأل أولا : ما هى الديموقراطية في معناها الحقيقي ؟

والجواب على ذلك يمكن أن يكون في أوجز العبارات ، بعيدا عن التفاصيل والمصطلحات ، انها ـ أي الديموقراطية ـ ليست سوى منهاج للحكم ، يعتمد على الشورى ، ويستهدف أول ما يستهدف : العدالة والمساواة ‧

والديمقراطية من حيث هي ‧‧ ما أكثر ما نقرأ عنها ‧‧ سواء في ابحاث أو كتب موضوعة اصلا في اللغة العربية ، أو منقولة اليها ‧

غير أن الغريب في أمر الديموقراطية ، أو المتحدثين عنها أن الكثرة منهم لا يخرجون في أقوالهم عن مجرد ترديدهم للزعم القائل ، ان الغرب ، والغرب وحده ، هو المصدر الوحيد للديموقراطية ‧

وليس المجال هنا مجال مناقشة ‧‧ غير أنه لابد من القول انه مع ما في هذا الزعم من مخالفة للحقيقة ‧‧ مع ذلك يتجاهل من يرددون هذا الادعاء ، أن الديموقراطية في اطارها الغربي ‧‧ مازالت بعيدة كل البعد ، عن المعنى الحقيقي للديموقراطية ‧

الديمقراطية ـ كما نعرف ـ ليست مجرد اسم ‧‧ أو مجرد زعم ‧‧ أو مجرد ادعاء ‧‧

والديمـوقراطيـة ـ أيضـا ـ ليست هي أن تمـارس دولة من دول الاستعمـار عدالتهـا في مكان دون آخـر ٠٠ أو أن تراعى أي تمييـز عنصري بين الأجناس التابعة لها ، وفي الوقت نفسه تقول : إنها دولة ديموقراطية ٠

ان الديموقراطية في معناها الشامـل العميق لا يمكن تلخيصها فى سوى كلمة واحدة ، أو شعار واحـد : هو شمـول العدالة ، وشمـول المساواة ٠

ديموقراطية العرب حقيقية

ولست أشك في أننا بعد آن نمضي في عرض هذا الكتاب اجمـالا ، سـوف يرى القـارىء في ضـوء الوقـائـع ـ لا بمجـرد الكـلام ـ أي ديموقراطية كانت « ديموقراطية العرب والاسلام » ٠

في الفصل الأول يتحدث المؤلف عن الديموقراطية في كل من « أثينا » و « روما » والعصور الوسطى ٠

أما الديموقراطية عند العرب ، فيبدأ حديثه عنها في الفصل الثاني من الكتاب ثم يتابع حديثه الى اخر الفصل الرابع وهو اخر الفصول ٠

وكتمهيـد للبحث ٠٠ يشير في عبـارات قصيرة الى مـا كانت عليـه ديموقراطية العرب قبل ظهور الاسلام ٠٠ ويذكر فيما يذكره عن العرب الجاهليين انهم مارسوا نوعا من الديموقراطية البدائية ٠

الديموقراطية في الاسلام

ثم يقول : بيد أن الديموقراطية ظهرت بشكل جديد في شبه الجزيرة ، بعد ظهور الاسلام ، وتوطدت أركانها على أسس من العدل الاجتماعي والحـرية والمسـاواة في الحقـوق بـين النـاس جميعـا ، والشـورى ، والتضامن ، بين الأفراد ، على اختلاف الطوائف والطبقات ، فالمسؤولية الفردية التي هي دعامة الديموقراطية الأولى تحددت بالآيات الكريمة : « ولا تزر وازرة وزر اخرى » أي أن الانسان لا يحاسب بذنب ارتكبه آباؤه وأجداده ، أو بذنب وقع قبل ميلاده ؛ « تلك أمة قد خلت لها ما

كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون » وان « ليس للانسان إلا ما سعى » و « كل امرىء بما كسب رهين » ٠٠ وفي تفصيل المسؤولية الفردية ، يقول الرسول الكريم صلوات الله عليه : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، الامام راع ومسئول عن رعيته ، والرجل راع في أهله ومسئول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها ، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته » ٠

وفيما خص المساواة في الحقوق فان القرآن الكريم صريح في ذلك : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم » والتقوى هنا تشمل المساواة المطلقة بالحقوق ، والآيات القرآنية الكريمة ، والأحاديث النبوية الشريفة كثيرة في هذا الموضوع ٠

أما الشورى في الحكم فقد وردت صريحة واضحة في قول القرآن الكريم : « وشاورهم في الأمر فاذا عزمت فتوكل على الله » ٠٠

وفيما خص التضامن بين الأفراد في دفع الاخطار والتعاون على ما فيه أمن ... ، فواضح في الآيات القرآنية الكريمة : « واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة » و « لا يكلف الله نفسا إلا وسعها » و « لا يضركم من ضل اذا اهتديتم » ٠

وقد طبقت هذه المبادىء تطبيقا تاما في عهد النبي الكريم صلوات الله عليه وفي عهود الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم فارتفع شأن الانسان في المجتمع ، واضاء النور ، نور الحرية والاخاء والمساواة العالم ٠٠ في ليل الاستبداد المدلهم الذي كان مسيطرا على اكثر الشعوب الغربية والشرقية في ذلك العصر ٠

والشىء العظيم البارز في الديمقراطية العربية التي جاء بها الاسلام : الترشيح والمبايعة ٠٠ وكان الخليفة بعد مبايعته ، يعاهد الناس على سنة الحكم ٠٠ وهذا يشبه اليمين الدستورية التي يقسمها اليوم الرؤساء قبل تسلمهم مهام منصبهم الرفيع ٠ ويروى عن أبي بكر

الصديق رضى الله عنه قوله للناس بعد مبايعته : « فأعينوني على ذلك بخير ، اطيعوني ما أطعت الله فيكم فاذا عصيت الله فلا طاعة لي عليكم » وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول للناس : « لكم علي على الا أجتبي شيئا من خراجكم ولا ما أفاء الله عليكم إلا من وجهه ، ولكم علي اذا وقع في يدي ألا يخرج مني إلا في حقه ، ولكم علي أن أزيد في عطاياكم وأرزاقكم إن شاء الله ، وأسد ثغوركم ، ولكم علي ألا ألقيكم في المهالك ، ولا أجمركم في ثغوركم ، واذا غبتم في البعوث فأنا أبوالعيال حتى ترجعوا اليهم ، فاتقوا الله عباد الله ، وأعينوني على نفسي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، واحضاري النصيحة فيما ولاني الله من أمركم » · وقد شرح هذه القاعدة في الحكم بقوله : « أمير المؤمنين أخو المؤمنين ، فان لم يكن أخا المؤمنين فهو عدوهم » وهذا لعمري أدق وأوضح تفسير للمبادىء الأساسية التي ترتكز عليها الديموقراطية ·· ومن هنا كان الاسلام مصدرا للديموقراطية الصحيحة في الشرق ، مارسها الخلفاء الراشدون ممارسة عملية صريحة فاستطاعوا بواسطتها أن يبسطوا سلطانهم ليس على الجزيرة العربية فحسب ، بل وعلى أكثر من نصف العالم القديم أيضا من شاطىء الأطلسى غربا الى قلب الصين شرقا ، ومشارف اوروبا شمالا ·

ديموقراطية العرب ودورهم في التاريخ

ويجمع علماء الاجتماع والمؤرخون على القول بأنه لولا المبادىء الديموقراطية الصحيحة التي جاء بها الاسلام ، ونزلت آيات بينات في القرآن الكريم ، لما كان في مقدور العرب أن يقوموا بأي دور حضاري في التاريخ ·· فالحرية الفردية التي كرمها القرآن الكريم ، وأقام لها الحدود ، ونظمها تنظيما دقيقا يتفق مع مصلحة الجماعة كان قد قضى عليها الطغيان والاستبداد في أوروبا والشرق ، فجاء النبي العربي العظيم صلى الله عليه وسلم يعيد اليها مقامها واحترامها وقدسيتها ·· واذا كانت بعض بلدان حوض البحر الأبيض المتوسط قد نعمت بشيء من

الديموقراطية في العصور الوسطى فالفضل في ذلك يعود ولا ريب ، الى ما كانت تلك البلدان قد اقتبسته من نظم الحكم التي كان العرب يطبقونها في الأندلس وشمال افريقيا وغيرها ٠

الشورى أساس للنظام البرلماني

ومما لاشك فيه أن نظام الشورى الذي فرضه الاسلام في الحكم كان الأساس للنظام البرلماني الحالي ٠

وفي التطبيق العملي للحكم في صدر الاسلام ، وعهد الخلفاء الراشدين دليل قاطع ، وبرهان ساطع على أن العرب نعموا في ذلك العصر بديموقراطية واسعة تفوق اشراقا وعظمة الديموقراطية التي نراها الآن في كثير من البلدان الشرقية والغربية ٠

وليس لنا إلا أن نطالع بامعان وتدقيق ما كان يقوم به عمر بن الخطاب لمعرفة الوجه الصحيح للديموقراطية التي كانت سائدة في عصره ، فهذا الخليفة العظيم الذي ساوى بين الناس جميعا ، كبيرهم وصغيرهم ، قويهم وضعيفهم ، قريبهم وبعيدهم ، علم العالم كله كيف يجب أن يكون الحكم الديموقراطي الصحيح ، وكيف يجب أن يعيش الناس أحرارا في المجتمع ، اخوة متساوين بالحقوق والواجبات ٠

أما حادثة عمر بن الخطاب مع عمرو بن العاص فاتح مصر فتعد من الأدلة القاطعة على أن الديموقراطية في صدر الاسلام بلغت من السمو والرفعة مقاما لم تصل اليه في عهد « أثينا » قديما ، ولا في عصرنا الحاضر ٠٠ وقد أثبتت هذه الحادثة وغيرها أن العرب في ذلك العصر الذهبي فهموا الديموقراطية فهما عميقا صحيحا ، وطبقوها في حياتهم تطبيقا خاليا من الشوائب ، فلم يكتفوا بظواهرها ، ولم يحاولوا الخروج عن القاعدة الأساسية التي ترتكز عليها ٠٠ ألا وهى الحرية الفردية ، والاخاء والمساواة بين الناس ، فتوطدت بذلك اركان الدولة التي شيدوها ، وتحرر الشرق من الاستعماريين البيزنطي والفارسي ولولا الفتن والمطامع ، والشهوات والغزوات ، وظهور تيارات سياسية مختلفة

ولاسيما في آخر العصر العباسي ، لما انطفأ نور الديمقراطية من البلاد العربية ، وخبا ضوءها حقبة من الزمن ٠

الغزو المغولي قوض دعائم الديموقراطية

كذلك كانت غزوة المغول للشرق وتقويضهم اركان الدولة العربية سببا في القضاء على الديموقراطية التي ازدهرت أجيالا بعد ظهور الاسلام ٠

ومما يلاحظ بفخر واعجاب أن الدعوة الاسلامية التي وطدت أركان الديموقراطية ، وطبعت المجتمع بطابعها مع أنها دعوة دينية سامية ، تستهدف خلاص النفوس وتقريب الناس من الله والقضاء على الوثنية التي هي عنوان الجهل والجور والظلم والطغيان ، لم ترغم البشر على اقتناعها بالقوة ، كما أنها لم تضطرهم الى هدر حقهم في الاختيار ، بل دعمت هذا الحق بما فسحت من مجالات أمام غير المسلمين : والعيش بسلام وطمأنينة ، وعندما سارت الدعوة الاسلامية في الجزيرة ، وامتد سلطانها الى الأطلسي غربا ، والصين شرقا ، وأوروبا شمالا ، شعر غير المسلمين الذين كانوا يعيشون في هذه المناطق الواسعة من الدنيا بأن حريتهم مصونة ، وان الدولة مسؤولة عنهم ، كما هي مسؤولة عن المسلمين٠

ويروى عن النبي الكريم ، صلوات الله وسلامه عليه قوله : « من ظلم معاهدا ـ أي غير مسلم ـ وكلفه فوق طاقته فأنا خصمه يوم القيامة » وكان عمر بن الخطاب يكتب الى عمرو بن العاص ، يقول له : « ان معك أهل العهد ، فاحذر يا عمرو أن يكون رسول الله خصمك » ٠

فالمجتمع في عهد النبي الكريم صلوات الله عليه ، وعهد الخلفاء الراشدين كان مجتمعا ديموقراطيا صحيحا ، يساوى بين الناس جميعا ، مسلمين كانوا أو غير مسلمين ، وبفضل الحرية التي ارتكزت عليها الديموقراطية العربية ، استطاعت الشعوب غير الاسلامية العيش في ظل الحكم الاسلامي بأمان وسلام ٠٠ وقد نبغ الكثيرون من غير

المسلمين في العلوم والآداب بفضل الحرية التي كانوا يتمتعون بها ٠

فبفضل الديموقراطية العربية التي شع نورها في صدر الاسلام أرست الحرية الفردية قواعدها على أسس وطيدة ، وكان القرآن الكريم قد دعم هذه الحرية بآيات بينات ضمنت للانسانية مجال النمو والازدهار ، وسهلت أمام الشعوب سبيل التقدم والرقي ٠

العدل الاجتماعي

ومن أهم مظاهر الديموقراطية العربية ، تحقيق العدل الاجتماعي ٠

فالنظام الديموقراطي الذي فرضه الاسلام قضى على الاستغلال في الاستثمار ، وقدس حق العمل وأوجد نوعا من الانسجام والتوازن بين الدخل الفردي ومتطلبات المجتمع ، وحرم الربا باعتباره نتيجة استغلال الانسان للانسان : « يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون » ، وقضى على الاحتكار ، ومنع التلاعب بالاسعار ٠٠ « من احتكر طعاما أربعين يوما يريد به الغلاء فقد برىء من الله وبرىء الله منه » ٠٠ فالحث على العمل للحصول على الرزق حفظ للديموقراطية طابعها الاجتماعي الصحيح ، ودفع بالناس نحو المجتمع الأفضل والأمثل ، وحال دون توسيع شقة الخلاف بين الأغنياء وهم القلة ، وبين الفقراء وهم الكثرة ، ولكن هذه الأسس لم تثبت طويلا ٠٠ بعد عهد الخلفاء الراشدين ، فكان تجاهلها والعبث بها من أسباب انهيار الديموقراطية في الشرق ٠٠

ولكي لا يتقاعس العرب عن الكد في سبيل الرزق مما يشوه وجه الديموقراطية ، ويبعدها عن الهدف الانساني الذي ترمى اليه دأب الخلفاء الراشدون في محاربة الكسل في صفوف الشعب ٠

ويبدو من هذا أن المساواة التي ارتكزت عليها الديمقراطية في ذلك العصر كانت تامة ٠٠ وما كان لأى انسان أن يحصل على ما يحتاج اليه من أسباب العيش إلا بكده وجده ٠

التطور نحو الكمال

والشيء العظيم الذي امتازت به الديموقراطية العربية في صدر الاسلام افساحها المجال أمام الشعوب للتطور ··

وقد ظهر المجتمع العربي الأول في صدر الاسلام فريدا من نوعه بين المجتمعات التي كانت تؤلفها الشعوب الشرقية والغربية في ذلك العصر ، وارتفع مستوى الفرد فيه الى المقام الأسمى ··

وكان الدكتور « لوبون » يردد في كل كتاباته عن الحضارة « ان التاريخ لم يعرف فاتحا ارحم من العرب »[1] لأنهم كانوا في كل فتوحاتهم يطبقون النظم الديموقراطية في الحكم تطبيقا صحيحا ، فساووا أنفسهم بالشعوب التي تغلبوا عليها ، وجعلوا الحرية والاخاء والمساواة شعارهم في ادارة الشؤون العامة ·

ومما لا ريب فيه أن التنظيم الديموقراطي الذي جاء به الاسلام كان قد احتاط للاخطار التي تهدده فشدد على وجوب التضامن والتعاون لصون كيان المجتمع وحفظ المصلحة العامة ، وقد أدى ذلك الى تشييد صروح الحضارة ·

والمعروف الآن أن الشعوب العربية تتطلع بشوق ولهفة الى الامام ·· الى اليوم الذي تستطيع فيه أن تكون في مقدمة شعوب الأرض ديموقراطية ورقيا ·

---

(١) يشير المؤلف الى حادثة ابن حاكم مصر عمرو بن العاص مع أحد المصريين حين ضربه فشكاه الى عمر وهي معروفة مشهورة ·

الطبُ عِند العَرب

الدكتور أحمد شوكت الشطي

الطابع الغالب على هذا الكتاب هو الطابع التاريخي ،

فليس هو ـ إذن كتابا في الطب بالمعني العلمي ، أو المهني ٠٠ كما ربما يتبادر ذلك لأول وهلة من صيغة العنوان ٠

والمؤلف الفاضل ولو انه طبيب مختص في مادة كتابه هذا ٠٠ إلا أننا سنجد من إلمامنا ببعض الفصول الواردة فيه حرصه الشديد على أن يجعل من أسلوبه السهل اللطيف اسلوبا اقرب إلى اسلوب الأديب منه إلى أسلوب العالم ، أو أسلوب الطبيب ٠

انه يروي لنا كما يذكر في مقدمة الكتاب ـ قصة الطب عند العرب منذ فجر نهضتهم حتى يومنا هذا ٠٠ وهو يهدف من ذلك ـ أولا ـ الى اطلاع القارىء على النهضة الطبية التي تميز بها العرب بعد أن نفخ النبي العربي صلوات الله وسلامه عليه ـ فيهم روحا جديدة تقدمية نقلتهم من أسوأ حال الى أحسن حال ٠

ثم يتحدث عن مسيرة الطب بأسلوب لايبعث في القارىء اعتزازه بماضيه فحسب ٠٠ بل يبرهن له على استطاعته اللحاق بركب الحضارة المعاصرة ، والمسابقة في ميدانها متى صح إيمانه ٠ وصدقت عزيمته ٠

ويتناول المؤلف في أول أبواب الكتاب تاريخ الطب عند العرب قبل الاسلام ٠

وفي الباب الثاني : الاسلام والطب وتاريخ الطب عند العرب في صدر الاسلام ٠

وفي الفصل الأول من هذا الباب يشير الى ما يجمع عليه المؤلفون - وخاصة الغربيون منهم - من أن الرسول الكريم والنبي الأمين نفخ في حب العلوم - ومنها الطب - روحا جديدة ، وذلك بقوله تشجيعا لدراسة الطب : العلم علمان ، علم الأبدان وعلم الأديان ٠ فقدم علم الطب على علم الدين لأن الطب يدل على سبل الاحتفاظ بالصحة وردها اذا فقدت ولايخفى أن صحة الجسم والعقل والنفس عماد السعادة في الدنيا ٠

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يداوي نفسه ويأمر بذلك لمن أصابه مرض من أهله واصحابه ٠ وكان غالب أدويته مفردة لا مركبة ٠٠ تمشيا مع القاعدة التي مازالت متبعة حتى الآن ، وهي العدول عن الدواء المركب اذا كان الحصول على الشفاء ممكنا بالدواء المفرد ٠

ويتحدث عن التمريض عند العرب في فجر الاسلام ، وعن « الآسيات » أو « الممرضات » فيقول :

إذا كان الغرب يفخر بالممرضة الانجليزية « نايتنغل التي خرجت من الطبقة النبيلة تدعو النساء إلى احترام مهنة التمريض واعتباره عملا شريفا ، فان من واجبنا - يقول المؤلف : أن نرد هذا الفخار الى المرأة العربية »

لم تكن المرأة العربية أيام نهضة العرب عنصرا غير فعال في المجتمع ميالة إلى الراحة والدعة واللهو والترف كما يريد البعض أن يصورها زورا وبهتانا ، بل كانت سباقة في ميادين العمل الاجتماعي والفردي فضلا عن انها كانت من أحسن ربات البيوت تدبيرا لمنزلها وعناية بأولادها ، وسعيا وراء تأمين راحة زوجها ٠

وكانت الى جانب ذلك عاملة لكسب معاشها - اذا أحوجها الأمر - بعمل شريف يدر عليها من الرزق ما يمكنها من الاضطلاع بأمومتها على خير وجه وأقوم سبيل ٠

٠٠ وكان العرب يطلقون اسم « الآسيات » على النساء العربيات اللائي يعملن في تضميد الجراح ، وجبر العظام ، وغير ذلك من أعمال الاسعاف ٠

لقد كان اسعاف الجرحى من اختصاص فضليات النساء يتخذنه قياما بالواجب وحبا بالتضحية ، وكن يسرن الى المعارك جنبا لجنب ، حاملات أواني الماء ٠ والى جانب كل منهن ما تحتاج اليه الجراح من اللفائف والجبائر وغير ذلك من وسائل الاسعاف ومنهن من كن يشتركن في القتال وكانت لهن مواقع مشهودة ، ونذكر فيما يلي سيرة بعضهن :

أمينة بنت قيس الغفارية :

خرجت زعيمة للآسيات الممرضات ولما تبلغ السابعة عشرة من عمرها ٠

أم سليم :

قال فيها أنس:إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يغزو ومعه « أم سليم » ومعها نسوة من الأنصار يستقين الماء ، ويداوين الجرحي ،

أم سنان الأسلمية :

اشتركت ممرضة في غزوة خيبر ٠

أم أيمن :

حضرت « أحدا » وكانت تسقى العطشى ، وتداوي الجرحي ٠

بطولة المرأة في القتال

نسيبة بنت كعب المازنية :

اشتركت في غزوة بدر ٠٠ فعملت آسية تضمد الجراح لمن جرح ٠٠ وخرجت نسيبة أيضا يوم أحد ومعها زوجها وولداها ، وفي يمينها السقاء والضماد ، وأخذت تسقى العطشى ، وتضمد جراح المرضى ٠ وكانت غرة الحرب للمسلمين ، ثم أشاحت بوجهها عنهم ، فتناولتهم سيوف أعدائهم تنهل من نحورهم ، وتطعن في ظهورهم ، فانكشفوا وولوا

مدبرين إلا عشرة منهم وقفوا يـدرأون عن الرسول ، ويحـولون دون الوصول إليه ٠

رأت « نسيبة » ما حل بجيش الرسول وأيقنت بدنو الهزيمة فلم تطق الاكتفاء بالمواساة بل انتضت سيفها ، واحتملت قوسها وذهبت تصول وتجول ، تنزع عن القوس وحولها نفر من الأبطال بينهم ولدها ، وزوجها فكانت من أظهرهم اثرا ، وأعظمهم موقفا ، حتى التحم بالرسول أشد خصومه ، فشرعت السيف ، وأخذت تضرب به ، وكانت لا ترى الخطر يدنو من الرسول حتى تكون سداده ٠٠ وقال فيها الرسول « ما التفت يمينا وشمالا إلا وأنا اراها تقاتل دوني » لقد بقيت تجالد القوم حتى جرحت وخارت قواها وارتمت على الأرض مصروعـة ، وثبت الرسول وانجلى من الغمرة ما انجلى ، وتساءلوا عن نسيبة فاذا هي ملقاة يفور دمها من جرح غار بكتفها ، ضمدوا الجراح ، وسقوها المـاء ، وبرئت نسيبـة ، ونسيت الفخر الا بهـذا اليوم ٠٠ وبـالاثر البـاقي من ذلك الجرح ٠

لقد كانت نسيبة آسية ، ومجاهدة وربة بيت ، ومربية أولاد ، فقد أحسنت تربية ولديهـا « حبيب » و« عبدالله » ومـلأت قلبهما ايمـانا وصـدرهما شجـاعة ، وسـواعدهمـا قوة ، وعـرف الرسول فضلهمـا وقدرهما ، وأحضرهما المشاهد ، وجعلهما سفراء ورسلا ٠٠

وينتقل المؤلف إلى الباب الثالث من الكتاب ، ليتحدث الينا في فصوله الخمسة عن الطب العربي وحركة النقل والتأليف عند العرب ، وطبقات الأطبـاء التراجمـة وسيـرة مشهـوريهم ، ثم كبـار الاطبـاء وملخص سيرتهم ، واخيرا : تعليم الطب في المدارس العربية القديمة ودور المرضى والمشافي العربية ومقارنتها بالمشافي الغربية ٠٠ ثم مميزات الطب عند العرب في القرون الوسطى ٠

الطب العربي سبق غيره

يقول المؤلف : لقد سبق الطب العربي بنهضته ـ الطب الغربي مئات

السنين وكانت في البصرة والكوفة وبغداد والقاهرة ودمشق وقرطبة مدارس تبث أنوارها في العالم كله ٠٠ يقصدها الطلاب من الشرق والغرب ، وكان كثير من طلبة العلم في قرطبة من المسيحيين وكان الطلاب يدرسون معا ، من ولد السيد الرفيع الى ولد الصانع الوضيع ، وكانوا يجرون النفقات على التلاميذ الفقراء ويؤدون الرواتب الجمة للمعلمين ٠٠ ويقول « ولز » العالم المؤرخ الانجليزي المشهور ، بأن العرب بلغوا شأوا فاقوا فيه اليونانيين بكثير درسوا علم وظائف الأعضاء ، وعلم الصحة ، وكانت طرق طبهم العلمية ، نظير طرقنا الحاضرة ، ولانزال نحن الى يومنا هذا نستعمل كثيرا من أدويتهم ، وكان جراحوهم يعرفون التخدير ، ويجرون العمليات الصعبة ٠

وفي حديث عن طبقات الاطباء التراجمة وسيرة مشهوريهم يقول المؤلف : اشتغل بترجمة الكتب العلمية ولاسيما الطب منها : الأمير خالد ابن يزيد واطباء كثيرون ٠٠ واشتغل بالترجمة من العرب الاندلسيين رجال خبيرون باللغة اللاتينية أو اليونانية كما اشتغل بالترجمة علماء آخرون منهم آل بختيشوع وغيرهم ومن واجبنا أن نقول ان جل هؤلاء كانوا تراجمة ومؤلفين في آن واحد منهم أبويوسف يعقوب بن اسحاق الكندي (٨٠٩ ـ ٨٧٣م) فيلسوف العرب وأحد أبناء ملوكهم وقد كان عالما بالطب والفلسفة والحساب والهندسة والمنطق وعلم النجوم وتأليف اللحون وطبائع الاعداد ٠٠ وهو يمت بالنسب الى الأشعث بن قيس ملك كندة ومن اصحاب الرسول (ص) وقد ترك الكندي آثارا كبارا جليلة جعلت العالم الايطالي « كاردافو » يعده من بين الأثنى عشر عبقريا الذين هم من أهل الطراز الأول في الذكاء ٠٠ وجعلت ايضا « باكون » الشهير يقول : ان الكندي والحسن بن الهيثم في الصف الأول مع بطليموس ٠٠ ثم « ثابت بن قرة » ٨٣٦ ـ ٩٠١ م وكان ثابت من الذين تعددت نواحي عبقريتهم فنبغ في الطب والرياضيات والفلسفة ووضع في هذه كلها وغيرها مؤلفات جليلة كما ترجم كتبا عديدة وكان جيد النقل الى اللغة

العربية غير انه لم يحفظ الزمن كتبه إلا النزر اليسير ٠

وكان لثابت ولد ٠٠ هو ابوسعيد سنان بن ثابت بن قرة الحراني توفي في بغداد سنة ٩٣٤ م كان طبيبا مقدما كـأبيه ، وكـان طبيب المقتدر خصيصا به وقد عظمت منزلته في ايامه حتى صار رئيسا على الأطباء ، وقد اتصل بالمقتدر أن رجلا من الأطباء غلط على مريض فمات ٠٠ فأمر محتسبه بمنع جميع الأطباء إلا من امتحنه سنان بن ثابت وكتب له رقعة بما يطلق له التصرف في ذلك ٠٠ ولسنان مؤلفات كثيرة في علم الطب ٠

ومن اطبـاء القرن العـاشر للميلاد : أبـوداود سليمان بن حسـان المعروف بابن جلجل ٠٠ كان طبيبـا فاضـلا خبيرا بـالمعالجـات جيد التصـرف في صنـاعـة الطب عـاصر عبـدالرحمن النـاصر والحكم المستنصر ٠٠ اسهم في عصرهما بقسط كبير من علمه ومجهوده ٠

أساطين الطب في بلاد العرب

ويواصل المؤلف الحديث عن أساطين الطب في بلاد العرب والاسلام فيتحدث عن الرازي « ٨٥٠ ـ ٩٣٢ » وأبي نصر الفارابي المتوفى سنة ٩٥٠ م وابن سينا « ٩٨٠ ـ١٠٣٧ م» وابن الهيثم « ٩٦٥ ـ١٠٣٩ م» وابن الشبل البغدادي المتوفى سنة ١٠٦٥ م والزهراوي المتوفى سنـة ١١٠٧ م وابن زهر المتوفى سنة ١١٦٢ م وابن رشد الذي كـان فقيها وطبيبا وفلكيا وفيلسوفا في آن واحد ٠٠ وكانت كتبه تدرس جـامعات باريس وسواها من معاهد العلم العالية في العواصم الغربية وقد ظلت الحركة الفكرية التي بدأها ابن رشد عاملا حيا في الفكر الأوربي حتى مولد العلم الحديث !

ومن أساطين الطب : عبداللطيف البغدادي « ١١٦٢ ـ ١٢٣١ م» الذي كان يقريء الناس الطب في الجامع الأزهر ثم قصد دمشق ونزل فيها بالمدرسة العزيزية وشرع في التدريس والاشتغال بـالطب ٠٠ ثم استقـر في حلب واشتغل فيهـا بتدريس صنـاعة الطب ٠٠ وابن ابي صبيعـة « ١٢٠٣ ـ ١٢٦٩ م» من علماء القـرن السـابـع الهجـري

المعدودين مارس طب العيون حينا في القاهرة ووضع كتابا في تاريخ الطب والأطباء سماه « عيون الأنباء في طبقات الأطباء »

المدارس الطبية العربية

ويتحدث في الفصل الرابع عن تعليم الطب في المدارس الطبية العربية القديمة ودور المرضى والمشافي العربية ومقارنتها بالمشافي الغربية ٠٠ فيقول :

لقد تبارى الخلفاء ووزراؤهم وملوك العرب وسلاطينهم وذوو الجاه والثروة وأهل العلم في ترقية الطب ففتح الخليفة المنصور العباسي مدرسة طبية في بغداد ، وشاد هارون الرشيد مدرسة في دمشق ، وأنشأ الخليفة الناصر لدين الله الأموي الأندلسي مدرسة قرطبة ٠٠ ثم كثر في الشرق والغرب عدد المدارس المعدة لتعليم الطب والجراحة فكان عدد مدرسي الطب وطلبته ورجال الندوة العلمية في بعضها يزيد على ستة آلاف نفس وانشئت في الاندلس غير مدرسة قرطبة ثلاث مدارس اخرى في أشبيلية وطليطلة ومرسية ٠٠ وكان الجامع الأزهر يدرس سنة ٣٥٩ هـ ٩٦٩ م الطب وعلوم الصحة والكيمياء بالاضافة الى علوم الدين ، وكان يلحق بكل مدرسة مستشفى يتمرن فيه طلاب الطب على الدورس السريرية ٠

ثم انتشرت المدارس الطبية في كثير من مدن الشرق والغرب العربيين ٠٠ وكثر عدد الأطباء فكانوا كواكب متألقة في سماء الحضارة تستضيء بها الشعوب قاصيها ودانيها ٠

وقد عنى الأطباء العرب باقامة اماكن لايواء المرضى ومعالجتهم ، فكان عندهم مشاف ثابتة ٠٠ ومشاف متنقلة ٠٠ أما المشافي الثابتة فمنها ما هي عامة ، ومنها ماهي خاصة ٠

كانت المشافي العربية تكرس للرفيع والوضيع ٠٠ والجندي والأمير ٠٠ وكانوا في المشافي يفحصون المرضى فيعطون من لايحتاج الى الاستشفاء فيه وصفة تهيأ في صيدلية المستشفى ، ويحضر الطلاب هذه

الاستشارات ، ويرقبون كيفية فحص المرضى وطرق مداواتهم ، وأما المرضى الذين بحاجة الى عناية المستشفى فتدون اسماؤهم لقبولهم ٠٠ وكان الناس يتمارضون رغبة منهم في الدخول في المستشفى والتنعم بما فيه ٠٠وكان الأطباء يغضون الطرف أحيانا عن هذا التحايل ٠٠ وكانت الملاحظات اليومية تدون بما ييسر للطبيب متابعة حالة المريض بدقة وعناية وكانوا يكتبون تاريخ المرض في سجلات تحفظ في المستشفى ٠٠

ويقوم بالاعمال اطباء مهرة ، ومفتشون قادرون ، ومديرون مهذبون ، وخدم عاملون ينصرفون للقيام بكل حاجات المريض ٠٠ وبكلمة واحدة ، كل شخص يعرف ماعليه من الواجبات فيقوم بها دون إهمال ٠

وقد تفنن اطباء العرب في أساليب معالجة المرضى حتى اهتدوا الى المعالجة بالموسيقى ٠٠ لقد كانت الأجواق الموسيقية في بيمارستان فاس تروح عن المرضى وتسليهم عن آلامهم ٠٠ وكذلك الأمر في البيمارستان النوري بدمشق فقد كانوا يجلبون القصاص والمطربين الى قاعات المرضى فيه ٠

حال المشافي الغربية

أما حال المشافي الغربية فننقلها من أقوالهم : كان أشهر مشافي الغرب « أوتيل ديو » في باريس وقد جاء ذكره في كتاب ألفه « ماكس نردو » قال فيه عن هذا المستشفى : « يستلقي في فراش واحد اربعة مرضى ٠٠ أو خمسة أو ستة ٠٠ فترى قدمي الواحد جانب رأس الآخر ٠٠ والأطفال الصغار الى جانب الشيوخ الشيب ٠٠ حقا ان هذا لايصدق ٠٠ ولكنه الحقيقة الواقعة وهناك امرأة تئن بين مخالب المخاض الى جانب رضيع يتلوى من التشنجات ٠٠ وكان يقدم الى المرضى ادنى الأطعمة بمقادير قليلة ، وقد ذكرت سيرة هذا المستشفى مجلة تقدم العلاج فقالت : « إن هذا المستشفى كان شعاره ايواء الناس ومعالجتهم دون أن يكون لقبولهم أو خروجهم قيد أو قانون فكانت

مساحة غرفه وقاعاته لاتتناسب مع عدد اللاجئين اليه ٠٠ وقد وصفه في القرن الثامن عشر « باللي » و« تينون » و« لافوازيه » في تقريرهم وصفا تقشعر منه الأبدان اذ رأوا الموتى جنبا الى جنب مع الأحياء ٠٠ كما رأوا الناقهين مختلطين في غرفة واحدة مع المرضى والمحتضرين وكان المرضى يسيرون في الممرات الخارجية حفاة الأقدام صيفا وشتاء لاستنشاق الهواء الخارجي !

مميزات الطب العربي

وفي حديثه في الفصل الخامس عن مميزات الطب عند العرب في القرون الوسطى يقول المؤلف :

كان الطب عند العرب في القرون الوسطى صناعة نبيلة لايسمح بتعاطيها إلا لمن حصل على خبرة واسعة في الطب ، وأعد لذلك اعدادا علميا وخلقيا يكفل حسن عنايته بالناس ٠٠ وتطبيبهم والاطلاع على اسرارهم المتعلقة بحاضر صحتهم وماضيها ٠

عرف العرب بأنه « حفظ الصحة موجودة وردها مفقودة » فلو قارنا بين هذا التعريف وبين التعاريف العديدة حتى الحديثة منها التي وضعت لتحديد الطب لوجدنا التعريف العربي جامعا بين الايجاز والفصاحة والبيان والصراحة ، اختار من الكلمات أبلغها دلالة ، واكثرها افادة ٠٠

ـ ولقد اشترط حكام العرب على محترف المهنة الطبية أن يكون عالما بالتشريح ، ملما بعلم وظائف الأعضاء خبيرا بالنبض وتبدل البول ، محيطا بجميع العلوم التي لها صلة قريبة أو بعيدة بالطب أخصها التشريح ٠٠ وقد جاء في اقوال الرازي مايدل على اعتبار العرب معرفة التشريح أساسا لكل عمل طبي ٠

أما عنايتهم بعلم وظائف الاعضاء فيلاحظ الباحث أثرها في اكثر كتبهم الطبية فما من كتاب موسع في الطب العربي إلا وفيه ذكر لخصائص كل عضو وعمله في حالتي الصحة والمرض ٠

وقد وضع العرب في انظمتهم تشريعا ينظم صناعة الطب ، عرفوا به بما للأطباء وما عليهم ·· وقد جعلوا الاشراف على هذا التنظيم من واجبات « المحتسب » فكان ينظر الى امور عديدة تتعلق بالصحة والطب منها منع السحار والكهان ·· ومنع الناس من تصديقهم ومنع القوابل عن اسقاط الجنين ·· والاشراف على بيع العقاقير ·· وعدم بيعها إلا بوصفة طبية لمرض معين بدواء مجرب ومعروف ·· وهكذا أعطى العرب صناعة الطب مقاما عظيم الشأن ، وأخضعوا هذه الصناعة لرقابة « المحتسب » فكان « المحتسب » ينظم اختيار الأطباء ، وفحص معلوماتهم ويشرف على امتحانهم ، ويتعرف على مقدرتهم للعمل ·· قال الشيزري في كتابه « نهاية الرتبة في طلب الحسبة » « للمحتسب أن يمتحن الطبيب ليعرف علمه من جهله ، وأن يختبره ليعرف درجة اتقانه للصنعة ، وأن يأخذ على الأطباء عهد بقراط ويحلفهم الا يعطوا أحدا دواء مضرا ، ولا يذكروا للنساء الدواء الذي يسقط الأجنة ، ولا للرجال الدواء الذي يقطع النسل ، ويغضوا أبصارهم عن المحارم عند دخولهم على المرضى ·· ولايفشوا الأسرار ، ولايهتكوا الأسرار ، ويحاكي هذا العهد ماتقوم به اليوم كليات الطب في العصر الحاضر ·

فن التشخيص

وقد أكد الطب العربي على ضرورة تشخيص المرض قبل اعطاء العلاج ، يؤيد ذلك ماجاء في قولهم : « اذا دعيت الى مريض فاعطه مالايضره الى أن تعرف علته فتعالجها عند ذلك » وتميز اطباء العرب بمتابعة الدراسة مهما علت منزلتهم ·

والعرب أول من خاط الجروح بخيوط مصنوعة من الأمعاء وأول من أقر سراية الأمراض وأحسن وصفها ·

الطب العربي والغربي

ثم يتحدث المؤلف في الباب الرابع من كتابه عن الطب العربي في الغرب ، فيقول :

كانت الحضارة العربية عاملا كبيرا في الرقي العالمي بناحيته الروحية والفكرية ، ولقد اشرقت هذه الحضارة في زمن ركدت فيه الثقافة اليونانية والرومانية ، وطغى على العالم الأوربي جهل وجهالة فعادت ديار الغرب مسارح لانشقاقات حزبية واختلافات دينية ، ولقد بقيت على حالتها الى ان اشرقت فيها شمس الحضارة العربية بنورها الساطع ، وكان من أول ماعنى بها العرب زرع الايمان والثقة في الانسان ٠٠ واعطاء الجسد حقه من العناية ليكون قويا وتهذيب النفس باصلاحها لتعود خيرة ، فصاروا بذلك منارة العالم يهتدون الى الفضائل بقبس من نورها ، ومان اطلت أواخر القرن العاشر الميلادي على الغربيين حتى وجدوا انفسهم محاطين بأمة سبقتهم في جميع الميادين الضامنة لصلاح الانسان في جسمه ونفسه ، وفرده ومجتمعه ، ومن ذلك ميدان الطب الجليل ٠

ـ ولقد تم احتكاك الغرب بالشرق في ثلاث جهات : مناطق الحروب الصليبية في الشرق ـ صقلية وايطاليا في جنوبي اوروبا ـ والأندلس في الغرب حيث كانت الثقافة العربية واسعة الانتشار ٠

ـ وإذا استطاع الغرب أن يوقف التوسع العربي بسبب رئيسي هو تخاذل زعماء العرب ، وتفرق كلمتهم ٠٠ فقد خضع الغرب للتيار الفكري خضوعا رددت صداه الأجيال ٠٠ لأنه مهد للعالم السبل الى يقظة علمية سارت به شوطا بعيدا ٠

ـ ولقد كان لبعض المدارس والجامعات الغربية التي تأثرت بالثقافة العربية شأن عظيم في النهضة الطبية في اوروبا ٠٠ ونخص بالذكر من هذه المدارس « مدرسة سالرنو » و« مونبليه » و« بولونيا » الايطالية ٠

ـوكان لمدرسة « سالرنو » الطبية أثر يذكر في نقل العلوم العربية كلها ، ولاسيما الطبية منها ٠٠ جعل تلك المدرسة دعامة النهضة العلمية في اوروبا وركنها الأساسي ٠

عصر الترجمة

- ويعتبر القرن الثالث عشر الميلادي عصر ترجمة الكتب العربية الى اللغة اللاتينية ومبدأ عصر ازدهار وتقدم في اوروبا ، وقد بلغ عدد الكتب المطبوعة المترجمة عن العربية الى اللاتينية التي احصى عددها مايقرب من خمسة آلاف كتاب ٠٠ وهكذا اجتاحت موجة الثقافة العربية الأقطار الغربية ٠

- لقد شاهد ختام القرن الثاني عشر بدء انحطاط المدنية العربية في الطرف الغربي من العالم الاسلامي بسبب التعصب الشديد الذي اتصف به ملوك الأسبان ، فهجر الأندلس عدد كبير من العلماء العرب قاصدين « مونبليه » وان هذه الهجرة التي كانت خسارة فادحة لأسبانيا اصبحت في الوقت عينه ربحا عظيما لمونبليه ٠٠ حيث استقر فيها عدد كبير من العلماء والمهاجرين وكانت هذه الحركة عاملا بعيد الأثر في سرعة نشوء « مونبليه » كمركز علمي عظيم الشأن ٠

وتمتاز جامعة مونبليه عن غيرها باعتراف اساتذتها الباحثين بفضل العلم العربي ونقدم للقارىء دليلا على ذلك مقتطفات من كلمات استاذ لمع اسمه في مبدء القرن العشرين لا في فرنسا فحسب بل في العالم الغربي كله ، ونقصد به الاستاذ « فورغ »

قال هذا الاستاذ فى خطاب تذكاري القاه في احدى الجامعات الأسبانية ان اسبانيا ارض قائمة بنفسها يتحلى أهلوها بقوة حيوية غير معهودة في غيرهم ٠٠ كما ان لهم من سرعة الفكر والاستعداد للنضال مايجعل هذه الأمة فريدة في بابها ، ويرجع ذلك الى استيلاء العرب على اسبانيا واختلاطهم بشعبها اختلاطا دمويا أدى الى السير بأوروبا في مضمار التقدم مما دعا ليبري الى أن يقول : « احذف العرب من التاريخ يتأخر عصر التجدد في اوروبا عدة قرون » ٠

ادعاء كاذب

ولقد جرى مؤخرا بعض المعاصرين على انكار العبقرية الطبية عند

العرب ٠٠ والحقيقة ان هذه الملكة العلمية قد اثبتها العرب لأنفسهم منذ البداية ٠٠ حيث قرر علماؤهم من ذلك الوقت تقريرا صريحا للمبادىء التي ينبغي ان يسير عليها العلم ، وهي السير من المعلوم الى المجهول ، وعدم قبول شىء على انه حقيقة إلا بعد ثبوته بالتجربة إذن منذ القرن الحادي عشر ثبت العرب انهم كانوا قد ملكوا الطريقة العلمية الصحيحة ، وليس بصحيح القول انهم ما أتوا بشيء جديد ٠٠ ولا أضافوا شيئا يذكر الى التراث اليوناني اللاتيني ، ولا جرم انهم بالبداية كان اساس عملهم الترجمة من الكتب القديمة ولكن ليس من العدل القول انهم لم يكونوا إلا وسطاء ، وانهم لم يكونوا **يعلمون** مايترجمون ٠٠ ولم يكن عندهم روح التوليد وعلى هذا اجاب الفيلسوف الألماني « هومبولد » بقوله : « ان العرب لم يقتصروا على حراسة كنز المعارف الذي عثروا عليه ٠٠ بل اضافوا اليه ووسعوه وفتحوا طرقا جديدة للبحث ٠



العلوم عند العرب

الأستاذ قدري حافظ طوقان

العلوم عند العرب : صفحة مجيدة ـ بلاشك ـ من تاريخ الاسلام !

وقد كان الاسلام ـ من غير شك أيضا ـ هو الينبوع الأول ٠٠ والمشجع الأول للعلم ، ولكل حركة من حركات الفكر ، اسهمت في البناء الحضاري ٠

والمعروف ان « المد العلمي » في البلاد العربية والاسلامية ، قبل ان تقع فريسة للاستعمار ٠٠ كان هو وحده مصدر الاشعاع في العالم ٠٠ بل كان هو وحده الاساس الذي بنى عليه الغرب حضارته العلمية !

ولسنا نقول هذا تعصبا ٠٠ وانما نقوله لانه حقيقة اجمع عليها حتى اهل الغرب انفسهم ٠٠ كتابا وباحثين ٠!

والواقع انه لم يعد خافيا ٠٠ ان الحضارة الغربية الحديثة واعظم ماتفخر به انها قامت على العلم ٠٠ انما انبثقت عن تلك الشعلة الوهاجة : شعلة الحضارة الاسلامية ٠٠

وكان « العلم العربي الاسلامي » هو المنهل الذي نهلت منه حضارة الغرب اهم ماتحويه من عناصر ٠٠٠ وفي طليعة هذه العناصر ٠٠ العلوم التجريبية ٠٠

وليس القصد ـ طبعا ـ من كتاب كهذا الكتاب يؤلفه « قدري طوقان » العالم النابغة المعروف ٠٠٠٠ هو تأكيد هذه الحقائق من أجل ان نتغنى بها ، أو نباهى غيرنا ٠٠ وانما ـ وهو نفسه يشير الى ذلك في تقدمة كتابه ٠٠ من أجل ان نزداد وعيا بهذه الحقائق ٠٠ وبالتالي

نستلهم منها قوة لنا وعزما ٠٠ لا مباهاة وفخرا ٠٠ وان « نتفهم » الى جانب ذلك بل وأكثر من ذلك ـ مشاكلنا ٠٠ ليكون لنا من وعينا مايحركنا دائما الى الامام على اساس من فهم الماضي فهما اعمق ، واوسع مدى ٠٠ ثم على اساس من فهم « الحاضر » فهما كله تبصر ٠٠ وكله ثقة ٠٠ واعتداد ٠٠ وعزم ٠٠ على هذين الاساسين وحدهما يمكن ان يبني العرب كيانهم ٠٠ قويا شامخا في عهدهم الراهن ٠٠ اذا هم ارادوا ـ بحق ـ ان يكون هذا الكيان قويا وشامخا ٠

يقول الاستاذ طوقان : قام العرب بدورهم في خدمة الحضارة والمساهمة في تقدم العلوم ٠٠ هذا مانحاول اثباته وتركيزه في هذا الكتاب ٠٠

والواقع ان هناك كثيرين يجهلون الخدمات التي قدمها العرب للحضارة والعلوم ٠٠ بل ان بين هؤلاء من يعتقد ان العقل العربي لم يستطع في جميع الادوار التي مرت عليه ان يقدم للمدنية خدمات علمية جليلة كالتي قدمها الغرب ٠٠ وانه لم يكن بين العرب من استطاع ان يصل علميا درجة غاليلو ٠ وكبلر ٠٠ ونيوتن ٠٠ وفراداى ٠٠ وباكون ٠٠ وغيرهم ٠٠

قد يكون هناك مبررات لهذا الجهل ٠٠ وقد يكون تحامل بعض علماء الافرنج على التراث العربي واهمال العرب تراثهم وتاريخهم من عوامل وجود ذلك الاعتقاد ٠

٠٠٠ وعلى الرغم من هذا كله ومن حسن الحظ وجد بين العلماء من قام يخدم الحقيقة لانها حقيقة ومن قام يخدم الحق لانه حق ، فقد ظهر في الغرب نفر من العلماء ينصف العرب لان التاريخ يقضي بذلك ، وهو اي التاريخ يبحث دائما عن الحقيقة فهي رائده وهي مبتغاه ٠٠

قال سارطون بشأن الذين ينتقصون من قدر العرب العلمي :

« ان بعض المؤرخين يجربون ان يستخفوا بتقدمة الشرق للعمران ويصرحون بأن العرب والمسلمين نقلوا العلوم القديمة ، ولم يضيفوا

اليها شيئا ما ٠٠ ان هذا الرأي خطأ ٠٠ وانه لعمل عظيم جدا ان ينقل الينا العرب كنوز الحكمة اليونانية ويحافظوا عليها ولولا ذلك لتأخر سير المدنية بضعة قرون ٠٠ « ويعتقد الدكتور سارطون بأن العرب كانوا اعظم معلمين في العالم وانهم زادوا على العلوم التي اخذوها ، وانهم لم يكتفوا بذلك بل أوصلوها درجة جديرة بالاعتبار من حيث النمو والارتقاء ٠

ويقول المؤلف : وعلى هذا يمكن القول انه لولا جهود العرب لبدأت النهضة الاوربية في القرن الرابع عشر من النقطة التي بدأ منها العرب نهضتهم العلمية في القرن الثامن للميلاد ٠٠

ثم يقول : برع العرب في الرياضيات وأجادوا فيها وأضافوا اليها اضافات اثارت إعجاب علماء الغرب ودهشتهم وقد اعترفوا بفضل العرب واثرهم الكبير في خدمة العلم والعمران ٠٠

٠٠٠ واشتغل العرب بالجبر ٠٠ واتوا فيه بالعجب العجاب : حتى ان كاجوري قال : « ان العقل ليدهش عندما يرى ماعمله العرب في الجبر ٠٠ وهم اول من اطلق لفظة « جبر » على العلم المعروف بهذا الاسم ٠٠٠ وعنهم اخذ الافرنج هذه اللفظة : وكذلك هم اول من الف فيه بصورة علمية منظمة واول من الف فيه « محمد بن موسى الخوارزمي » في زمن المأمون ٠٠ وكان كتابه في الجبر منهلا استقى منه علماء العرب والغرب على السواء واعتمدوا عليه في بحثوهم : واخذوا عنه كثيرا من النظريات ٠٠ لقد احدث هذا الكتاب اعظم الاثر في تقدم علمي الجبر والحساب ٠

٠٠٠ ولولا العرب لما كان علم المثلثات على ماهو عليه الان : فاليهم يرجع الفضل في وضعه بشكل علمي منظم مستقل عن الفلك وفي الاضافات المهمة التي جعلت الكثيرين يعتبرونه علما عربيا ٠٠ كما اعتبروا الهندسة علما يونانيا ٠

٠٠ وفي الفلك نهض العرب نهضتهم المعروفة : فيه انقلابا ٠٠ كان

من اهمه تطهير علم الفلك من ادران التنجيم ··

·· وفي الجغرافيا ساعد العرب على تقدمها : وصححوا كثيرا من اغلاط بطليموس وكشفوا مناطق لم تكن معروفة في بعض القارات ·· وقد وصلوا الى اقصى الارض : ووضعوا المؤلفات النفيسة : وزانوها بالخرائط : وحسبهم فخرا انهم ربطوا الجغرافيا بالفلك فسبقوا بهذا العمل العلماء المحدثين ·

··· وعرف العرب الطريقة العلمية الحديثة : وقد ساروا عليها : ومهدوا الى اصولها وكشف عناصرها : فسبقوا « باكن » الى انشائها ، بل انهم زادوا على طريقة باكن التي لا تتوفر فيها جميع العناصر اللازمة في البحوث العلمية ··· لقد ادركوا الطريقة المثلى ، وقاموا بالاخذ بالاستقراء والقياس والتمثيل وضرورة الاعتماد على الواقع الموجود على المنوال المتبع في البحوث العلمية الحديثة ···

لقد وصل العرب في علم البصريات الى اعلى الدرجات ، وثبت ان « كبلر » اخذ معلوماته في علم الضوء عن ابن الهيثم ·· وسحرت بحوث بعض علماء العرب في الضوء « ماكس مايرهوف » واثارت اعجابه الى درجة جعلته يقول :

« ··· إن عظمة الابتكار العربي تتجلى لنا في البصريات ···

··· اما في الكيمياء فللعرب ابتكارات واضافات جعلت « برتيلو » يقول عن « جابر بن حيان » :« لجابر في الكيمياء ما لأرسطو في المنطق ··· » وقد كان لبحوثه وبحوث غيره من علماء العرب في الكيمياء اثر كبير في تكوين مدرسة كيميائية ذات اثر فعال في الغرب ·

··· وفي الطب ثبت ان للعرب فضلا كبيرا في انقاذه من الضياع ··· وفي الاضافات المهمة اليه ، ونقل ذلك الى اوربا ·· وكذلك في الصيدلة وضعوا اسسها وهم اول من أنشأ مدارسها ··· واستنبطوا انواعا من العقاقير وامتازوا في معرفة خصائصها وكيفية استخدامها لمداواة المرضى ··

· · · ومن بين علماء العرب من جمع الشروط التي تجعله مؤسسا لعلم الاجتماع ، وقد وضعوا في ذلك كتبا نفيسة ·· ذات أثر في تطور الفكر ، لقد قال ابن خلدون بوجوب اتخاذ الاجتماع الانساني موضوعا لعلم مستقل وذهب الى ان الاحوال الاجتماعية تتأتى من علل واسباب ، وقد ادرك قبل غيره من علماء اوروبا بعدة قرون ان هذه العلل والاسباب تعود في الدرجة الاولى الى طبيعة العمران أو طبيعة الاجتماع ، وقد درسها دراسة مستفيضة خرج منها بكشف بعض القوانين المتعلقة بها ··

ثم يقول المؤلف : « يتجلى انه كان للعرب في سير الحضارة وامتدادها ما يدل على انهم قاموا بدورهم في التطور الفكري العام بحماسة متناهية وفهم قوي ، وبذلك هيأوا العقول للتفكير العلمي الحديث · · · ولولا ذلك لتأخر سير النهضة الاوربية بضعة قرون ·

الاستعمار قتل هذه الحضارة :

لقد كان هذا عندما كان العرب احرارا ·· ولكن حينما ابتلوا بالاستعمار · · · وما صحبه من ضغط على المواهب وتقييد للحريات ، وقتل للقابليات ·· وحرمان من فرص الحياة على انواعها ·· اقول حينما ابتلوا بكل ذلك ، ضعفت عزائمهم وهزلت هممهم ، وأحاطهم الخمول واليأس حتى لقد تسرب الى كثيرين ان العرب ليسوا اهلا لعظائم المبتدعات ، ولا اكفاء لحمل الرسالات ولا صالحين لخدمة المدنية الى أن يقول : وفي هذا القرن شهد العالم استفاقة العرب من غفلتهم ونهوضهم من كبوتهم فاذا الدعوة إلي التحرر والانطلاق تأخذ طريقها على الرغم من العراقيل والعقبات ، وتتجه في الاتجاه السليم ·· وهذه الدعوة تتجلى قوية في العرب المثقفين ·· وعنيفة في العرب الذين تحرروا من طوق الاستعمار في بلادهم ، ثم انبثوا يساعدون اقوامهم للنضال ، واستعادة روح الكرامة التي كاد الاستعمار ان يأتي على مابقى منها · · ·

ولسنا في حاجة الى القول ان التحرر والانطلاق من القيود لا تكون مجدية مثمرة اذا لم تبن على أساس ·· واذا لم تسر في طريق يضمنان لها الاستمرار والاندفاع والنجاح وليس اضمن لهذا كله من استمداد الماضي واستلهامه عزما وقوة لا مباهاة وفخرا ومن معرفة الحاضر واشباعه درسا وفحصا ، ومن النظر الى المستقبل بعين الرجاء والامل ·

اما الماضي ففيه كل مايعتز به ويفخر ، وكل مايوحي الثقة بالنفس والاعتماد عليها ، واما الحاضر فهو الصرح الذي نقيم عليه المستقبل ، ولهذا علينا ان نتبصر فيه وان نتفهم مشاكلنا في انفسنا ، وان يكون لنا من وعينا ما يحركنا ويدفعنا الى الامام ·

ويخص المؤلف الباب الاول من الكتاب ببحث مآثر العرب في العلوم ·· فيتحدث عن الطب والصيدلة عند العرب ·· وعن الكيمياء والنبات وعلم الطبيعة والرياضيات والفلك والجغرافيا ثم يختتم فصول هذا الباب بكلامه عن نزعة العرب العلمية ··

وفي هذا الموضوع يقول : امتاز العرب في الجمع بين فروع العلوم والأدب وفاقوا في هذا غيرهم فنجد بين علمائهم من وقف على روائع الأدب وغاص في دقائق العلم وجمع بينهما ·· ومن يطلع على كتاب الخوارزمي في الجبر ·· يجد أن المؤلف جمع بين الجبر والأدب وجعلهما متممين احدهما الآخر ·· فالمادة الرياضية مفرغة في أسلوب أخاذ لا ركاكة فيه ولا تعقيد ، ينم عن آدب رفيع واحاطة بدقائق اللغة ·· ونظرة في كتاب البيروني يتبين كيف يتعانق الأدب والرياضيات ، بما فيها الفلك والطبيعيات ·· وليس أدل على ما قلت من كتاب « التفهيم لاوائل صناعة التنجيم » للبيروني ·· فالأسلوب في هذا الكتاب سلس خال من الالتواء ·· يخرج منه القارىء بثروتين : أدبية وعلمية ·· ويشعر بلذتين : لذة الاسلوب العلمي ·· ولذة المادة العلمية ·· ومنهم من جمع في كتبه بين الأدب والنواحي الأخرى من المعرفة ، كالفلسفة والعلوم والتاريخ وغيرها ·· فالجاحظ مثلا : كان له

الفضل على الأدب والفلسفة جميعا ·· ففي الأدب كان فضله أن أغزر معانيه ، وجعل له موضوعا ·· بعد أن كاد يكون شكلا بحتا ·· فتقرأ رسائله فتجدها ناصعة الأسلوب غزيرة المعنى ، لها موضوع ولها شكل ·· هذه رسالة في القيان وهذه رسالة في المعلمين ، وهذه رسالة في الغناء ·· حتى رسالته في الهجاء استطاع أن يجعل لها موضوعا علميا بل لعلها أحسن رسائله لمن شاء أن يعرف أي العقلية العلمية والأدبية والفلسفية كانت تشغل الناس في عصر الجاحظ ·

وكذلك أبو حيان ، امتاز في الجمع بين الأدب والحكمة وأصناف العلوم والمعارف وقد وفق في ذلك مع المحافظة على الحقيقة في أصدق مظاهرها ·· ونظرة في كتاب « الفهرست » لابن النديم ، نجد أنه سار على اسلوب خاص اقتصادي ، لا اطالة فيه ودون لغو أو مقدمات وهو يقول في ذلك : « ··· والنفوس تشرئب إلى النتائج دون المقدمات ، وترتاح إلى الغرض المقصود دون التطويل في العبارات « وهو يأتي إلى الفكرة فيعرضها دون مواربة أو تمهيد ، ويندفع إلى صميم الموضوع في دقة وايجاز وضبط وإحكام ، ويسيطر على ذلك كله روح علمي صحيح ·· وهذا ما يجعلنا نرى أن « ابن النديم » يتحرى الصدق في كتابه العظيم ، ويسير في أمانة النقل إلى أبعد الحدود ·· ومن يتصفح الكتاب ومقدمته يتبين له صحة ما ذهبنا إليه ·

وكذلك امتاز أسلوب الفارابي بالايجاز والعمق ·· وقد اعترف له بذلك « كارادى فو » والفارابي مبتكر لا مقلد ، فقد انتج عقله الخصب نظريات جديدة فيها ابتكار وفيها عمق ·· وكان ابن سينا يسير في أسلوبه على أساس منطقي ·· وفوق ذلك فأسلوبه علمي دقيق ·· وقد خالف أرسطو وأفلاطون وغيرهما من فلاسفة اليونان في كثير من النظريات والآراء ·· فلم يتقيد بها ·· وجعل للتجربة كذلك مكانا عظيما في دراسته وتحرياته ولجأ اليها في طبه ، وتوصل عن طريقها إلى

ملاحظات دقيقة كما توفق إلى تشخيص بعض الأمراض وتقرير علاجها ٠

الاخلاص للحق والحقيقة :

ومن أساليب العرب ما يمتاز بطابع خاص هو الاخلاص للحق والحقيقة ، والدعوة إلى ذلك ، وإلى جعل البرهان دليلا شاهدا ، ولقد تضمنت بعض الرسائل القديمة نصائح وارشادات إلى الكتاب ليسيروا عليها حين الكتابة هي في الواقع الأساس الذي يجب أن يسلكه أصحاب الأقلام في كل زمان ٠٠

وقد تبين « ابن الهيثم » أن من الغايات التي توخاها في تصنيف الكتب والرسائل افادة من يطلب الحق ويؤثره في حياته وبعد مماته ٠٠

ومن العلماء الذين امتازوا بروح علمي صحيح : « البيروني » وهو من أكبر الباحثين الذين تركوا مآثر خالدة في العلوم والتاريخ ٠٠ ساح في الهند أربعين عاما بقصد البحث والدرس ، وخرج من ذلك بوقوفه على علوم الهند وفلسفتها ، وقد استطاع أن يسدي إلى اللغة العربية خدمة جليلة اذ اكسبها مرونة على التعبير عن دقائق التفكير الهندي ٠٠

ويتبين من الآثار التي خاضها « البيروني » في مختلف ميادين العلوم ومن كتابه الشهير « الآثار الباقية » انه كان باحثا دقيق الملاحظة وناقدا صائب النقد ، يعتمد على المشاهدة ٠٠ وكتبه مختصرة ، ومنقحة وبأسلوب مقنع وبراهين مادية ٠

ومادمنا في صدد الاخلاص للحق ، وتوخي الحقيقة والدقة العلمية لابد لنا من الاشارة هنا إلى الطرق التي اتبعها علماء الحديث في الوصول إلى تمييز الحديث الموضوع من الحديث الصحيح ٠

وللقاضي « عياض » رسالة في علم المصطلح هي أنفس ما صنف في مجموعها وقد سما بها القاضي إلى أعلى درجات العلم والتدقيق ٠٠ ويعترف الدكتور « رستم » بفضلها فيقول : ٠٠٠ وعلى الرغم من مرور

سبعة قرون عليها فانه ليس بامكان رجال التاريخ في أوربا وأمريكا أن يكتبوا أحسن منها في بعض نواحيها ·· » ·

« وقد ثبت أن المسلك الذي اتبعه العرب في تنقية الحديث وتمييز صحيحه من موضوعه قد أثر في أساليب العلماء ·· إذ أبان لهم أهمية اتباع الطرق التي تؤدي إلى الحق ·· كما أوضح لها منهاجا دقيقا للسير بموجبه للوصول إلى الحقيقة ، وإلى الصحيح من الواقع والأخبار والأقوال : وكذلك كان للأساليب التي اتبعها علماء الحديث فضل كبير على التاريخ ، وأصبحت القواعد التي ساروا عليها في تحري الحقيقة هي المعول لدى المؤرخين المعاصرين « ومحل تقديرهم واعجابهم » ·

وظهر من علماء العرب من دعا إلى الدقة في العمل ، واجراء التجارب والاحتياط في الاستنتاج ، من هؤلاء « جابر بن حيان » من أعلام العرب الذين أسدوا جل الخدمات إلى الكيمياء والعلوم الطبيعية ·· ومن علماء العرب الذين اشتهروا بالتدقيق ـ حين البحث في النبات ـ رشيد الدين ابن الصوري ، فقد كان يستصحب معه مصورا ـ حين البحث عن الحشائش في منابتها ـ ومعه الاصباغ على اختلاف تنوعها ·

من أعلام العرب :

وننتقل مع المؤلف إلى الباب الثاني للكتاب وقد خصه بالكلام عن بعض الأعلام ممن اشتهروا بالعلوم على اختلافها كجابر بن حيان والخوارزمي والكندي والجاحظ والفارابي والرازي وابن سينا وابن الهيثم والبيروني وابن حزم والغزالي وابن خلدون والشريف الادريسي وغيرهم ··

يقول عن « محمد بن موسى الخوارزمي » : برز في الرياضيات والفلك وكان له أكبر الأثر في تقدمها وارتقائها فهو أول من استعمل « علم الجبر » بشكل مستقل عن الحساب ، وفي قالب منطقي علمي كما أنه أول من استعمل كلمة « الجبر » للعلم المعروف بهذا الاسم ، ومن هنا أخذ الأفرنج هذه الكلمة واستعملوها في لغاتهم ·

حلق في سماء الرياضيات ، وكان نجما متألقا فيها اهتدى بنوره علماء العرب وعلماء أوربا ، وكلهم مدين له بل المدنية الحديثة مدينة له بما أضاف من كنوز جديدة إلى كنوز المعرفة الثمينة ٠

ويقول عن « الكندي » : « الكندي من الاثنى عشر عبقريا الذين هم من الطراز الأول في الذكاء على رأى العالم الشهير « كاردافو » ٠

وعن ثابت بن قرة « يقول » ٠٠ من ألمع علماء القرن التاسع للميلاد من الذين تركوا آثارا جمة في بعض العلوم ، وكان يحسن السريانية والعبرية واليونانية ، جيد النقل عنها ٠٠ وبعده « سارطون » من أعظم المترجمين ، وأعظم من عرف في مدرسة « حران » في العالم الغربي ٠٠٠ » ٠

أما « أبوبكر الرازي » فيقول عنه : « الرازي حجة الطب في أوربا حتى القرن السابع عشر للميلاد ، ويعده معاصروه طبيب المسلمين غير مدافع ٠٠ ولقد كان الرازي منتجا إلى أبعد حدود الانتاج ، فقد وضع من المؤلفات ما يزيد على المائتين والعشرين ضاع معظمها أثناء الانقلابات السياسية في الدول العربية ولم يبق منها إلا القليل في بعض مكتبات أوربا ٠٠ خصصت جامعة « برنستون » في أمريكا اضخم ناحية في أجمل أبنيتها لمآثر « الرازي » باعتباره علما من أعلام الحضارة الخالدين ٠

ويقول عن « ابن يونس » المتوفي في مصر حوالي سنة ١٠٠٩م : إنه سبق « غاليليو » إلى اختراع الرقاص ٠٠ « بندول الساعة » في حين يعتقد الكثيرون أن غاليليو العالم الايطالي الشهير أول من استطاع أن يستعمله ويستفيد منه ويستدل المؤلف في ذلك بما كتبه المؤرخ الفرنسي « سيديو » وبهذا يكون غاليليو مسبوقا في هذا الاختراع بستة قرون ٠

وابن يونس هو أبوسعيد عبدالرحمن بن أحمد بن يونس بن عبدالأعلى الصوفي المصري كان من مشاهير الرياضيين والفلكيين الذين ظهروا بعد « البتاني » و « أبي الوفاء البوزجاني » ويعده

« سارطون » من فحول علماء القرن الحادي عشر الميلادي ·

ويتحدث عن « ابن حزم » في صفحات خمس من الكتاب ويقول عنه : « اعترف بفضله وعلمه الأقدمون والمحدثون فقال عنه أفاضل القدماء « إن ابن حزم حامل فنون من : حديث وفقه وجدل » ·· وقال عنه الذهبي : « ابن حزم رجل من العلماء الكبار فيه أدوات الاجتهاد كاملة » ·· ولقد درس بعض تآليفه المستشرقون ورجال التاريخ في أوربا وأمريكا فانصفوه بعض الانصاف واعترفوا بأثره في الفقه والعلوم ·

وتناول آراءه « جولد زيهر » وغيره من الاوربيين فشرحوها وعلقوا عليها وأبانوا أثره في الفقه والمنطق والتاريخ ·· ويعترف « سارطون » بفضل ابن حزم وعلمه ·· فيقول : « ابن حزم أعظم عالم في الأندلس ومن أكبر المفكرين المبتكرين المسلمين فيها » ·

أما عن « ابن خلدون » و « مقدمة ابن خلدون » فيقول المؤلف : « ان مقدمة « ابن خلدون » أساس التاريخ ، وحجر الزاوية فيه كما يقول « ماكدونالد » ، وهي مقدمة تاريخية فلسفية لم ينسج أحد على منوالها قبلها حتى علماء اليونان والرومان وغيرهم ·· وهناك من علماء الافرنج من خرج بتصريح خطير بعد دراسة المقدمة فاعترف بأثر هذه المقدمة في التاريخ وفلسفته ·· قال « روبرت فلنت » : « من وجهة علم التاريخ وفلسفته يتجلى الأدب العربي باسم من ألمع الأسماء ·· فلا العالم الكلاسيكي في القرون القديمة ، ولا العالم المسيحي في القرون الوسطى يستطيعان أن يقدما اسما يضاهي في لمعانه ابن خلدون ·· » ويتابع كلامه هذا فيقول : « ان من يقرأ المقدمة باخلاص ونزاهة لا يستطيع إلا أن يعترف بأن « ابن خلدون » يستحق لقب مؤسس علم التاريخ وفلسفته « وفي هذه المقدمة يتجلى اتساع أفق تفكير « ابن خلدون » وغزارة علمه ·· فقد اتخذ من المجتمع كله وما يعرض فيه من الظواهر مادة لدرسه ·· وحاول ان يفهم هذه الظواهر وأن يعللها على

ضوء التاريخ ٠٠ وأن يرتب من سيرها وتفاعلها قوانين اجتماعية عامة ٠٠ وهذا ما جعل الباحثين يقولون بتفوق « ابن خلدون » على « مكيافللي » ٠٠ تفوقا عظيما في التفكير ونوع النتاج ٠٠ وقد قارن « كلوزيو » بين « ابن خلدون » و « مكيافللي » فقال في هذا الصدد :

« ٠٠ إذا كان مكيافللي يعلمنا وسائل حكم الناس ٠٠ فانه يفعل ذلك كسياسي بعيد النظر ، ولكن العلامة التونسي « ابن خلدون » استطاع أن ينفذ إلى الظواهر الاجتماعية كاقتصادي وفيلسوف راسخ مما يحملنا بحق على أن نرى في أثره من سمو النظر ، والنزعة التقدمية ما لم يعرفه عصره ٠٠ » ٠

وما أروع كلمة المؤرخ البريطاني المشهور « توينبي » عن ابن خلدون والتي يختم بها المؤلف كتابه هذا القيم ٠٠ يقول « توينبي » ٠

« ابن خلدون في المقدمة التي كتبها لتاريخه العام قد أدرك وتصور وانشأ فلسفة التاريخ ٠٠ وهي بلاشك أعظم عمل من نوعه خلفه أي عقل في أي زمان ومكان » ٠



الجغرافيون العرب

الأستاذ مصطفى الشهابي

يتناول هذا الكتاب بالوصف والتحليل إحدى نواحي النشاط العلمي والثقافي في تاريخ العرب والمسلمين ·

ناحية البحث العلمي المقرون بالتجربة في الميدان الجغرافي ، وما كان للجغرافيين العرب من إسهام مثمر عجيب في هذا الحقل من حقول المعرفة والتفكير ··

ولقد شهدت الفترة التاريخية ، بين النصف الثاني من القرن الثامن وأول القرن الثاني عشر للميلاد عصرا كان العرب فيه ـ كما يقول الباحث الفاضل مؤلف هذا الكتاب ـ سادة العالم في مختلف العلوم والفنون ·· لدرجة أن ثقافتهم وعلومهم طغت على سائر الثقافات المعاصرة لتلك الفترة ، وكان من نتيجة ذلك أن أصبحت اللغة العربية يومئذ ، اللغة الدولية للعلوم !

ولكن بعض مؤرخي تاريخ العلوم وتطورها ـ وجلهم **من** الاجانب ـ أغفلوا نصيب العرب ·· أو مروا به مر الكرام ··· وسلطوا الأضواء على ما كتبه اليونان ، ونسبوا بعض النظريات الى علماء أجانب ، جاءوا فيما بعد القرن الثاني عشر ، بينما علماء العرب سبقوا هؤلاء الى تلك النظريات ·

وقل من تعرض من الأجانب للاعتراف بفضل العرب ، بسبب التعصب الأعمى ضد العرب !

يتحدث المؤلف في تمهيده لكتابه عن الجغرافيا باعتبارها من أقدم العلوم ، وعن صلتها الوثيقة بالعلوم الأخرى مثل الرياضيات وخاصة في النواحي الفلكية ، وبعلوم الطبيعة والكيمياء والجيولوجيا والحياة ودراسة البحار والمحيطات وتوزيعها والمد والجزر والتيارات البحرية ٠

ثم يتحدث عن التأليف الجغرافي عند القدماء ويشير الى « بطليموس » المشهور باسم « الجغرافي » على أنه أشهر مؤلف جغرافي في العصور القديمة ٠

وقد بنى الجغرافيون العرب ـ يقول المؤلف ايضا ـ على ما كتبه بطليموس وأضافوا الى ما كتبه هو وغيره ، ما وقفوا عليه أثناء أسفارهم ورحلاتهم المتعددة في مختلف الجهات ونبغ منهم عدد كبير ٠

ويقرر في الفصل الأول أن العرب أسبق الامم الى الكشوف الجغرافية ، وقد عرفوا بذلك في العصور القديمة ، منذ أن هاجر كثير من القبائل من جنوب الجزيرة العربية وأواسطها الى بلاد الأنهار ، أو بلاد الخصب الدائم أو المرعى الموفور ٠

وكان اشتغال العرب بالتجارة برا وبحرا أكبر مشجع لهم على ارتياد الأماكن النائية ٠

وكان الفينيقيون في طليعة الأمم القديمة التي اشتغلت بالتجارة عبر البحار ٠

وكان لهم أثرهم في أحكام الصلات بين أغلب الجهات المعمورة مما كان له أثره في توسيع المعارف الجغرافية ٠

وفي جنوب الجزيرة العربية قامت حضارات زاهرة في اليمن كان اعتمادها على النشاط التجاري في البحر العربي والمحيط الهندي فاتصل اليمنيون بشعوب افريقية الشرقية وجزرها ٠٠ كما اتصلوا بالهند وما وراءها من أقطار ، والى هؤلاء اليمنيين القدماء يرجع الفضل في معرفة الطرق البحرية في تلك الجهات ٠

ولما عظم شأن الاغريق والرومان احتفظت البلاد العربية بأهميتها

كمركز للحركات الكشفية ، والدراسات الجغرافية أيضا ، وساهم العرب في معاونة الأغريق والرومان على كشف سواحل أفريقية الشرقية والغربية ، وبعض الطرق الصحراوية في القارتين الأفريقية والآسيوية ٠

***

أثر التوسع العربي في الجغرافيا

وعندما بدأ القرن الثامن الميلادي أصبح للعرب ملك واسع الأرجاء ٠٠ فامتدت دولتهم من حدود الهند شرقا الى المحيط الأطلنطي غربا ومن آسيا الوسطى وجبال القوقاز الى صحارى افريقيا ٠

وكان لهذا الاتساع العظيم أثره في اهتمام العرب بالجغرافيا وبالرحلات لعدة أسباب :

١ ـ أن هذا الملك الواسع الذي أسسه العرب كانت انحاؤه المختلفة تتطلب الدراسة والوصف ، مما دفع بعض الخلفاء والحكام العرب الى أن يوفدوا مبعوثيهم وسفراءهم الى البلاد الاسلامية والعربية المختلفة لدراسة احوالهم ومعرفة طبائع سكانها وبيان الطرق والمسالك المؤدية اليها ، تمهيدا لتطبيق احكام الشريعة بين سكانها ، ولتوثيق الروابط بين السلطة المركزية وبين حكام الأقاليم ، وقد اقتصرت هذه الرحلات على الدولة الاسلامية ٠

٢ ـ ان الاسلام يحث على طلب العلم وعلى تجشم المشاق في هذا السبيل وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم « اطلبوا العلم ولو في الصين » أكبر دليل ، لذلك كان طلاب العلم يتركون أوطانهم ، ويسيرون شرقا وغربا ، وشمالا وجنوبا من أقليم الى آخر ، يدرسون على مشاهير الأساتذة و يقابلون أعلام الفقهاء ٠

٣ ـ كان ألوف المسلمين يتجهون من أطراف العالم الاسلامي الى الحجاز يحجون الى بيت الله الحرام مما أتاح لبعضهم مشاهدة مناطق مختلفة ، وأقطار متعددة تناولوها بالوصف والتحليل فيما رأوه وكتبوه ٠

٤ ـ اتسع نطاق التجارة العربية فانتشرت قوافل التجار العرب في أغلب

اجزاء العالم المعروف في ذلك الوقت ، وخاضت سفنهم مختلف البحار والمحيطات ، وعرفتهم الطرق التجارية المعروفة يومئذ ، ولم تقتصر تلك الرحلات على البلاد العربية ، بل تجاوزتها الى الدول المجاورة ·

٥ ـ الثراء الذي امتازت به البلاد العربية في العصور الوسطى ·

٦ ـ الميل الغريزي عند العرب للبحث والاطلاع ، ولذلك اتخذ كثير منهم السياحة وسيلة للدراسة والوقوف على ما بالبلاد الأخرى من عجائب وغرائب ·

٧ ـ شعور العربي بأنه في بلده مادام في بلاد عربية ·

٨ ـ كانت للعروبة هيبة في سائر دول العالم ، فكان العرب المسافرون يلقون من كرم الضيافة وحسن المعاملة ما يحبب اليهم الرحلات والاسفار ·

٩ ـ أن الدين الاسلامي قدر متاعب السفر ، فخفف على المسافرين بعض الواجبات الدينية في الصلاة والصوم ·

١٠ ـ كان العالم العربي في العصور الوسطى يمثل دائما كتلة ثقافية وروحية واحدة على الرغم من المنازعات السياسية ·

١١ ـ وكان العالم العربي كذلك يمثل وطنا حقيقيا لا للمسلمين فقط ، بل لمواطنيهم من المسيحيين واليهود ايضا ·

العرب والبوصلة

١٢ ـ ولو ان بعض العلماء في الغرب يعزو اختراع البوصلة للصينيين إلا أن القرائن تدل على أن العرب أول من استعملوها في رحلاتهم البعيدة ، فضلا عن « الاسطرلاب » الذي ينسب للعرب اختراعه وصناعته ·

كل تلك الاسباب ـ يقول المؤلف ـ هيأت للرحلات والأسفار ، فقام من العرب رحالة جابوا ارجاء العالم ، ولم تستطع الظروف السياسية كالحروب بين الملوك والامراء ان توقف رحلات العرب إلا مؤقتا ثم سرعان ما تعود سيرتها الأولى ·

لكن ما اهمية هذه الرحلات ؟ وما ميزاتها ؟

يقول المؤلف : للرحلات العربية ميزات هامة منها :

١ ـ انها ساعدت على زيادة المعلومات عن كثير من أجزاء العالم وكشف بعض المجهول منها فعرف العرب نواحي لم يعرفها الاوروبيون الا في العصور الحديثة ٠

٢ ـ انها سدت الفراغ أو الفجوة الزمنية بين عهد بطليموس العالم اليوناني وعهد ماركو بولو العالم الايطالي ٠

٣ ـ ان ما كتبه العرب كان أساسا لما كتب في العصور التالية فحققه الاوروبيون او زادوا عليه ٠

٤ ـ ان أخبار الرحالة العرب وقصصهم أكثر تنوعا ، وأشد حيوية وقوة مما نجده مسطورا في مؤلفات علماء اليونان ، فقد ساهموا في التعريف بالشرق الأقصى وأفريقية ٠ وعبروا الصحراء وعرفوا مجاهل هذه القارة التي ظل الاوروبيون حتى القرن الثامن عشر يقفون عند سواحلها ، وكان الرومان يتخيلون وجود الصين ٠٠ ولكن الرحالة المسلمين عرفوها ، وكتبوا عنها منذ بداءة القرون الوسطى ٠

٥ ـ ظلت المعلومات التي قدمها الرحالة العرب المرجع الوحيد فيما بين القرن التاسع والرابع عشر للميلاد ٠

٦ ـ يبدو أثر العرب في هذه النواحي في هذا العدد الكبير من المصطلحات العربية الأصل التي تصادفنا في مجموعة الألفاظ المتصلة بالتجارة والملاحة ٠

ويشير المؤلف الى بناء العرب للأساطيل البحرية التي مكنتهم من قهر أساطيل الروم في البحر المتوسط ٠

والى أول معركة بحرية عربية عامة ، وقعت في ٢٩ اغسطس عام ٦٥٤م عندما هزم اسطول عربي مكون من مأتي سفينة ٠٠ اسطولا بيزنطيا أكثر منه عددا ٠٠ بالقرب من الاسكندرية ، في المعركة المشهورة باسم « ذات الصواري »٠٠ وقد أصبح ذلك اليوم عيدا للبحرية

العربية ٠٠ ومنذ تلك الموقعة بدأ نشاط العرب البحري ، الحربي التجاري ٠٠ فلما اتسعت الدولة العربية ازداد الاهتمام بصناعة السفن وتنظيم الأساطيل وإحياء المعارف البحرية للضرب في شتى الآفاق بحثا عن السلع والأسواق ٠

ولم يدون الملاحون العرب في أول الأمر تجاربهم البحرية كعلم قائم بذاته ٠٠ بل اكتفوا بتداولها وتوارثها وتبادل الانتفاع بها شفاهة غير أنه سرعان ما دعت الحاجة الى دراسة فن الملاحة كعلم قائم بذاته فالفت فيه كتب اتسمت بطابع الحيوية والتجربة دون فيها ربابنة السفن عصارة تجاربهم في كتب بسيطة ذات اسلوب بسيط ولكنها عامرة بالحقائق الصادقة ٠

واشهر من كتب في فن الملاحة على الاطلاق « احمد بن ماجد » النجدي الذي اشتهر باسم « اسد البحار » وقد عاش في القرن الخامس عشر الميلادي وترك في ذلك الفن مؤلفات قيمة منها « الفوائد في معرفة علم البحر والقواعد » ويشمل دروسا في تاريخ الملاحة وعلاقتها بالنجوم في الخليج العربي وبحر الهند والشواطىء العربية والافريقية ٠

ابن ماجد والثقافة البحرية

وقد ورث « ابن ماجد تلك الثقافة البحرية ، التي دعمها بتجاربه عن جده الربان « عمر بن فضل بن دويك النجدي » الذي ترك رسالة في اصول الملاحة في البحر الاحمر واوقفها لخدمة سفن الحج ، وأضاف اليها ابنه المزيد من تجاربه ٠

وابن ماجد هو ذلك الربان العربي الذي استعان به « فاسكودي جاما » في الابحار من الشاطىء الافريقي الى قاليقوت بالهند ، وأخذ منه فكرة الانتفاع بالرياح الموسمية في السفر الى الهند ، ثم قتله هناك ٠٠ وهكذا يكون الوفاء !!

وقد روى الرحالة الانكليزي « برتن ١٨٢١ - ١٨٩٠ » انه لقى بحارة في عدن يتلون الفاتحة قبل ابحارهم على روح ابن ماجد الشهيد !

ثم يشير المؤلف الى رحلات كثيرين من العرب في القرنين الاولين للهجرة الى سواحل أفريقية الشرقية والشمالية ووصول بعضهم في القرن الأول الهجري الى سواحل جزيرة مدغشقر جنوبا ، وتأسيسهم في شماليها مملكة عربية مازالت آثارها وقلاعها وبقايا شعوبها ماثلة الى الآن · ثم يقول : وقد أثبت أصحاب الخطط ـ وبينهم المقريزي ـ أن كل سواحل افريقية الشمالية والشرقية والجنوبية قد كشفها العرب بعد الفتح الاسلامي بزمن وجيز على عهد الخلفاء الامويين والعباسيين في إبان مجد العرب وسعة سلطانهم ثم توغلوا في مجاهل النيل والنيجر والكونغو ·

وكما اتصل العرب بافريقيا اتصلوا بآسيا برا وبحرا ·· ولاشك ان الملاحين العرب قد مهدوا الطريق امام الفتوحات الاسلامية في آسيا عامة وفي الهند خاصة ·

ولم يقف العرب عند حدود الهند بل تجاوزوها في اسفارهم الى بحر الصين ، والى الصين ذاتها ونزلوا في جزائر الهند الشرقية التي تعرف اليوم باسم « اندونيسيا » ·

أشهر الجغرافيين العرب

ظهر بين العرب عدد كبير من الجغرافيين من فلكيين ورحالة افادوا العالم بما ألفوه من الكتب في علم الفلك أو وصف لرحلاتهم وصفا جمعوا فيه ما شاهدوه خلالها مما يتصل بشتى ضروب المعرفة من تاريخ واجتماع وجغرافيا وغير ذلك ·

من الجغرافيين العرب الذين يذكر تراجمهم المؤلف : الخوارزمي ـ سليمان السيرافي ـ ابن خرداذبة ـ ابن فضلان ـ اليعقوبي ـ البلخي ـ البتاني ـ الاصطخري ـ المسعودي ـ البكري ـ ابن حوقل ـ المقدسي ـ الادريسي ـ ناصر خسرو ـ ابوحامد الغرناطي ـ ابن جبير ـ ياقوت الحموي ـ عبداللطيف البغدادي ـ القزويني ـ ابوالفدا ـ ابن بطوطة ـ ابن خلدون ·

وقد ظهر الخوارزمي « ابوجعفر محمد بن موسى » في عصر المأمون وكانت له مكانة سامية لديه فأحاطه بالرعاية ووكل اليه شؤون « دار الحكمة » التي انشأها في بغداد ٠

ويعتبر الخوارزمي واضع الاساس الاول لعلم الجغرافية العربي ، ذلك ان كتابة « صورة الأرض » الذي وضع في أواخر عهد المأمون - او في عهد خليفته المعتصم على ما يـراه بعض المستشرقـين - يعتبر من امهـات الكتب ويكفي ان نذكـر ما سجله عنـه المستشرق « نلليـنـو » الايطالي اذ يقول انه ما من أمة اوربية كان في مقدورها ان تنتج مثل هذا الكتاب في فجر نشاطها العلمي ٠٠

المسعودي ودوره

أمـا المسعودي « أبـو الحسن على بن الحســين » ويتصـل نسبـه بالصحابي الجليل عبدالله بن مسعود ٠٠ فقد نشأ في بغداد وهي مركز من مراكز العلم الكبرى ، ثم اقبل على العلم والتجول ٠ وجمع كثيرا من الحقائق الجغرافية والتاريخية ، ولذلك كانت شهرته كمؤرخ وجغرافي على السواء ٠٠

وقـد كتب المسعودي عشـرات من الكتب عما لقيـه من التجـارب والمشاهدات خلال رحلاته ولكن اكثرها ضاع ٠

اما اعظم كتبه التي وصلت الينا فهي اولا :

« مروج الذهب ومعادن الجوهر » الذي يعتبر من اجل المصنفـات العربية وقد تعرض فيه لعدة معلومات جغرافية كاستدارة الارض ٠٠ واحاطتها بغـلاف جوي وبحث طبيعـة العواصف في الخليـج العربي والجهات المجاورة وشرح ظاهرة المد والجزر ٠٠

وهذا عدا ما تناوله في الكتاب من عرضه لقصص الأنبياء باختصار ، وتاريخ الاسلام من أواخر عهد الخلفاء الراشـدين الى اوائل خـلافة المطيع لله العباسي ٠

وكتابه الثاني أيضا « التنبيه والاشراف » وقد تناول فيه الأفلاك وهيئاتها ، والنجوم وتأثيراتها والعناصر وتراكيبها ، وكيفية افعالها ، والبيان عن قسمة الازمنة وفصول السنة والريح ومهابها وأفعالها وتأثيراتها والأرض وشكلها وما قيل في مدار مساحتها ، وعامرها وغامرها ، والنواحي والآفاق وما يغلب عليها ٠٠ وقد توفى المسعودي في مصر سنة ٣٤٦هـ

ويعتبر المقدسي « ابوعبدالله محمد بن احمد » آخر الجغرافيين العرب الكبار ، وكتابه « احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم » كان نموذجا للكتاب العلمي المرتب المنظم ٠

وقد عاش المقدسي في القرن الرابع الهجري ٠

ومن اشهر الجغرافيين العرب ممن ترجم لهم المؤلف « ابوعبدالله محمد الادريسي » المتوفي سنة ٥٦٢هـ صاحب كتاب « نزهة المشتاق في اختراق الآفاق »٠

وكان هذا الكتاب المعول عليه في الدراسات الجغرافية في ذلك الوقت ولمدة طويلة فيما بعد ذلك لانه استعان فيه بما قام به من رحلات وبما وقف عليه ممن استحضرهم « روجر ملك النورمان الذي كان قد استدعى الادريسي اليه في صقلية وكان « روجر » هذا قد أمر بأن يفرغ له من الفضة الخالصة « كرة » عظيمة الجرم في وزن (٤٠٠) رطل ثم أمر بان ينقش عليها صورة الأقاليم السبعة ببلادها وأطوالها وأقطارها الخ ثم طلب الى الادريسي ان يؤلف له كتابا يصف فيه الكرة الأرضية الفضية فوضع له هذا الكتاب ٠

وللادريسي كتب جغرافية أخرى منها خلاصة لكتاب نزهة المشتاق وقد طبعت منه اجزاء في اماكن مختلفة على ايدي بعض المستشرقين كما ترجم الى بعض اللغات منها ترجمة باللاتينية والاسبانية وهذه العناية العظيمة التي بذلها العلماء في اوربا بكتاب الشريف الادريسي تدل دلالة

واضحة على عظمته وعلى انه من ادق المؤلفات واتقنها ، لذلك لم يكن غريبا ان يطلق على الادريسي « استرابون العرب » ·

ويتابع المؤلف تراجمه لباقي الاعلام من مشاهير الجغرافيين العرب من أمثال « ابي حامد الغرناطي » و« ابن جبير » و« ياقوت » و« البغدادي » و« ابي الفدا وابن بطوطة واخيرا : « ابن خلدون » الذي اشاد المؤلف بمقدمته « مقدمة ابن خلدون » وما جاء فيها من موضوعات وثيقة الصلة بالجغرافية البشرية والاجتماعية ·



مع ابن جبير .. في رحلته

الأستاذ عبد القدوس الأنصاري

لكتب الرحلات في أدبنا العربي ، قديمه وحديثه ، وفي الآداب العالمية جميعا مكان بارز ملحوظ ۰

ليس من ناحية « الكم » فحسب ۰۰ بل من ناحية أخرى ، أراها هي الأهم ۰۰ وهي أن كتب الرحلات تبدو في الغالب أكثر جاذبية ۰۰ ربما لأن الحديث فيها ذو طابع ذاتي ۰۰ يزجيه الرحالة المؤلف لقارئه أشبه بمناجاة بين صديقين متقاربين ، فالرحالة وهو يسرد وقائع رحلته وخاصة اذا كان يتمتع بأسلوب سهل جميل ، ويصدر في عباراته عن عفوية محببة لا تكلف فيها ، لا ريب في أنه في مثل هذا الموقف لا يمكن إلا أن يجذبنا إلى متابعته بكل شغف ، وبكل اهتمام ۰۰ وليس أكثر من هذا سبب يجعل من كتب الرحلات على اختلافها أهمية خاصة ، لا أقول تفضل بها سائر الكتب ۰۰ فليس هذا واردا ، وانما فقط يحيلها الى مائدة شهية لها مذاق خاص يتوق اليه معظم القارئين ۰

وواضح ان كتب الرحلات ، هي ـ كغيرها من الكتب أيضا ـ تختلف أهمية ومكانة واثرا ۰۰ فاذا كانت الشهرة والسيرورة ، هما في معظم الأحيان « مقياس » أهمية أي كتاب ، أمكن القول إن ما اشتهر وذاع من كتب الفها بعض الرحالة المسلمين ، على مر العصور وفي شرق وفي غرب ، ما كانت لتظفر بما ظفرت به من ذيوع وشهرة لولا ما تميزت به من أهمية ومكانة خاصتين سواء من ناحية ما حفلت به من معلومات زاخرة

في التاريخ أو الأدب أو وصف البلدان ٠٠ أو من ناحية دقة الوصف ، وسهولة العرض وجمال الأسلوب ٠

ولعل كتابي « رحلة ابن فضلان » و « رحلة ابن جبير » الأندلسي الكناني ، وهما الكتابان اللذان خصهما بالذكر من بين سائر كتب الرحلات القديمة : الاستاذ الباحث عبدالقدوس الأنصاري في كتابه هذا القيم ، هما خير مثالين ٠٠ جديرين بالتنويه ٠

أقول هذا وأنا بصدد الحديث عن هذا الكتاب ، أعني كتاب الاستاذ عبدالقدوس ، والذي خصه بالرحالة « محمد بن جبير » وكتاب رحلته ٠٠ حيث قدم لقراء العربية هذا الكتاب في عرض جيد ، وسياق لطيف مع ابداء ملاحظاته عليه ٠٠ ومن خلال ذلك أبان للقارئين ، أهمية هذا الكتاب الفريد في تاريخنا الثقافي والحضاري ، ثم أحقية الرحلة نفسها بين سائر الرحلات العالمية ، بما حظيت به من شهرة وذيوع ، ومن عناية واهتمام ٠

والواقع انه ليس من المبالغة اذا ما قيل عن كتاب رحلة ابن جبير ، أنه أهم كتاب رحلة في لغتنا العربية ظهر حتى الآن ٠

وقد لا يكون من حقي ، أو في امكاني أن أفيض في وصف هذا الكتاب ، بعد أن أغنانا المؤلف الفاضل عن كل ذلك ، أو بعد أن عبر لنا عن سر اعجابه بهذه الرحلة في كلمات قلائل حين قال :

« ٠٠٠ وإعجابي بهذه الرحلة « رحلة ابن جبير » نابع من حيوية أسلوبها ، وامتلاء أبعادها وأوصافها بروح الأدب العربي العالي مع حسن استيعاب المعلومات ، الى براعة التصوير والتمثيل والتشبيه ، وجودة الوصف وصدقه ، والتحري بقدر طاقة الرحالة عن حقائق الأمور المتحدث عنها ، فلا يؤثر عليه ـ غالبا ـ في هذا الجانب السرعة التي تلازم كتاب الرحلات ٠

ويضاف إلى ذلك تحقيق ابن جبير للظروف والتواريخ المتعلقة بالحوادث التي يذكرها أو يراها وامعانه للنظر في السياسات المتعارضة

في ذلك العصر الذي كتب فيه رحلته بحيث جلى لنا كثيرا من الأحوال الخفية والغامضة على « شاشة » كتابه ٠٠ ثم اتاحته الفرصة للمسلمين المعاصرين لرفع الأستار الكثيفة والخفيفة عن الأحداث وأسبابها الخفية التي تحرك مجتمعاتهم ذات اليمين وذات الشمال ، وتعريف بعضهم ببعض ، لتزول عنهم غشاوة الخوف والحذر بالنسبة لبعضهم ٠

ومن هذا التحليل الوجيز ، يقدمه لنا الاستاذ عبدالقدوس ، لكتاب رحلة ابن جبير وسر اعجابه به ٠٠ نفهم أن هذا الرحالة الشهير ، لم يكن في رحلاته « مجرد عابر سبيل » شأن اصحاب الرحلات الآخرين ٠٠ ممن دونوا الكثير من الكتب ، وانما كان « ابن جبير » رحالة من طراز آخر عجيب ٠٠ رحالة له « قضية » كما نقول في هذا العصر ٠٠ أو بعبارة أوضح ، لديه اهتمامات ترتبط بحياة المسلمين ، كثيرا ما تدعوه الى أن يتصل بهذا أو ذاك ممن لهم شأن ومقام ، هو اذن أشبه برجل سياسة محنك ، أو دبلوماسي « جواب آفاق » يتنقل من بلد الى بلد كي يسمع ويرى ، ويسجل ويصف ، دون أن ينسى أو يتناسى تقصيه لمجريات الأحداث العامة ٠٠ وحقائق السياسات المتعارضة ، ثم تثبيت انطباعاته عن كل ما يشهده ويراه ويلاحظه ٠٠ في كتاب رحلته لغرض حميد ، هو أن يصل هذا الذي يكتبه للناس ٠٠ إلى من يهمهم الأمر من حكام المسلمين ٠

وما أكثر ما كان يدور من أحداث ، ويحاك من خطط ، في عصر ابن جبير ، وقبله ، وبعده ، ضد الاسلام والمسلمين ٠

***

وقد كان من حسن صنيع المؤلف أن أضاف فصولا قيمة وممتعة في كتابه تحدث فيها بتفصيل واف ، عن تراجم ابن جبير في مختلف المصادر ، وعن مشايخه ومن أخذوا عنه ، ورحلاته في المشرق ورفقائه في

رحلته ، ثم مؤلفاته ودواوين شعره ، واستغرقت هذه الموضوعات الفصول الأربعة الأولى من كتابه ·

وفي الفصلين الخامس والسادس ، يتناول بالبحث خط سير الرحلة ·· ثم تحقيق نسبة كتاب الرحلة اليه ، وتحقيق اسم الكتاب ·

أما الفصل السابع فقد خصه بالحديث عن شعر ابن جبير ونثره ·· وفيه نقرأ الكثير من نماذج شعر ابن جبير ونثره · ونلمح في شعره جودة الشاعرية مع حرارة العاطفة الى جانب نفحات من الحكمة تتخلل بعض الأبيات ، ومن مختار شعره الذي أورده المؤلف قصيدته التي نظمها حين قدم المدينة زائرا وفيها يقول :

أقول - وانست بالليل نارا
لعل سراج الهدى قد أنارا
والا فما بال أفق الدجى
كأن سنا البرق فيه استطارا
ونحن من الليل في حندس
فما باله قد تجلى نهارا ؟
وهذا النسيم شذا المسك قد
أعير ، أم المسك منه استعارا ؟
وكانت رواحلنا تشتكي
وجاها ·· فقد سابقتنا ابتدارا
وكنا شكونا عناء السرى
فعدنا نبارى سراح المهارى
أظن النفوس قد استشعرت
بلوغ هوى تخذته شعارا
جرى ذكر « طيبة » ما بيننا
فلا قلب في الركب الا وطارا

ويعلق المؤلف على هذه الأبيات بقوله : « تقع هذه القصيدة في (٣٢)

بيتا ، ومن يقرأها يدرك علو نفس ابن جبير في الشعر العربي .

ومن شعر ابن جبير في الحكمة قوله :

عليك بكتمان المصائب واصطبر
عليها فما أبقى الزمان شفيقا
ويكفيك في الشكوى الى الناس أنها
تسر عدوا أو تسوء صديقا

ومن قوله في مدح صلاح الدين الأيوبي من قصيدة مطلعها :

أطلت على أفقك الزاهر
سعود من الفلك الدائر

ومنها :

رفعت مغارم أهل الحجاز
بانعامك الشامل الغامر
وأمنت أكناف تلك البلاد
فهان السبيل على العابر
وسحب أياديك فياضة
على وارد وعلى صادر
فكم لك في الشرق من حامد
وكم لك في الغرب من شاكر

وللسلطان صلاح الدين الذي قهر الصليبيين واسترد منهم بيت المقدس ، مناقب كثيرة شهد له بها أعداؤه قبل غيرهم وهي من مفاخر تاريخنا الاسلامي .

ومن لطيف شعر ابن جبير ، وحسن اقتباسه فيه : هذان البيتان :

أيها المستطيل بالبغي اقصر
ربما طأطأ الزمان رؤوسا
وتذكر قول الاله تعالى
« إن قارون كان من قوم موسى » !

واما نثر ابن جبير ، فحسبه كتاب رحلته وما اشتمل عليه من أسلوب محكم رصين ، وقد أورد المؤلف نماذج قصيرة أخرى من نثره يمكن أن يرجع اليها القارىء ·

***

ومع ابن جبير من بداية رحلته ، من غرناطة الى الاسكندرية ، يبدأ المؤلف حديثه عن رحلة ابن جبير ، منذ أن شرع في رحلته الأولى الى مكة في سنة ٥٩٨ هـ الموافق فبراير ١١٨٢م ·

ويقول المؤلف : « لقد حدد ابن جبير الساعات والأيام والشهور لهذه الرحلة مما يوحي أنه كان ممسكا « دفتر يوميات » كان يسجل فيه الأحداث أولا بأول ، وبانتظام ، ومما يجعلنا نقدر انه كان معه ساعة يأخذ منها توقيت وقوع تلك الأحداث ·· بالساعات في كثير من الأحيان ·

ويمضي في وصفه لوقائع هذه الرحلة في تحليل رائع لطيف ·

فمن حديث عن الاسكندرية ، كما شاهدها ابن جبير ، الى حديث عن عمرانها وآثارها ومساجدها ، وعمرانها المزدوج وحياتها الاجتماعية ·

***

ونمضي مع المؤلف في بحث لغوي وتاريخي ممتع عن الفندقة لغة ، في الفصل التاسع من الكتاب ·· ثم عن الفندقة في الحضارة الاسلامية ·· وذلك في سياق حديثه عن الفنادق التي نزل فيها ابن جبير ·

ثم يعود بنا في الفصل العاشر الى الحديث عن وصول ابن جبير ، من الاسكندرية الى مصر ، وما كان من عنايته بمشاهدة آثارها ومآثرها ، وما يتخلل وصفه لهذه المشاهد من فوائد وطرائف كعادة ابن جبير ·

وفي الفصلين الحادي عشر والثاني عشر ، يصف لنا المؤلف مسيرة ابن جبير من مصر الى قوص ثم من قوص الى جدة ، وما لقيه من متاعب ، وصادفه من صعاب أثناء مروره بعيذاب ، الميناء البحري القديم ، والقريب من ساحل جدة ·· وكانت عيذاب ـ كما يشير المؤلف ـ من أحفل مراسي الدنيا ·· وهي في صحراء لانبات فيها ، وكانت بها وظائف لاستيفاء المكوس ، التي رفعها صلاح الدين عن الحجاج ، الى أن يقول :

« ··· وفي بحيرة عيذاب مغاص للؤلؤ ، يستخرج منها أهلها اللؤلؤ ·· يقول عنه ابن جبير انه قريب القعر ليس بعيد ··

وبعد معاناة شديدة من بحر عيذاب ، يصل الرحالة ابن جبير الى مرسى « أبحر » عشية يوم الأحد الثاني من شهر ربيع الآخر سنة ٥٧٩ هـ ·

وفي الفصل الثالث عشر يعقد المؤلف بحثا لغويا حول « الجلبة والجلاب ـ والبجاة أو البجة ·· في رحلات ابن جبير ، وابن يوسف ، وابن خياط ·· وهو بحث موسوعي هام استغرق ما يقرب من عشرين صفحة من الكتاب ·

ثم يستعرض المؤلف في الفصل الرابع عشر ، انتقال ابن جبير من جدة الى مكة وما وصف به ماشاهده من آثارها ·· ومواسمها ، وخاصة حديثه عن المجتمع المكي ، في عبارات بالغة الدقة ينوه بها المؤلف في كل موضع ، ويستلفت نظرنا هنا حديث الرحالة عن الرخاء الاقتصادي في مكة ·· وفي هذا الصدد يقول المؤلف ·

« في سنة حج ابن جبير كان الرخاء الاقتصادي يسود أجواء مكة ، فالمتاجر الموسمية كانت تنتشر في موسم الحج آنذاك ، ويقول ابن جبير في ذلك الرخاء الشامل ما نصه :

« فكنا نظن أن الأندلس اختصت من ذلك بحظ له المزية على سائر حظوظ البلاد ، حتى حللنا بهذه البلاد المباركة فالفيناها تغص بالنعم

والفواكه كالتين والعنب والرمان ٠٠ إلى آخر ما أشار اليه ٠٠

ولا يفوت ابن جبير أن يشيد بصناعة الحلوى ، وصناعها المكيين ، ويطنب في وصفها ما شاء له بيانه ٠٠ ويعقب المؤلف على ذلك بقوله :

« ٠٠ هذه قصة صناعة الحلوى بمكة يقدمها لنا الرحالة الأديب محمد بن جبير على أطباق من در بيانه المتوهج ، فيعرفنا بذلك بما كان عليه الاسلاف من نشاط صناعي تفوقوا فيه من هذه الناحية على مصر وغيرها من الأقطار المجاورة ، والتاريخ يعيد نفسه ٠٠٠ » ٠

ويمضي المؤلف مع صاحبه ابن جبير في وصفه لمشاهداته في مكة ، ومنها احتفال أهل مكة بالعمرة الرجبية ٠٠ وقد أجاد في وصفه وصفا شيقا يغرى القارىء كما يذكر المؤلف ـ الى مطالعته في كتاب رحلته ٠

ويستلفت نظر ابن جبير ان النساء بمكة عين لطوافهن يوم خاص بهن دون الرجال ٠٠ فيجتمعن من كل صوب ، ولا تبقى امرأة بمكة الا حضرت المسجد الحرام ، ثم لا يبقى به ، بعد فتح البيت الحرام ، أحد من الرجال ذلك اليوم ٠

***

وفي فصول تالية متتابعة ، يواصل المؤلف صحبته للرحالة ابن جبير في سائر تنقلاته ومرئياته ، وما يبديه من ملاحظاته ، وأحاديثه عن شهوده للحج ٠٠ ثم سفره الى المدينة المنورة ، ومنها الى بغداد ، ثم الى دمشق ، وأخيرا الى صقلية حيث ينتهى به مطافه هناك ، قبل أوبته الى بلده « غرناطة » في يوم الخميس ٢٢ من المحرم سنة ٥٨٠ هـ الموافق ٢٥ أبريل سنة ١١٨٤م ٠

***

وفي أربعة الفصول الأخيرة من الحادي والعشرين الى الرابع والعشرين ، يتناول المؤلف الفاضل موضوعات أربعة بالتتابع ، الأول منها ما وصفه بمكامن الجمال في رحلة ابن جبير ٠٠ ثم مصطلحات ابن جبير ، ثم ترجمات كتاب رحلته وطبعاته ٠٠ وأخيرا : ملاحظاته

وانتقاداته على الرحلة ·· ومن هذه الملاحظات والانتقادات : سوقه للمبالغات الكثيرة في الأوصاف التي يضفيها على بعض الأفراد ، ومنها استرساله في استعمال الكلمات الدخيلة ـ يضاف الى ذلك استعماله لكلمات مهجورة تحتاج الى شرح وتفسير خاص ·· كما أن هناك الكثير من الملاحظات والنقد ، مما استطرد اليه المؤلف الأريب ، ومعظمها ـ في رأينا ـ ليس بأمر ذي بال ·· اذا ما نظرنا الى ميزات كتاب الرحلة ، على نحو ما مر ·· وما اتسم به من موضوعية وأصالة ، وما ازدان به من بيان رفيع ·

وبعد ·· فهذا هو رحالتنا « الباقعة » محمد بن جبير ·· وهذه هي رحلته الماتعة ·· أو هذه ـ على الأصح ـ رحلة الاستاذ الكبير عبدالقدوس الأنصاري مع صاحبه الرحالة الأثير ·· وما من شك في أنه قدم لنا كتاب رحلة ابن جبير ، في عرض وتحليل رائعين ·· وأضفى عليه من محكم بيانه ووصفه وتعليقه ـ ونقده أيضا ـ ما هو قمين أن يتيح قراءتها ـ في عصرنا هذا ـ في يسر ·· وخاصة بين جيلنا الصاعد الجديد ·



خصائص الأدب العربي في مواجهة
نظريات النقد الأدبي الحديث

الأستاذ أنور الجندي

أمام الغزو الثقافي الوافد كان لابد أيضا ـ بالنسبة لادبنا العربي ـ أن يكون من حديث الكتب ٠

فالادب وهو عنصر ثقافي اساسي ولغته لغة القرآن ، وهويته الاسلامية هي الجوهر لم يكن مناص من أن يغدو هو الآخر هدفا من أهداف هذا الغزو ٠٠ ان لم نقل أهمها جميعا !!

وليست قضية اللغة العربية وهي أشهر من أن تذكر في مجال كهذا ـ أعني ليست محاولة محوها واقصائها ، وابدالها باللغات العامية الكثيرة الموجودة في العالم العربي ٠٠ وليست محاولة الغاء الحرف العربي وابداله باللاتيني في الربع الأول من القرن ٠٠ نقول لم تكن هاتان المحاولتان وحدهما « العمل الرهيب » الذي حاوله الغزو ، ومازال ٠٠ برغم اخفاقه المريع !

نعم ، لقد نجح الغزو الثقافي ـ لسوء حظه نجح في أن يفشل فشله الذريع ٠٠ في معركته العنيفة مع اللغة العربية ومع الحرف العربي في العالم العربي !! وعلى العكس كانت معركته مثمرة في اكثر من مجال ٠٠

لقد أثمرت حركة التغريب فعلا في النواحي الفنية والنقدية في الادب العربي الحديث ،،

وكان للاستشراق ثم من بعده كوكبة من أدباء ونقاد أتيحت لهم شهرة ونفوذ ·· النصيب الأوفر في نجاح التغريب !

***

وفي هذا الكتاب الجديد يتناول مؤلفه الفاضل هذا الموضوع بأوفى تفصيل ومن الحق أن نقول : ان للأستاذ الجندي جهاده المتتابع في هذا المجال ·

فقد سبق له العديد من الكتب في موضوعات ، (التغريب) و(الغزو الثقافي) وغيرهما من محاولات الاستعمار الغربي من أجل السيطرة والاحتواء أو التذويب بالنسبة لكل ما هو إسلامي وعربي ! فلا غرو أن يجييء كتابه هذا شاملا مستوفيا لنقاط البحث في عرض منسق جميل ·

***

يتحدث المؤلف في أول ابواب كتابه عن خصائص الادب العربي وبيئته التي نشأ فيها ·· ثم الفكر الذي تشكل في اطاره ·· والأصول التي استمد منه وجوده ·· وأخيرا التحديات التي واجهته في مساره الطويل ··

يقول المؤلف ·· لا ريب أن خصائص الأدب العربي التي تميزه عن الآداب العالمية ، ترجع الى البيئة التي نشأ فيها والفكر الذي تشكل في إطاره والأصول التي استمد منها وجوده ·· والتحديات التي واجهته في مساره الطويل ·

ولا ريب أن أدب أي أمة ·· مرتبط دائما بلغتها ، فهو في المصطلح الفني أدب لغة ·· وهو بالنسبة للأمة العربية أدب اللغة العربية ··

وأدب أي أمة هو نتاج عواطفها ومشاعرها وعقولها ، وهو عصارة مزاجها النفسي ، وطابع روحها ، وهو في نفس الوقت مرتبط بهذه الأمة : أرضها ، وسمائها ، وقيمها وتقاليدها ، أحداثها ومجتمعها ·· فهو عصارة وجهة نظرها في الحياة ، مستمدة من داخلها ·

ومن هنا كان الاختلاف والتباين بين أدب أمة وأدب أمة أخرى ··

ومن هنا كان الأدب أدب أمة ٠٠ وأدب لغة ٠٠ لأنه يستمد وجوده من مشاعر هذه الامة وطوابعها الروحية والعقلية والنفسية ويستمد وجوده من اللغة التي تكتب بها ، ولكل لغة مفاهيمها وتاريخها ومعاني كلماتها وخصائصها الذاتية ٠

والأدب الأصيل عالمي بطبعه من حيث نزعته الانسانية لا من حيث انصهاره في نموذج واحد ٠٠ والطابع الانساني للأدب لا يخرجه عن ذاتيته كأدب امة خاصة ٠٠ ولا يبدو في غيره من الأدب ٠٠ تحت ما يسمى عالمية الأدب !

والأدب العربي أدب أمة عريقة وأدب لغة عريقة أيضا ٠٠ وهو أدب لم يتشكل في صورته الحقيقية إلا منذ ظهور الاسلام ، الذي جمع العرب في الجزيرة العربية فكان عاملا في تحويل القبائل العربية الى « أمة تامة »٠٠ وبذلك يمكن القول بأن الأدب العربي قد تشكل في صورته الحقيقية بالاسلام ٠٠ ولا يمنع هذا من وجود ديوان الشعر القديم وما يتصل به من أسجاع الكهان وهي في مجموعها لا تشكل صورة الأدب بمفهومه الفني ٠٠ ولا بمعالمه الأصلية التي وضحت بعد نزول القرآن الذي كان هو العامل الأعظم في بناء الأدب ٠٠ وظهور فنونه وعلومه ومناهجه ٠٠ واللغة العربية سابقة على الاسلام ٠٠ وهي عماد وجود الأمة العربية ٠٠ وهي لغة تطورت ونمت خلال مئات السنين حتى وصلت الى صورتها التي عرفت بها قبيل الاسلام ٠٠ وان ظلت لهجاتها المختلفة المتعددة ٠٠ فلما نزل القرآن ٠٠ انصهرت اللغة العربية في لهجة واحدة ثم كان أن اعطاها القرآن كما اعطى الادب العربي ـ هذا البيان المعجز الفائق الذي فهمه العرب واعجبوا به ٠٠ وعجزوا ـ في نفس الوقت ـ عن الاتيان بمثله ٠٠

اذن يمكن القول بأن ادب أي امة انما يشكله ضمير الأمة + القيم الفكرية + الروحية التي تعتنقها + جوهر اللغة ٠٠

ثم يقول ٠٠

كل هذه العوامل اعطت أدب اللغة العربية (ذاتية خاصة) وطبعته على نحو خاص يختلف به عن آداب الأمم الأخرى فظهرت فنون لم توجد في الآداب الأخرى واختفت فنون وجدت في الآداب الاخرى وظهور هذه الفنون فيه ، واختفاء تلك الاخرى منه لا ينقص من قدره ، مادام يصدر عن أعماق روحه الطبيعية ، ومقوماته الخاصة ٠

إن مذاهب الآداب التي يحاول النقاد محاكمة الأدب العربي عليها ، هي في جملتها مذاهب غربية وضعت مسمياتها ومناهجها بعد قيام ظواهرها في الآداب الاوروبية ٠٠

وهي في الحق ليست مذاهب ٠٠ وانما هي أسماء عصور : كالكلاسيكية والرومانتيكية ٠٠ وغيرهما وهي تتصل في مجموعها بتاريخ الأمم التي وضعت هذه المذاهب ٠٠ فلماذا تنقل لتكون قوانين يخضع لها ادبنا ٠٠ الذي يختلف من حيث تكوينه وطابعه وتاريخه وبيئته ومظاهر حياته عن هذا الآداب ؟!

***

وعلى هذا النحو يمضي المؤلف في سائر أبواب الكتاب الخمسة ، متحدثا في الباب الثاني منها عن مذاهب تاريخ الأدب ومذاهب النقد الأدبي ٠٠ ثم عن فساد نظريات النقد الأدبي الوافدة ٠٠ وغيرذلك، وعن إحياء الأدب العربي في الباب الثالث وفي الباب الرابع يتحدث عن أثر الاداب الغربية في الأدب العربي ٠٠وفي الباب الخامس والأخير يتحدث إلينا عن مناهج الأدب العربي بين التبعية والاصالة وكل باب من أبواب الكتاب يشتمل على فصول عدة ٠٠ يختص كل فصل منها بموضوع ، وأكثر هذه الأبواب فصولا الباب التاسع وهو في تسعة فصول تحدث فيها عن أثر الآداب الغربية في الادبالعربي وفي هذا العرض نكتفي بالحديث عن : « أثر الاستشراق فيالأدب العربي ٠٠ ثم عن الترجمة من الاداب الغربية وفيه يشير الى القصة الغربية وما تهدف اليه ٠٠ واخيرا نذكر لمحات من حديث المؤلف عن الأدب المهجري ٠٠

ومعذرة ان طال هذا العرض ـ على ما فيه من اختصار واقتصار ـ لكتاب صفحاته اكثر من ٤٠٠

أثر الاستشراق في الأدب العربي

للاستشراق في الأدب العربي اثران واضحان :

الأثر الاول : هو توجيه الدارسين العرب والمسلمين في معاهد الغرب الى اتخاذ مناهج الأدب الغربي اساسا للبحث والتماس أسلوب النقد من نظريات الأدب الاوروبي ·· كذلك التماس اسلوب التاريخ والبحث جميعا ·· وهذا هو ما ظهرت نتائجه في وضوح مما قام بتطبيقه احمد ضيف ، وطه حسين ، ممن درسوا في فرنسا او عبدالرحمن شكري ممن درسوا في انجلترا ·· اوما اخذه من اتصل بالمستشرقين خارج المعاهد كأمين الخولي ·· او من نقلوا هذه المذاهب من غيرهم كالمازني والعقاد ··

ومن الأدب الفرنسي نقلت أساليب (سانت بيف) و(برونتير) و(تين) ومن الادب الانجليزي نقلت اساليب (هازلت) و(ماكولي) ·

وهي آراء خضعت في أصولها الى نظريات التطور لـ « اروف » والتحليل النفسي لـ « فرويد » والتفسير المادي للتاريخ لـ « ماركس » والعلوم الاجتماعية لدوركايم و« ليفي بريل » ·

الأثر الثاني ·· هو اثار المستشرقين انفسهم ونظرياتهم في الأدب العربي ، التي جاءت نتيجة دراساتهم له من أمثال «مرجليوت» و«جب» و«بروكلمان» و«بلاشير» و«جان بيرك»ويتصل بها ما كتبه العرب من الذين درسوا في معاهد الغرب من رسائل واطروحات خضعوا فيها لمناهج اساتذتهم ، أو تأثروا فيها بمفاهيمهم ·

***

وفي اغلب ابحاث من اشتغلوا بالأدب ـ وايضا بالتاريخ ـ تجد تبعيتهم للمستشرقين واضحة ·· وخضوعهم ليس لمناهجهم في البحث وحدها ·· بل حتى لآرائهم ··

ويعد المستشرق « مرجليوت » اليهودي الدين ·· الانجليزي الاصل ·· أول من أثار الشك في الشعر الجاهلي ، وقال انه منحول ·· وقد سار طه حسين على نفس الطريق ·· وكان « مرجليوت » قد نشر بحثين في هذا الموضوع في الجمعية الملكية الاسيوية احدهما عام ١٩١٦ والآخر في يوليو ١٩٢٥ ـ اي قبل صدور كتاب طه حسين الذي صدر عام ١٩٢٦ ـ وقد رجح مرجليوت في بحثيه ان هذا الشعر الذي يقرأ على انه شعر جاهلي انما نظم في العصور الاسلامية ثم نحله هؤلاء الوضاعون المزيفون لشعراء جاهليين ·· ويقول الدكتر ناصر الاسد في اطروحته عن مصادر الشعر الجاهلي أن الدكتور طه حسين استقى اكثر مادته حيث يستشهد ويتمثل بالاخبار والروايات من العرب القدماء وسلك سبيل مرجليوت في الاستنباط والاستنتاج ·· وتعميم الحكم الفردي الخاص واعتباره قاعدة عامة ··

كذلك في كتاب بروكلمان المشهور الذائع الصيت بكتابه (تاريخ الادب العربي) نجد هذا المستشرق يقف من الرسول (ص) ومن الاسلام موقفا شائنا يقوم على إنكار الرسالة وإنكار القرآن ومثله في هذا جميع المستشرقين قاطبة ·· ودون استثناء ·· وهم درجات في الأنكار ، وفي الاشارة إليه ، ومن أشدهم جرأة في هذا «**نولدكه**» و« بروكلمان » ·

***

ويمكن أن يعد كتاب (هاملتون جب) عن الأدب العربي الذي أصدره عام ١٩٣٦ نموذجا صحيحا لكل ما ردده المستشرقون الذين اشتغلوا بدراسات الأدب العربي ·

ففي هذا الكتاب يقسم (جب) العصور تقسيما جديدا ··

أولا : لا يصف عصر ما قبل الاسلام بمثل ما يصفه به المسلمون : العصر الجاهلي ·

ولكنه يصفه بأنه « العصر البطولي » وذلك جريا وراء النظرية

المكذوبة ·· في القول بأن العرب كانوا قد استعدوا للنهضة قبل الاسلام ·· ولم يكن عمل محمد (ص) إلا أن قادهم للنهضة ·· وقد أشار (جب) الى أن المستشرقين وفي مقدمتهم (نيكلسون) رفضوا (مصطلح العصر الجاهلي) وهذا الرفض مبني على انكارهم فكرة الجاهلية الضالة ·· عابدة الوثن والصنم ·· والتي قامت على قتل المؤودة والظلم والشرك ··

أما عصر صدر الاسلام فيطلق عليه عبارة عصر التوسع ·· ارتباطا بفكرته عن (بطولة الجاهلية)·

ثانيا : اعتبار القرآن الكريم من كلام محمد صلى الله عليه وسلم ·· وهذه ظاهرة يشترك فيها (بروكلمان) و(نيكلسون) وغيرهم والمستشرقون لا يقبلون ولا يريدون لاتباعهم أن يقبلوا الحقيقة الاسلامية · التي تقوم على أساس أن القرآن وحي من عند الله ··

ثالثا : يركز (جب) على أثر الثقافة اليونانية على الأدب العربي ·· ويرجع اليها كل ما في الأدب العربي من تقدم ·· ويرد لها تأثرات النحو والبلاغة والبيان ·· ويرى أن النثر الفني العربي فارسي الأصل ·· ويعتبر الفلسفة الاسلامية فلسفة يونانية المصدر متابعا في هذا « رينان » وغيره ··

ويستند الى هذا التفاعل في تقدير الخطوة الكبرى التي خطاها الشعر في عصره الذهبي ·· وهذا العصر الذهبي هو عصر أبي نواس وبشار وغيرهما ممن أولاهم عنايته التامة الدكتور طه حسين ··

كذلك فهو يركز على المأمون وأثره في ترجمة الفلسفات اليونانية والفارسية ويقف وقفة خاصة عند ابي نواس وبشار وهو اهتمام جميع المستشرقين ·· وكذلك الاهتمام بالحلاج ·· وابن عربي وغيرهما من الخارجين على مفهوم التوحيد والمتأثرين بالفلسفات اليونانية والمسيحية في وحدة الوجود ··

رابعا ٠٠ التركيز على أن الذين رفعـوا لواء الفن والفكر في العصر العباسي كانوا من أصل أعجمي وهي المحاولة المعروفة في رد نتائج الفكر الاسلامي الى العناصر والدماء بينما الحقيقة أن الفكر الاسـلامي قد تكون في إطار العقيدة والفكر والثقافة الاسلامية ٠٠ وكتبه أصحـابه باللغة العربية ولم تكن تأثراتهم عنصرية مرتبطة باجناسهم أو أعرافهم القومية ٠

خامسا : العناية بالمعتزلة ٠٠ وشرحها شرحا مستفيضـا وذلك على أساس الاعتبار بأن الاعتزال مصدره يوناني تماما ٠٠

سادسا : الاهتمام بانتصار البويهيين والباطنية ، ويرى أن ذلك كله هو نتيجة « الخميرة الهيلينية » ٠٠

وهكذا يرد (جب) والمستشرقون كل ما يـرونه من المنجـزات الى التأثير الأجنبي واليوناني أصلا ٠٠ وليس الى الاسلام نفسه ٠٠ وهناك الاشادة الدائمة بتلاميذ الثقافة اليونانية في كل ميدان ٠

وأيضا : الاساءة الى العصر العثمـاني ، ورد كل عـوامل الضعف والتخلف الى الخلافة الاسلامية والجامعة الاسـلامية والامبـراطورية العثمانية ، ورد النهضة كلها الى الحملة الفـرنسية والارسـاليات ٠٠ وهذا كله زائف ومضلل وليس صحيحا على اطلاقه ٠٠

***

ويمضي المؤلف في حديثه الى أن يقول أما « بلاشير » في كتابـه عن المتنبي الذي أصدره عام ١٩٢٨ فانه يحمل على هذا الشاعر حملات عنيفة ٠٠ ويهاجم كل من كتب عنه في العصر الحديث ٠٠ وقد جرت كل محاولات (بلاشير) و(ماسينيون) و(فون كريمر) و(دي ساسي) من منطلق الحقد على مكانة هذا الشاعر عنـد العرب ، وعنـد الأدباء المعاصرين ٠٠ اذ يعتبره العرب ابين منطقا عن الشخصية ، وأشدهم اعتزازا بها ٠٠ وتقديرا لها ٠٠ وسعيا لانهاضها على حد تعبير محمود محمد شاكر ٠

وما تزال طلائع الاستشراق تحاول ان تحفر في الأدب العربي مجرى زائفا تعلي به بعض التابعين والمرورين من ادباء الرفض والحاقدين على العرب والاسلام وقد جمعهم « جان بيرك » في كتابه (مختارات من الأدب العربي) الذي أصدره عام ١٩٦٤ حين تجاهل عمدا كل أصحاب الأصالة والنتاج المتحرر من شبهات التغريب وتبعية الانحراف نحو مناهج الاستشراق والتغريب ، وهو في كتابه يجري مع منطق (جب) و« نيكلسون » وغيرهما فيعلي شأن ما وصف بأنه النهضة التي قامت بها الارساليات في بيروت ويتجاهل ما سبقها من اصول اليقظة الحقيقية برجالها ودعواتها ··

ويركز ـ كعادة الاستشراق ـ على البستاني ، واليازجي ، وجرجي زيدان والذين أوفدتهم الارساليات ·· ثم ينتقل الى جيل المهجر « جبران » و(نعيمة) ثم يصل الى (طه حسين) الذي وصفه بأنه قام بدور البطل ·· وحمل لواء النزعة العقلية في أدب البحر المتوسط ·

ولم تكن رؤية جاك بيريك صادقة

ومن الحق أن نقول : أن رؤيا « جاك بيرك » لم تكن صادقة ، وأن الايام القليلة التي أعقبت كتابه ورؤياه كشفت عن زيف ما ذهب اليه ، وأنها كانت مضللة لم تصل الى الأبعاد الحقيقية ·· أو أنها كانت مغرضة متعصبة ·· تقصد الى ما تريد من تزييف الواقع ·· وتفرض على الأدب مجموعة من (الشعوبيين) ليسوا أهلا لتلك المكانة التي حاول أن يضفيها عليهم ·· وقد سقطت هذه الواجهة بمجرد أن تغيرت الظروف ··

لقد كشف (جاك بيرك) عن الهوى وضيق النظرة ، حين ترك مجرى النهر ، وذهب مع الروافد التي ماتت ··

***

ويرد كثير من الباحثين قصور المستشرقين ـ في الفهم العام ـ بصرف النظر عن وجهة النظر الغربية المفروضة الى اختلاف المزاج النفسي

والثقافي ٠٠ واختلاف البيئة وجذور الثقافة والتباين الواضح بين طبيعة العربي ٠٠ وطبيعة الغربي ٠٠ وبين الأصول الاسلامية للتوحيد ٠٠ والأصول الاوروبية للوثنية اليونانية ٠٠ والمسيحية الغربية ٠٠ يضاف الى ذلك الغاية والهوى !!

الترجمة من الآداب الغربية

عني الأدب العربي الحديث بأمرين : أحدهما احياء الأدب العربي القديم ، والثاني : الترجمة من الآداب الاوروبية وغير العربية بصفة عامة ٠

وفي كلا الامرين تدخل منهج النقد الغربي الوافد ٠٠ وسيطر ٠٠ وحال دون الانطلاق الصحيح والاتجاه الأصيل الى الهدف بما يحقق اغناء الأدب العربي الحديث وربطه بجذوره ٠٠ واستخلاص اجود ما في الآداب الأجنبية وفق قاعدة التلقي والتقبل والافصاح التي عرفها الأدب العربي ٠٠ والفكر الاسلامي منذ قرون ٠٠ دون أن يكون ذلك عاملا على هدم شخصيته او تذويب وجوده أو صهره في بوتقة آداب أخرى ٠٠

وكان قوام الترجمة والاقتباس ، في مفهوم الأدب العربي دوما : الحفاظ على ذاتيته أساسا ، واستمداده من جوهره وضميره ٠٠ وفق مزاجه الاجتماعي ٠٠ وذوقه النفسي ٠٠ دون التفريط في قيمه الأساسية ٠٠ والمستمدة من الاسلام والقرآن ٠٠ والقائمة على التوحيد والعدل الاجتماعي ، والأخلاقية التي هي القاسم المشترك الأعظم ٠٠ على مفاهيمه وقيمه ٠٠ وكذلك في ظل القاعدة الأصيلة له ٠٠ وهي التكامل والوسطية ٠٠ ومن الحق أن يقال أن حركة الاحياء قد اصابها الاضطراب نتيجة فرض منهج النقد الغربي عليها ٠٠

وهو منهج قد انبثق من الأدب الغربي نفسه ٠٠ واستمد مقوماته من الذاتية الغربية ٠٠ بكل مقوماتها ومزاجها وطبيعتها ٠٠ وارتبط بالمذاهب المادية الحديثة من آثار دارون وفرويد وتين ٠٠ وديكارت ٠٠

ودور كايم ·· وهي في مجموعها لا تمثل النفس العربية ولا تستوعب الذاتية العربية ·· بل تبدو غريبة عنها كل الغرابة متباينة معها كل التباين ·· من حيث ان النفس العربية قد أقامت الأدب العربي وفق قيم يترابط فيها الروح والجسد والمادة ·· والدنيا والآخرة ·· وقوامها نظرة وسطية متكاملة ·· تصدر عن طبيعة مشرقة واضحة ، تطلع فيها الشمس باهرة للضوء ·· ومن نفس عربية عرفت بالصراحة والوضوح ·· والايمان بالله !

***

وفي المجال الثاني مجال الترجمة من الآداب الاجنبية فقد سارت الحركة في اول امرها على نحو طبيعي ، التمس مفهوم الترجمة الأصيل ·· وهو الاضافة البناءة للآداب والثقافات بما تحتاج اليه هذه الثقافة أو ما يتفق مع روح هذه الآداب ·· غير أن النفوذ الاستعماري الوافد ومعه مؤسسات التبشير ·· ومدارس الارساليات ومطابعها ، قد سارع فقذف الأدب العربي بقدر ضخم من المترجمات الهزيلة الاسلوب ·· الفاسدة المضمون ·· التي أغرقت القارئين بقيم ومفاهيم لا تقدم ايجابيات المجتمعات الغربية ، بل ترسم أسوأ مظاهرها وأخس جوانبها ·· فيما يتصل بالفسق والفاحشة والاثم ·· على نحو يحسن هذه المعاني ·· ويرسمها كأنما هي أمور طبيعية بسيطة ·· ليست محرمة ·· ولا هي انحراف في هذه المجتمعات نفسها ·· ولم يقف انحراف الترجمة عند القصة وحدها ·· بل امتد الانحراف الى مختلف فنون الترجمات من الأدب والشعر والعلوم والمباحث النفسية والاجتماعية والفلسفة ·· فقد قدمت هذه المترجمات مذاهب وآراء وعقائد مختلفة مضطربة متباينة فيها القديم الذي تحول عند أصحابه ·· ومنها الجديد الذي ما زال لم يتضح بعد ·· ومنها ما يتصل بالبيئات الغربية ·· وما يتصل بالالحاد والاباحة والشك والمادية ·· وقليل منها ما يحمل الطابع الانساني ·· ولم تكن هذه

الترجمات قائمة على الاختيار الصحيح ٠٠ ولم يكن من ورائها ضمير يؤمن بالامة العربية وفكرها وقيمها في الأغلب ٠٠ « وإنما كانت الترجمة في الأغلب تستهدف إغراق الفكر الاسلامي والأدب العربي في ذلك الزكام المتباين المتضارب ٠٠»

***

وإذا قيس ما ترجم الى ما لم يترجم اتضحت أمور كثيرة منها :

١ ـ ان ما ترجم هو الجانب الحسي المتصل بالاذواق والأخلاق ٠٠ وهذا جانب خاص بكل أمة ٠٠ وليس جانبا عاما ٠٠ ولسنا اليه في حاجة ٠٠

٢ ـ ان ما اهمل كان هو الجانب الذي تتطلع اليه الأمم ، وهو جانب العلوم والتكنولوجيا والثقافات الخاصة بالفلك والهندسة والطب والصناعة ٠

٣ ـ ان ما ترجم من الفلسفات والمذاهب الاجتماعية والاقتصادية والنفسية ٠٠ لم يعرض على أنه نظريات وفروض قابلة للنقض والنقد أو أنها نظرية عصر وبيئة قابلة للتحول والتغير ٠٠ وأنها تصلح لأمة دون أمة ٠٠ وبيئة دون اخرى ٠٠ بل عرضت على أنها (علوم) قيلت فيها الكلمة الاخيرة ٠٠ واخذها الذين قرأوها مترجمة على انها (اصول) مقررة ٠٠ وقد حدث ذلك بالنسبة لمذهب فرويد في علم النفس ومذهب ماركس في الاقتصاد ٠٠ ومذهب دوركايم في الاجتماع ٠٠ ومذهب دارون في العلوم الطبيعية ٠٠ ومذهب سارتر في الوجودية ٠٠ ومذهب ديوي في التربية !!

أما الصورة التي حرص (التغريب) و(الغزو الثقافي) على إقامتها فهو أن يفترض أساسا أنه لا وجود لفكر الأمة العربية وأن هذه الامة تبدأ من نقطة الصفر ٠٠ بأن تتلقى الفكر الغربي في مختلف جوانبه النفسية والاجتماعية ٠٠ وفي مجالات السياسة والتربية والقانون ٠٠ دون اعتبار لقيم الفكر الاسلامي العربي الاساسي ومن هنا كانت خطورة الترجمة في هذه المجالات ٠٠ وهي أشد وأقسى من خطورة

التـرجمـة في مجـال القصـة التي استهـدفت الجـانب الاخـلاقي والاجتماعي ··

ان المترجمين الى الادب العربي ، لم يعنوا بمـا تحتاج إليـه الأمة العربية ·· ولا ما يتفق مع كيانها وذوقها ·· ولم ينصحوها ـ والمترجم مؤتمن ـ بأن هـذا الذي ترجمـوه ليس إلا نظريـات عرضـة للصحة والخطأ ·· صالحة لبعض البيئات وغير صالحـة لغيرهـا ·· متصلة ببعض العصور ، ومنفصلة عن بعضها الآخر ··

ترجمة القصة

بدأت حركة الترجمة في الأدب العربي من نقطة بناءة ، حين حمل لواءها « رفاعة رافع الطهطاوي ،» ومدرسة الألسن في الثلاثينات من القرن التاسع عشر ، وكانت هذه النهضة ايجابية الهدف ·· ارتبطت إلى حد كبير بالمدرسة والعلوم والفنون والثقافة والقانون ·· واستطاعت أن تحقق عملا ضخما · وتؤدي الى نتائج بعيدة المدى ·

غير أن هذا الأتجاه لم يلبث أن تحول ناحية الأدب والقصص تحت تأثير حركة الغزو الثقافي المبكرة في أواخر عصر إسماعيل ··

فقد قذفت هذه المرحلة الأدب العـربي بركـام ضخم من القصص الفرنسية الخليعة ·· وكان أن انحدرت الى مجال المجتمع والثقافة من خلال ذلك موجة هائلة من القيم والمفاهيم الجديدة التي كانت غريبة على المجتمع وثقافته وعقائده ·· ومتعارضة مع أدبه وأخلاقياته المستـمدة من الفكر الاسلامي ، والتـراث العربي الاسـلامي ·· ولم تكن هذه الموجة الا مرحلة مدروسة من مراحل التبشير والغزو الثقافي ·· الذي بدأ من خلال حركة المرسلين الفرنسيين والامريكيـين ·· التي قدمت بيروت ·· وانطلقت تمد يدهـا الى الأدب العربي كله ·· واعتمـدت أساسا على أمرين : إعادة طبع « ألف ليلة وليلة !» وترجمة (رباعيات الخيام) وترجمة وتعريب وتحضير مئات من القصص الفرنسي ، وقد قدم هذه القصص في أسلوب رديء ·· وفي طباعة رخيصة

وكان سوء اختيار القصص ، والتركيز على الأدب الفرنسي وحده في هذه الفترة سببا في ظهور حصيلة ضخمة من هذه القصص التي فتحت له الصحف اليومية طريقه الى النشر ·· كما صدرت منه سلاسل متعددة متخصصة في القصص والروايات ·· وكان (طانيوس عبده) و(نقولا رزق الله) أكثر هؤلاء المترجمين إسرافا في الترجمة فقد ترجم طانيوس عبده وحده ستمائة قصة وكتاب ما بين أقاصيص وقصص وروايات ودواوين شعر ·

وقد عنوا جميعا بنقل القصص التافهة وكانت الترجمة بالنسبة لهم كسب عيش وليس عملا فنيا ، مع جهل أغلبهم بقواعد اللغة العربية ·· وضعفهم في اللغة الفرنسية ··

وقد امتدت هذه المدرسة ، واتسع نطاقها حتى لفتت أنظار الباحثين الأجانب فقال (مرجليوت) إن أكثر ما ترجم الى العربية من تأليف أهل الغرب إنما هو روايات مقصدها اللهو دون المنفعة وقل ما يوجد في أعمدتها من أسماء كتب جديدة موضوعها التاريخ أو الفلسفة أو فن من الفنون !

وقد لقيت هذه القصص نقدا عنيفا من النقاد في مقدمتهم الأستاذ المازني والدكتور الغمراوي ··

ولقد كان هذا الانحراف في الترجمة دافعا الى وقوع الأدب العربي تحت سيطرة الاستعمار والنفوذ الثقافي لفرنسا وبريطانيا ·· ولعل هذا هو السر في تحول الترجمة عن اهدافها الاساسية الى التسلية ، وإرضاء رغبات القراء ··

القصة الغربية

أحصى الأستاذ يوسف أسعد داغر ، عشرة آلاف قصة أجنبية ·· ترجمت الى الأدب العربي منذ بدأت الترجمة حتى أوائل الحرب العالمية الثانية ·· وهذا القصص المترجم كان يصدر في بيروت والقاهرة ··

وكان متزايدا باطراد ·· حتى لقد لمعت بعض أسماء المعـربين وقـد أبرزت حصيلة الترجمة ثلاثة آثار واضحة :

١ ـ إفساد اللغة

٢ ـ نشر العامية

٣ ـ نقل الاباحيات

وقد نقلت هذه القصص باسم التعريب أو باسم التمصير ··

وعرف التعريب بأنه نقل كما هو ·· مع وضعه في إطار عربي وكان للتمثيل اثره السيىء في نقل هذه المسرحيات الى اللغة العامية ··

وساهم كبار الكتاب في هذا المجال ، فدعمـوا بعض الانحرافـات ، واهتم الدكتور طه حسين بترجمة القصص الاباحية ·· وقد سجل عليه ذلك ابراهيم المازني حين قال ·· اقرأ للاستاذ قصصه التي ترجمها هل كان همه نقل الفصاحة الأفرنجية الى قراء اللغة العربيـة ·· أو نقل الصورة الفاضلة في ثيابها المصونة ·· إنما كان همه : مدح الخيانة ·· والاعتذار للخونة ، وتصوير الخلاعة والمجون في صورة جذابة ليقضي بهذه الترجمة حق الاباحة لا حق اللغة ·· ولا حق الفضيلة ·

هدف القصة في الغرب

يرى كثير من الكتاب أن هدف القصة في الغرب هو إعطاء الشعوب (جرعة) من الخيال ·· للتعويض عن الواقع ·· فحيث يعيش الناس في المنـاطق الباردة ·· بـين الغيـوم والظلام والآلام ، وبـين الجبـال الشـاهقة ، والشمس الغـائمـة يحتـاج النـاس الى (مخـدر !) والى (غيبوبة) وأن القصة الخرافية الوثنية المستمدة من الأسطورة ·· هي اللذة الكاذبة التي تعطي الوهم بدلا من إعطاء الحقيقة ·· أمـا العربي فانه يعيش في جو مختلف ، ساطع ، مضيىء ، باهر ، بعيد عن الظلام ، والوحوش والأرواح الشريرة ·

ولا يعرف الأدب العربي مثل الخلاعة والترف والرهبانية التي نجدها مثلا في قصة (تابيس) وحين توضع أمثال هذه القصص في ضوء ذاتية

الأدب العربي ·· وقيم العقل العربي ·· ومقاييس الفكـر الاسلامي فانها تنهار ، وتسقط ·· ولا يقر الأدب العربي بقيمـه الاسلاميـة ما يجري عليه مؤلف (تابيس) « أناتول فرانس » في اشادته بالغرائز ، والابيقورية ·· وإسرافه في اللاادريـة ، ولا يقر قـوله : (ولجسد ان يستسلم للشهوات ·· وتبقى النفس طاهرة !!) فضلا عن لذة الشك وصورة العهر ، ومخاطبة الغـريزة ·· والوثنيـة ممتزجـة بالمسيحيـة الغربية ··

ولا يقر الأدب العربي رجلا مثل جان فالجان يسرق رغيفا ليعيش ·· ويعجب كيف يحدث هذا في أوروبا ·· وهو من المستحيل أن يحدث في أمة عنوانها في الجاهلية حاتم الطائىء ·· وأبسط عطائها في الاسلام : الزكاة ··

وصورة طفل (دافيد كوبر فيلد) التي تصور الطفل ينتقل بين قسوة زوج امه ، وقسوة الناس ، وقسوة اللصوص الذين سرقـوا ملابســه ونقوده ·· هي صورة غريبة عن مجتمعنا وأدبنا ··

وليس العيب في هذه القصص أنها تصور مجتمعها ·· ولكن العيب يكمن في ترجمتها والاهتمام بنشرها في محيط لا يتقبلها ولا يهضمها ·· ولقد اهتم أصحاب مذهب النقد الغربي بترجمة هذه القصص ، وإغراق الأسواق بها حرصا عـلى نقل مفـاهيمها وقيمهـا ، ومثلها الى البيئـة العربية ، وتطعيم الأدب العربي بها ·· بينما هي مما تنفر منه النفس العربية ·· والذوق العربي ··

ولقد حرص بعض دعاة التغريب الى ترجمة « اعترافات فتى العصر » لدى موسيه ، وهي قصة منصبة على إحياء الايمان المسيحي في نفوس شباب أوروبا ودعوتهم الى التشبث بفلسفتها ··· وتتلخص فلسفة دي موسيه في عدة أسس ، ليس واحد منها متفقا مع ذاتية الأدب العربي ، أو مفاهيم الفكر الاسلامي ··

* يقول : ليس لعرض المرأة قيمة مادية ولا معنوية بالنسبة للمجتمع !

* ويقول : إذا شعر المدمن بدوار الخمر ، فليملأ كأسه ثانية !
* ويقول : لكي يكون الرجل مؤمنا فليساعد المخطئين بالخطأ !
* ويقول : خير طريق للتخلص من الالحاد أن يزداد المرء إلحادا !

وإذا كان (موسيه) يقول هذا لشباب فرنسا في تلك الفترة التي نشر فيها قصته متصورا أنه دواء ناجع لداء العصر ٠٠ فان هذا لا يحقق شيئا للمجتمع العربي اليوم ٠٠ وإنما يقف وراء مثل ترجمة هذه القصص دعاة التبشير ، والغزو الثقافي ، والنفوذ الأجنبي ٠٠

الأدب المهجري

مقياس أصالة أي لون من ألوان الأدب ، هو اقترابه من مقومات الأمة وقيمها ، واتصاله بذاتيتها ومزاجها النفسي ٠٠ فما موقف الأدب المهجري من هذه القاعدة ؟ هل هو لون أصيل يمثل النفس العربية ، ويصدر عنها ويعبر عن مشاعرها ، ويلتمس خلفيته من قيمها وجوهرها ؟

الواقع أن أدباء المهجر الثلاثة الكبار : جبران خليل جبران ، وميخائيل نعيمة ، وأمين الريحاني ، هم القادرون على الاجابة عن هذا السؤال ٠

لقد إعتمد الأدب المهجري على عناصر ثلاثة :

أولا ـ الحملة العنيفة على اللغة والدين ومقومات المجتمع العربي ٠

ثانيا ـ إستمد المهجريون أسلوبهم من الشعر المنثور الأمريكي الذي يمثله « وايتمان » واستمدوا مفاهيمهم من (نيتشه) ومذهب (وحدة الوجود) و « اللاادرية)

ثالثا ـ الثورة على الألوهية ، والافراط في الاباحة ، وإدخالها مرحلة التصوف ٠٠ ومهاجمة القيم الأخلاقية في الحب والزواج ٠٠

رابعا ـ حاولوا تغيير قيم الأدب العربي بادخال اسلوب جديد مستغرب ، يصادم قيم البلاغة العربية ، ويعلي عليه صيغة التوراة ٠٠ والمجاز الغربي ٠

خامسا ـ تغليب النظرة العالمية ، المغرقـة في الأممية والتبعيـة على النزعة القومية المناضلة في سبيل الحرية والقوة ٠

ســادسا ـ الاســراف في الجانب الرومــانسي ٠٠ المليء بالظلال ، والحالم المهوم الرمزي المغرق في العاطفة والخيال ٠٠ المضاد لطابـع النفس العربية الجادة العقلانية ٠٠

ويمكن القول ان المدرسة المهجرية الشماليـة كانت ثمـرة من ثمار الارساليات التبشيرية التي وردت لبنان ، وسيطرت على وجوه التعليم والثقافة فيه ٠٠ ثم كان لهذه الثمار اتصالها بالمدارس الغربية ، وخاصة في مدينة بوسطن التي اتخذها المهجريون مقرا لهم ٠٠ وهي من قديم مقر الارساليات التبشيرية في الولايات المتحدة ، فلما صدرت عن أدبها الجديد ٠٠ تلقفته أيدي دعاة الغزو الثقافي ، وعملت على إذاعته والدعوة اليه بوصفه لونا جديدا من ألوان الأدب العربي ، المتسم بالعنصرية والجرأة ، وذلك في مواجهة المدرسة العربية الأصيلة التي كان يقودها المنفلوطي وغيره من الأدباء ٠٠

والواقع أن الأدب المهجري ، إنما يمثل صرخة الغريب المهاجـر ، الأثير لقيم الغرب وفنون أدبه ، وليس فيه طابع العربي المؤمن بوطنه وقيمه ٠٠

كما اتسم الأدب المهجري بطابع القلق والتمرد ، والتحرر من قواعد اللغة العربية ، ومن قيم المجتمع والتقليـد المغرق للآداب الأجنبيـة ، والمتأثر بالحملة الأجنبية ، القائمة على الكناية والاستعارة والموسيقى والخيال والرمزية ولعل أصدق ما يمثله الأدب المهجري ما كتبه (جبران خليل جبران) نفسه عام ١٩١٩ بعد أربعة عشر عاما من بدء كتاباته عام ١٩٠٥ ـ قال في خطاب الى أميـل زيدان ٠٠ إن فكـري لم يثمر غــير الحصرم ، وشبكتى ما برحت مغمورة بالماء» ٠٠

ومن الحق أن اسلوب جبران قد بهر كثيرا من الشبـاب ، وسرى سريان النار في الهشيم ·· ولكن سرعان ما انطفأ وفقد اثره ·· وذلك لصادمته للنفس العربية ، ومعارضته لمنهجها وتضاربـه مع مـزاجها النفسي والاجتماعي ··



كشف اللثام عن رباعيات الخيام

الأستاذ أبو النصر مبشر الطرازي الحسيني

لعل القضية التي يثيرها ـ هذا الكتاب ـ على النحو الذي سوف نراه ـ قد لا تكون غريبة في بابها ٠٠ بعبارة أخرى ان هذه القضية ـ وهي قضية تزييف أدبي صارخ ـ ليست كما يعلم الباحثون ـ أول قضية تزييف ، أو أول قضية افتراء كما يجب ان توصف !!

ان القضية في هذا الكتاب ٠٠ هي ـ كما يقول العنوان ـ قضية رباعيات شاع امرها وذاع ! ونسبت الى غير قائلها ٠٠ وهو عمر الخيام العالم الرياضي الفلكي المشهور ٠٠

وقد عرف الناس رباعيات الخيام منذ أن نشرها في لندن باللغة الأنكليزية عام ١٨٥٦م « أدوارد فتيزجرالد » الشاعر الانكليزي ٠٠

ومالبثت أن ظهرت ـ وفي أسرع وقت ـ في مختلف اللغات الغربية والشرقية ٠٠

وفي عام ١٩١٢م نشر وديع البستاني في مصر اول ترجمة لها باللغة العربية ٠٠ ثم تتابعت بعدها ترجمات محمد السباعي ، وأحمد رامي ، والزهاوي ، واحمد حامد الصراف والصافي النجفي وعبد الحق فاضل وغيرهم ٠٠ وكانت هذه الترجمات تختلف من حيث العدد ٠٠ كما ترجم بعضها نثرا ، وبعضها ترجم عن اللغة الفارسية ويبدو لي أن هذا الكتاب هو الوحيد في اللغة العربية ـ على الاقل ـ الذي كشف اللثام عن رباعيات الخيام ٠٠

والغريب انه ما من صحيفة أو مجلة أدبية في العالم العربي ٠٠ نوهت به عند ظهوره ؛ أو أشارت اليه ؟

هذا مع أن البحث (موضوعي) والمؤلف باحث معروف له مكانته والقضيـة التي أثارهـا « خطيـرة » تستوجب العنـايـة ، وتستـدعي الاهتمام !

فهل كان هناك « سر » وراء هذا الصمت العميق ؟!

* * *

نعم ، ان المـؤلف سيلمح لنـا من خلال احـاديثه ٠٠ بمـا يـوحي بالسر ٠٠ وسوف يذكر : لماذا قام الغربيون بترجمة الرباعيات ؟!

وسوف يشير ـ وهنـا بيت القصيد كمـا يقولون ـ الى يـد التبشير والاستعمار في ترجمة الرباعيات !

بـل سيقول ويـردد : لم يكن اهتمامهم بـالرباعيـات ، وتمجيدهم لشخصية الخيام « لسبب مكانته الرفيعة في العلوم الرياضية وغيرها ، وهي التي برع فيها الخيام » وإنما كان كل هـذا الاهتمام لاغـراض سياسية الى اخره ٠٠

أغراض وأهداف لا نراها على اي حال ، تختلف أي اختـلاف عن أغـراضهم وأهـدافهم من وراء غـزوهم الفكـري المستمـر للعـالم الاسلامي ٠

* * *

يقول المؤلف : « ان أكثر الباحثين من كتاب الشرق والغرب عن حياة الحكيم عمر الخيام « أو الخيامي » النيسابوري ؛ عرفوه عن طريق ما نسب « أو نسبوه اليه » من رباعيات مزعومة ، عبروا عنها بـ « رباعيات الخيام » ووصفوها بـ « فلسفة الخيام » ٠٠ فمنهم من قال انه أبيقوري النزعة ٠٠ ومنهم من رأى أنه إباحي ، وأنه مستهزيء بأحكام الاسلام وتعاليمه كما طعن فيه بعض النـاس بأنـه دهري ، وزعم بعض أنـه

تنــاسـخي ، وظن بعض انــه بــاطني « ولا أدري » وتشــاؤمـي ٠٠ وجبري ٠٠ وأدعى أخر « أخيرا » انه ثائر على كل شيىء على الدين ، على الاخلاق ، بل على العقل أيضا ٠

وهكذا ذهبوا « من شـرقيين وغـربيين » في شـأن ذلك الحكيم كل مذهب ٠٠ وليس لهم في ذلك كله دليل ، الا تلك الرباعيات المزعومة ، التي نسبت « أو نسبوها » الى شخصيته البريئة ، وظنوا ، أو تصنعوا في الظن أنها من الحكيم عمر الخيام النيسابوري ، ومقولاته وآثاره ، وفلسفته وحكمته التي نسجها بقريحتـه ، فكانـوا يحكمون عليـه بما يحكمون ، مستندين اليها ، ومعتمدين عليهـا ، كانت تلك الربـاعيات وصلت اليهم منه بسند صحيح متصل لا يبقى وراءه أي شك ولا يـقـبـل دونه اي تردد ٠٠

ونرى طائفة من الادباء المعاصرين ، الذين درسوا تلك الرباعيات وترجموهـا من أصلها الفـارسي ، او ترجمتهـا الانكليزيـة ، يعتقدون صدورها عن الحكيم النيسابوري اعتقادا ، كأنهم رأوه رأي العين وهو ينشئها في خلوته الخ ٠٠ الخ ٠٠

وزادوا في جرأتهم في الحكم عليه ـ مع الاسف ـ اذ ادعوا انها فلسفة الخيام ، فكأنه لم يكن للحكيم النيسابوري ـ بعدما اعترفوا بأنه كان حكيما عظيما فلسفة الا هـذه ٠٠ وقد تـركوا الواجب ، وهـو التفكير الصحيح قبل الحكم في المـوضوع ، كمـا تستوجبـه نزاهـة البحث ، وتستلزمه امانة العلم في خدمة الحقيقة والتاريخ ٠٠

٠٠٠ وكـان عليهم أن يعرفـوا الحكيم النيسابـوري تحت ضـوء الفحص العلمي الصحيح ! والنقد التاريخي الموثوق ، معتمدين عـلى آثاره ومقولاته التي ثبتت عنه برواية الثقات من المؤرخين ٠٠ كما كان في إمكانهم أن يهتدوا الى انتحال تلك الرباعيات بدلائل كثيرة ، ولا سيما بالتناقض بين معانيها واتجاهاتها التي لا تخفى على الباحث ، وكان في وسعهم أيضـا تطبيق تلك الربـاعيات ٠٠ عـلى تلك الآثار الثـابتـة ،

والمقولات الصحيحة حتى يظهر الموضوع من الصحيح ، ويتميز الخبيث من الطيب ، فيثبت ما يمكن من الرباعيات أن يكون له ، وما لا يمكن ان يكون له ، وفي النتيجة تنكشف الحقيقة كما هي ··

هذا ما كان من تفريط الباحثين ، ومن بعدهم من الكتاب والمترجمين ، ثم ظن الشرقيون ان تلك الرباعيات ·· حقيقة ، ولم يترددوا في أنها « رباعيات عمر الخيام » ودام هذا الظن مدة مائة سنة تقريبا ، وكان هذا الظن الباطل منبعثا من سببين اثنين :

السبب الاول : تفريط الباحثين والكتاب والمترجمين ·· لأنهم بتفريطهم هذا أوقعوا عامة الشرقيين في هذا الظن ··

والسبب الثاني : اعتماد الشرقيين على ترجمة « ادوارد فيتزجرالد » ·· لتلك الرباعيات التي قام بها سنة ١٨٥٦ ميلادية ، ونشرها في الغرب والشرق على أوسع نطاق ··

···· نعم ان الشرقيين وقعوا ـ أو أوقعوا ـ في هذا الخطأ ، اذ ظنوا هذا الظن لهذين السببين ، وانخدعوا ـ أو خدعوا ـ فاعتقدوا أن تلك الرباعيات هي فلسفة الخيام كما صورها المصورون ·· ولم يفطنوا الى ما كان هناك من أغراض مذهبية ، أرادها المغرضون ، ومكايد استعمارية كادها المستعمرون ··

من هو عمر الخيام ؟

اسمه عمر ، وكنيته أبو الفتح ، ولقبه غياث الدين ، ووالده ابراهيم النيسابوري ، وشهرته الخيام « أو الخيامي » لاشتغاله أو والده بهذه المهنة وقد اتفق أكثر المؤرخين في ان عمر الخيام ولد في نيسابور من اعمال خراسان في الشطر الثاني من القرن الحادي عشر الميلادي ، وتوفي قبل انتهاء الربع الاول من القرن الثاني عشر ·

* * *

ونشأ الحكيم عمر الخيام في مسقط رأسه نيسابور ، وتربى على يد استاذه الكبير المعروف بالامام الموفق النيسابوري الذي كان من أجل

علماء فارس (ايران) في عصره ٠٠٠

٠٠٠٠ واشتهر عمر الخيام بفطنته وذكائه إبان تعلمه بين أقرانه من المتعلمين حتى تخرج بالتفوق والبراعة في كل علم من العلوم التي درسها ولا سيما علم الفلك ، ولهذا نجد أكثر المؤرخين يصفونه ـ فيما يصفون ـ بالحكيم الفلكي ٠٠

٠٠٠ وكان لعمر الخيام مكانة عظيمة لدى الحكماء ، وعند العلماء في عصره ، وملوك زمانه ، فكانوا يعدونه في الحكمة ثاني « ابن سينا » ٠٠

وكان السلطان جلال الدولة ملكشاه السلجوقي ينزله منزلة الندماء ، وكان الخاقان شمس الملوك في بخارى يعظمه غاية التعظيم ، ويجلسه معه على سريره ٠٠ هذا مع ما وصفوه بحسن الخاتمة بعدما عاش في الزهد والتقشف ٠٠

آثاره ٠٠ ومؤلفاته

٠٠٠٠ وأما آثار الحكيم عمر الخيام النيسابوري ومؤلفاته ، فقد ذكرها المؤرخون في الشرق والغرب وأشادوا بذكرها وذلك نظرا لقيمتها وان قلت عددا ، منها رسالة في الجبر والمقابلة ـ بالعربية ـ وهي التي قام بطبعها مع ترجمتها الى اللغة الفرنسية مسيو (ويكيه) وذلك سنة ١٨٥١ الميلادية في باريس ٠

وقال بروكلمن بشأنه في كتابه : « تاريخ الشعوب الاسلامية » كانت دراساته في علم الجبر اول محاولة ناجحة لحل المعادلات التكعيبية ، وقد ميز منها ثلاث عشرة معادلة ، ولم يحلها حلا جبريا فحسب ، بل حلا هندسيا ايضا ٠

ومنها رسالة في شرح ما أشكل من مصادر كتاب اقليدس ، وهي محفوظة في مكتبة ليدن بهولندا ٠

ومنهـا رسالة في الوجـود ـ او في الاوصاف والمـوصوفـات ـ وهي بالعربية ٠

ومنها رسالة في الكون والتكليف ، وقد الفها جوابا لسؤال وجهه اليه الامام القاضي ابو النصر محمد بن عبد الرحيم النسوي ـ وهو من كبار معاصريه وتلميذ الشيخ الرئيس ـ عن حكمة الله في الخلق ، وتكليفـه بالعبادة وذلك سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة هـ ٠

ومنها رسالة « روضة القلوب » بالفارسية ، وهي رسالة خطية موجزة كتبها عمر الخيام لابن نظام الملك الوزير وله ايضا بضع جداول فلكية في النجوم ورسائل اخرى في المساحة والمكعبات ، تدل على تضلعه في العلوم الرياضية ٠

رباعيات الخيام

هذا ٠٠ وأما « رباعيات الخيام » التي عدها حفنة من رجال الغرب ، وجماعة من كتاب الشرق من آثار الحكيم النيسابوري ، بل زعموا أنها أهمها منزلة ٠٠ وأغلاها قيمة ٠٠ وعبروا عنها بـ « فلسفة الخيام » فليست من الحقيقة في شيء ٠٠ فانها أثر موهوم توهموه عليه وأمر خيالي تخيلوه ونسبوه إليه وبالاجمال شيء لم يثبت عنه في الحقيقـة الواقعة ٠٠ اللهم الا ما يتفق من تلك الربـاعيات مـع مكانـة الحكيم النيسابوري ، ومبدئه الحقيقي ٠٠ فانه يمكن أن يكون منه ، مع عدم اليقين بثبوته عنه ، بناء على ان ساحة الامكان واسعة ، وأما الثبوت فانه يستوجب الادلة ٠

فقد اتضح من اقوال المؤرخين الاقدمين ٠٠ ان عمر الخيام كان عالما كبيرا ، وحكيما فلكيا ، ورياضيا عظيما ، وفقيها ومقرئا للقرآن ٠٠ قبل أن يكون شاعرا ، ولم تسجل في تلك الكتب التاريخية الموثوقة اية رباعية من تلك الرباعيات المستنكـرة ٠٠ التي اسندوهـا اليه ٠٠ وشهـروه بها ٠٠ ولم يشر النظامي العروضي السمرقندي ـ مثلا ـ فيما ذكره عن

عمر الخيام ـ أو الخيامي ـ الى أنه كان شاعرا ، أو كانت له رباعية ولو واحدة ٠٠

٠٠٠ نعم ، لم تأت اشارة ولا تصريح في الكتب التاريخية التي يعتمد عليها ان عمر الخيام كان شاعرا أو كانت له هذه الرباعيات المزعومة ، التي وصفناها بتلك الاوصاف التي سبقت انفا ، وصفا بالحقيقة والواقع ٠

٠٠ ومما نسب الى عمر الخيام من الرباعيات ما سمعته من بعض ادباء ايران المعاصرين ، مع ما وجدته في بعض الدواوين ، وكتب الباحثين من رباعيات لا بأس بها ـ ويمكن ـ ان تكون من مقولاته ـ لان ساحة الامكان واحدة مع عدم اليقين بثبوتها ـ لعدم مخالفتها لمبدئه الحقيقي ، ومكانته العلمية ، وعقيدته الاسلامية ، وهي اربعون رباعية وقد أورد المؤلف نصوصها الفارسية مع ترجمتها العربية ٠٠

ومن هذه الرباعيات على سبيل المثال :

ياعالم أسرار ضمير كل عبد ،
ويا من يأخذ بيد كل عبد في حالة عجزه
يارب وفقني بالتوبة ٠٠ واقبل معذرتي
يامعطي التوبة ، وقابل عذر كل عبد !
أرى فوق فراش التراب اناسا نائمين !
وأرى تحت الارض أناسا مختفين !
وكلما انظر الى صحراء العدم ٠٠
فاني ارى اناسا ذاهبين غير ايبين

اشتهار عمر بالرباعيات

كان اشتهار الخيام ، قبل القرن التاسع عشر الميلادي ، بعلومه ، ولم يكن بشعره ٠٠ وانما اشتهر بالشعر والرباعيات في القرن التاسع عشر ٠٠ والحقيقة التي اثبتها التحقيق الصحيح وانتجها البحث

السليم في هذا الباب هي اننا لا نجد اي سند تاريخي ، واي دليل علمي موثوق يثبت صدور تلك الرباعيات التي تضمنتها « رباعيات الخيام » ولا سيما الرباعيات المستنكرة ·· عن عمر الخيام ، كما لا نجد اي معاصر لعمر الخيام ، او متقارب العهد منه ، او اي مؤرخ من القدماء يقول : ان عمر الخيام كان قائل الرباعيات ·· فضلا عن ان يقول انه قائل المستنكرات ··

·· وان خلاصة ما تدل عليه الادلة التاريخية ، والتحقيقات العلمية ، التي قمت بها في موضوع « رباعيات الخيام » مع البحث الدقيق السليم حول مكانته العلمية ، ومبدئه الحقيقي ·· هو انقسام الرباعيات الى رباعيات لا بأس بها ·· « ويمكن » أن تكون من مقولاته ·· والى رباعيات مستنكرة ·· لا تتفق مع مكانته ومبدئه الذي ثبت عنه ··

ولو كانت للخيام رباعيات مثل هذه الرباعيات المستنكرة ·· لما سكت عن روايتها المؤرخون الاقدمون ، ولا سيما المعاصرون بل قاموا بمهمتهم خدمة للحقيقة والتاريخ ·

·· ومما يذكر هنا أنه لا توجد اية نسخة مدونة لرباعيات الخيام ، الا ما دون بعد مرور ثلاثة قرون ونصف على وفاته ·· فان اقدم نسخة تحتوي على رباعيات الخيام انما هي النسخة المعروفة بنسخة بودين المحفوظة في اكسفورد كما نص عليه الباحثون ، وقد دونت بعد مرور تلك المدة المديدة من وفاة الخيام ، مع انهم لا يعرفون مصدر هذه النسخة ، الامر الذي يدل على امكان **وضعها** الى حد كبير ··

ترجمة الرباعيات الى اللغات الحية

ترجمت هذه الرباعيات المزعومة الى اللغات الحية ، اعني لغات الغرب ، ولا سيما الانكليزية ولغات الشرق أعني الارد ية ·· والتركية والعربية ، كما ألفت عنها وعن صاحبها المزعوم مؤلفات وكتبت مقالات فى الشرق والغرب ·

٠٠ ثم ترجمت هذه الرباعيات للشاعر والكاتب الانكليزي « فيتنز جرالد » وكانت ترجمته لها سنة ١٨٥٦ أو سنة ١٨٥٩م ويزيد عدد ما ترجمه فيتز جرالد من هذه الرباعيات على سبعين رباعية ٠٠ ولكن ترجمة فيتز جرالد لم تكن طبق الاصل ٠٠ لانه لم يتقيد بأتباع الفاظ الرباعيات ومراميها كما يجب وينبغي ، بل تصرف فيها كثيرا ٠٠ وقد نظمها في رباعيات انكليزية ، وبهذا بعد فيتزجرالد بعدا كثيرا عن الاصل الفارسي ٠

❋ ❋ ❋

٠٠ ولما انتشرت تراجم الرباعيات باللغات الغربية ، ولا سيما ترجمة فيتز جرالد ٠٠ في انحاء الشرق وطار صيتها بين الادباء الشرقيين ، من العرب والترك وأهل الهند ٠٠ اندفعوا نحو مطالعتها واهتموا بحياة صاحبها ٠٠ وكان عدد كبير من الشبان المثقفين أكثر اعجابا بتلك الرباعيات ٠

❋ ❋ ❋

وأننا اذا جردنا عن شهرة تلك الرباعيات ٠٠ ونظرنا الى الرباعيات ، وما فيها من معان ٠٠ وطبقناها على ما أثبته المؤرخون من مؤلفات الحكيم عمر الخيام النيسابوري ورسائله وآثاره واقواله ٠٠ نجد أكثرها ساحق ـ ان لم نقل كلها ـ لا ينطبق على مبدأ الخيام الحقيقي ومسلكه الذي سلكه في ادوار حياته ودعا الناس اليه بل نقول بكل جرأة وثقة بموضوعيتها واختلاقها او نقول انها لخيام آخر غير الحكيم عمر الخيام النيسابوري ٠٠

❋ ❋ ❋

٠٠ وثبت عن الحكيم عمر الخيام ـ برواية الثقات ـ أنه قال :

أصون عن الفحشاء جهرا وخفية ٠٠ عفافا ، وافطاري بتقديس فاطري ٠٠

ان التاريخ الموثوق به يروي لنا أن الحكيم عمر الخيام ٠٠ كان عالما

بالفقه ، ومقرئا بارعا للقران ٠

فكيف يتفق هذا مع ما ينسب اليه في تلك الرباعيات المزعومة ٠٠

٠٠ ومما يذكر هنا ان للخيام تصريحات في رسالته « الكون والتكليف » ، تدل على عقيدته بالله ورسوله « صلى الله عليه وسلم » وتمسكه بتعاليم القرآن المجيد ، وامتثاله للشريعة المحمدية ٠٠ الامر الذي يبرئه مما نسب اليه ٠٠٠ من تلك الرباعيات المستنكرة ٠٠ تبرئة لا يبقى بعدها مجال للبحث عند المنصف ٠

❊ ❊ ❊

٠٠٠ ومما يذكر هنا أن مذهب الباطنية في عهد الخيام قد أخذ في نشر مبادئه في انحاء ايران وذلك عن طريق زعامة حسن الصباح بعد اعتناقه هذا المذهب بمصر وعودته منها ٠٠ ومن المعلوم ان رجال هذا المذهب ودعاته توسلوا بكل وسيلة ممكنة لبث هذه الدعوة وتدعيمها ٠٠ فعليه يظهر ان دعاة الباطنية قد توسلوا ـ فيما توسلوا به ـ بانشاء رباعيات تتضمن مبادىء الباطنية ، ووضعها باسم الخيام بعد وفاته ، وانشادها في المحافل العامة ٠

ذلك لان البيئة كانت اسلامية في ذلك العهد بايران ـ كما تزال اسلامية الى الآن ـ وعليها ملك مسلم يحكم بما انزل الله ، فلم يكن من الممكن نشر هذه المبادىء في صيغ الخطب أو قوافي الاشعار وأوزانها عن اسماء الدعاة انفسهم ٠٠ ـ اللهم الا في الخفاء وبين الجدران ٠٠ والا لقتلوا تقتيلا ، او اخرجوا من البلاد ٠٠ وذلك تطهيرا لارضها الاسلامية من منابع الالحاد ، ومناهل الفساد ٠

فاستغلوا شخصية ذلك الحكيم ٠٠ ونشروا مبادئهم باسمه ضمن رباعيات شبيهة لما نسب اليه من الرباعيات ٠٠ وهكذا كانت الرباعيات توضع من قبل أهل الاهواء ودعاة النحل المعادية لمبادىء الاسلام ، فتنشد في الندوات ، وتكتب في الوريقات بخطوط جميلة جذابة ٠٠٠

وتنشر بين عامة الناس ٠٠ وربما تعرض للبيع على الخـواص منهم ، فتنال القبول لدى البعض وان لم تنل لدى الجميع ٠

٠٠ وكانت الرباعيات تزداد عددا كلما مرت الايام ٠٠

البيئة تنفي نسبة الرباعيات للخيام

ان الباحث عن رباعيات الخيام ، لا يستغني عن بحث البيئة التي نشأ فيها ذلك الحكيم ٠٠ وعن البحث عن المجتمع الذي عاش وترعرع فيه ٠٠ بل يجب عليه ٠٠ وذلك هو شأن الباحث المنصف ٠٠ فاذا نظرنا الى التاريخ الصحيح ٠٠ نعرف أن حياة الحكيم ونشأته كانت في عهد ملكشاه السلجوقي ، وان الناس في ذلك العهد الاسلامي كانوا شيوخا وشبابا متعصبـين ومتمسكين بـدين الاسلام الحنيف ٠٠ يحتـرمون احكام الشريعة الاسلامية كل الاحترام ويخضعون لها كل الخضوع ولهذا لم يكن في وسع أحد ان يبدي أية جسارة في الاستهزاء بالتعاليم السماوية ٠٠ او يخرج ضد الدين مجاهرا ٠٠ نعم لم يكن في وســع أحد ـ سواء كان خياما أو غير خيام ـ في ذلك العهد الاسلامي المنيع ان يقول او ينشر هذه الهذيانات ٠٠ ضمن رباعيات او غير رباعيات ٠٠ او يجهر باسم الفلسفة ٠٠ بين اولئك المسلمين المتعصبين ، وعلى رأسهم ملك مسلم يحكم بينهم بكتاب الله وسنة رسوله ، وما استنبط منهما من أحكام المجتهدين ٠٠ والا لقتلوه أو صلبوه ٠٠ أو اخرجوه من المجتمع ليأمنوا شره واضلاله ويكون الدين كله لله ٠٠

أقول ان هذا وذلك كله يحكم ببراءة الخيام من تلك الرباعيات ٠٠

الرباعيات في نظر أدباء ايران المعاصرين

واذا درسنا نظريات ادباء ايران المعاصرين ٠٠ فاننا نجد أكثرهم يبرئون الخيام من تلك الرباعيات التي نسبت اليه ٠٠ ولا يقيمون لها وزنا ٠٠ بل يدعون الايرانيين ـ ولاسيمـا الجبل النـاشيء الى نبذهـا واستنكارها ٠

قال الاديب الكبير « رضـا صديقي نخجـواني » في كتابـه « خيام

بنـداري » بالفـارسية مـا معنـاه : « ان مقـام الحكيم عمـر الخيـام النيسابوري في نظرنا ارفع من ان تعد تلك الرباعيات المستنكرة التي عرفت باسم « رباعيات الخيام » من مقولاته ٠٠ الى أن يقول : « ونحن نعتقد أن قائل هذه الرباعيات شخص أو أشخاص من المتحللين ٠٠ ثم جاء اناس وجمعوها من هنـا وهناك ونسبـوها الى الخيـام ٠٠ وبهذا اوجدوا خياما موهوما ٠٠ من صنـع وهمهم ، ونسيج خيـالهم ، وان اوضح دليل لادعائنا هذا هو ان الرباعيات ازدادت عددا كلما ابتعـد العهد والتاريخ عن عهد الخيام » ٠٠

يد التبشير والاستعمار في ترجمة الرباعيات ونشرها

واذا نظرنا نظر الباحث الناقد ٠٠ في سر قيام الغربيين بترجمة هذه الرباعيات ونشرها في الغرب والشرق ، واشادتهم بذكر صاحبها المزعوم فاننا نعلم علم اليقين ان قيامهم بهذا او ذاك كان من نواح ثلاث :

الأولى : انهم وجدوا معاني تلك الرباعيات وأهدافها متفقة مع أهـواء الغرب ٠٠ ومع الحرية المطلقة التي لا قيود فيها ٠

الثانية : ان خواص الغربيين الماهرين من رجال الدين المسيحي ، ومن له علاقة بالتبشير النصراني وجدوا في هذه الرباعيات بغيتهم المنشودة في الطعن على الدين الاسلامي ٠٠ الخ ٠٠

٠٠٠٠ نعم وجدوا بغيتهم فيها ٠٠ لا عن طريق عـظيم نصراني غربي ٠٠ بل عن طريق عظيم مسلم شرقي ، كما كسبوا مبالغ باهظة عن طريق بيع تراجمهم وكتبهم في انحاء الغرب والشرق ٠٠

الثالثة : وهي التي اعتقـدها كـرجل ذاق هـو وشعبه مـر الاستعمار البغيض ، وعرف حيل المستعمرين ، ودسائس المحتلين ـ وأظن انهـا فكرة لم يصرح بها احد من الباحثين في هذا الموضوع ـ الا وهي الناحية السياسية التي لعبت بها يد الاستعمار دورا من ادوارها الاستعمارية في الشـرق ٠٠ ولاسيما في ايـران وبـلاد الهنـد ٠٠ نعم هي النـاحيـة السياسية التي لعبت بها يد الاستعمار ، ولكن بكل دقـة وحذر ، وفي

همس وخفاء وكأن « فيتز جرالد » الشاعر الماهر الانكليزي قد لبى الاشارة من قبل بعض ساسة الانكليز فقدم للمستعمر المحتال خدمة مشكورة ·· ولكن تحت ستار الخدمة للأدب الغربي ··

وحذا حذوه أمثاله من « روكوفسكي » المستشرق الروسي وغيره ، ولعبوا دورهم في هذا المضمار متعاضدين ·· ولكن فيتز جرالد تفرد من بينهم بميزة خاصة ·· وبطابع خاص ·· في النهوض بوظيفته ·· فقد صور هذه الرباعيات ، بصور خلابة ·· وضمنها في كلمات انكليزية منظومة جذابة ·· بحيث تجذب قلوب اهل الشرق ، ولاسيما الشباب الناشيء ·

كما ان فيتز جرالد قد تخيل انه بترجمته لتلك الرباعيات ونشرها قد قدم هدية ثمينة للشرق تستحق كل اعجاب وتقدير ·· ونجح فيتز جرالد فعلا في هذا التخيل ·· فنحن نرى طائفة من كتاب الشرق وأدبائه قد امطروا الثناء عليه فيما يؤلفون عن عمر الخيام ويكتبون ، ويدعون الشرقيين الى الاعتراف بفضل فيتز جرالد ، وتقديره مع الاسف !!

ولكن الحقيقة الواقعة ان فيتز جرالد قد خدع الشرق والشرقيين بهذه الخدعة السياسية ، خدعة موفقة في أغراضها ، ناجحة في اهدافها ·



فهرس

الجزء الثاني

الموضوع | الصفحة

إصدارات إدارة النشر بتهامة

سلسلة : الكتاب العربي السعودي

صدر منها :

الكتاب		المؤلف
• الجبل الذي صار سهلا	(نفد)	الأستاذ أحمد قنديل
• من ذكريات مسافر		الأستاذ محمد عمر توفيق
• عهد الصبا في البادية	(قصة مترجمة)	الأستاذ عزيز ضياء
• التنمية قضية	(نفد)	الدكتور محمود محمد سفر
• قراءة جديدة لسياسة محمد علي باشا	(نفد)	الدكتور سليمان بن محمد الغنام
• الظمأ	(مجموعة قصصية)	الأستاذ عبد الله جفري
• الدوامة	(قصة طويلة)	الدكتور عصام خوقير
• غداً أنسى	(قصة طويلة) (نفد)	الدكتورة أمل محمد شطا
• موضوعات اقتصادية معاصرة		الدكتور علي بن طلال الجهني
• أزمة الطاقة إلى أين ؟		الدكتور عبد العزيز حسين الصويغ
• نحو تربية إسلامية		الأستاذ أحمد محمد جمال
• إلى ابنتي شيرين		الأستاذ حمزة شحاتة
• رفات عقل		الأستاذ حمزة شحاتة
• شرح قصيدة البردة		الدكتور محمود حسن زيني
• عواطف إنسانية	(ديوان شعر) (نفد)	الدكتورة مريم البغدادي
• تاريخ عمارة المسجد الحرام	(نفد)	الشيخ حسين باسلامة
• وقفة		الدكتور عبد الله حسين باسلامة
• خالتي كدرجان	(مجموعة قصصية) (نفد)	الأستاذ أحمد السباعي
• أفكار بلا زمن		الأستاذ عبد الله الحصين
• كتاب في علم إدارة الأفراد		الأستاذ عبدالوهاب عبد الواسع
• الابحار في ليل الشجن	(ديوان شعر)	الأستاذ محمد الفهد العيسى
• طه حسين والشيخان		الأستاذ محمد عمر توفيق
• التنمية وجها لوجه		الدكتور غازي عبد الرحمن القصيبي
• الحضارة تحد	(نفد)	الدكتور محمود محمد سفر
• عبير الذكريات	(ديوان شعر)	الأستاذ طاهر زمخشري
• لحظة ضعف	(قصة طويلة)	الأستاذ فؤاد صادق مفتي
• الرجولة عماد الخلق الفاضل		الأستاذ حمزة شحاتة
• ثمرات قلم		الأستاذ محمد حسين زيدان
• بائع التبغ	(مجموعة قصصية مترجمة)	الأستاذ حمزة بوقري
• أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة	(تراجم)	الأستاذ محمد على مغربي
• النجم الفريد	(مجموعة قصصية مترجمة)	الأستاذ عزيز ضياء

• مكانك تحمدي		الأستاذ أحمد محمد جمال
• قال وقلت		الأستاذ أحمد السباعي
• نبض ...		الأستاذ عبد الله جفري
• نبت الأرض		الدكتورة فاتنة أمين شاكر
• السعد وعد	(مسرحية)	الدكتور عصام خوقير
• قصص من سومرست موم	(مجموعة قصص مترجمة)	الأستاذ عزيز ضياء
• عن هذا وذاك		الدكتور غازي عبد الرحمن القصيبي
• الأصداف	(ديوان شعر)	الأستاذ أحمد قنديل
• الأمثال الشعبية في مدن الحجاز		الأستاذ أحمد السباعى
• أفكار تربوية		الدكتور ابراهيم عباس نتو
• فلسفة المجانين		الأستاذ سعد البواردي
• خدعتني بحبها	(مجموعة قصصية)	الأستاذ عبد الله بوقس
• نقر العصافير	(ديوان شعر)	الأستاذ أحمد قنديل
• التاريخ العربي وبدايته	(الطبعة الثانية)	الأستاذ أمين مدني
• المجاز بين اليمامة والحجاز	(الطبعة الثانية)	الأستاذ عبد الله بن خميس
• تاريخ الكعبة المعظمة	(الطبعة الثانية)	الشيخ حسين عبد الله باسلامة
• خواطر جريئة		الأستاذ حسن بن عبد الله آل الشيخ
• السنيورة	(قصة طويلة)	الدكتور عصام خوقير
• رسائل إلى ابن بطوطة	(ديوان شعر)	الأستاذ عبد الله عبد الوهاب العباسي
• جسور إلى القمة	(تراجم)	الأستاذ عزيز ضياء
• تأملات في دروب الحق والباطل		الشيخ عبد الله عبد الغني خياط
• الحمى	(ديوان شعر)	الدكتور غازي عبد الرحمن القصيبي
• قضايا ومشكلات لغوية		الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار
• ملامح الحياة الاجتماعية في الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة		الأستاذ محمد علي مغربي
• زيد الخير		الأستاذ عبد العزيز الرفاعي
• الشوق إليك	(مسرحية شعرية)	الأستاذ حسين عبد الله سراج
• كلمة ونصف		الأستاذ محمد حسين زيدان
• شيء من الحصاد		الأستاذ حامد حسن مطاوع
• أصداء قلم		الأستاذ محمود عارف
• قضايا سياسية معاصرة		الدكتور فؤاد عبدالسلام الفارسي
• نشأة وتطور الإذاعة في المجتمع السعودي		الأستاذ بدر أحمد كريم
• الإعلام موقف		الدكتور محمود محمد سفر
• الجنس الناعم في ظل الإسلام		الشيخ سعيد عبدالعزيز الجندول
• ألحان مغترب	(ديوان شعر)	الأستاذ طاهر زمخشري
• غرام ولادة	(مسرحية شعرية)	الأستاذ حسين عبد الله سراج
• سير وتراجم		الأستاذ عمر عبدالجبار
• الموزون والمخزون		الشيخ أبوتراب الظاهري

• لجام الأقلام	الشيخ أبو تراب الظاهري
• نقاد من الغرب	الأستاذ عبد الله عبد الوهاب العباسي
• حوار.. في الحزن الدافيء	الأستاذ عبدالله عبدالرحمن جفري
• صحة العائلة في بلد عربي متطور	الدكتور زهير أحمد السباعي
• البترول والمستقبل العربي	الأستاذ عبدالعزيز مؤمنة
• من حديث الكتب (ثلاثة أجزاء)	الأستاذ محمد سعيد العامودي
• أيامي	الأستاذ أحمد السباعي

تحت الطبع :

• إليها (ديوان شعر)	الأستاذ حسين عبد الله سراج
• حتى لا نفقد الذاكرة	الأستاذ سعد البواردي
• أحاديث وقضايا إنسانية	الدكتور عبد الرحمن بن حسن النفيسة
• تاريخ القضاء في المملكة العربية السعودية	الأستاذ حسن بن عبد الله آل الشيخ
• معجم اللهجة المحلية في منطقة جازان	الأستاذ محمد بن أحمد العقيلي
• الإسلام في نظر أعلام الغرب	الشيخ حسين عبد الله باسلامة
• قصص من طاغور (ترجمة)	الأستاذ عزيز ضياء
• ماما زبيدة (مجموعة قصصية)	الأستاذ عزيز ضياء
• مدارسنا والتربية	الأستاذ عبد الوهاب عبد الواسع
• دوائر في دفتر الزمن (مجموعة قصصية)	الأستاذ سباعي عثمان
• عام ١٩٨٤ لجورج أورويل (قصة مترجمة)	الأستاذ عزيز ضياء
• مشواري مع الكلمة	الأستاذ حسن عبد الحي قزاز
• وجيز النقد عند العرب	الأستاذ عبد الله عبد الوهاب العباسي
• هكذا علمني ورد زورث	الأستاذ أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري
• وحي الصحراء	الأستاذ عبد الله بلخير الأستاذ محمد سعيد عبدالمقصود خوجه
• سباعيات	الأستاذ احمد السباعي
• خلافة أبي بكر الصديق	الشيخ حسين عبد الله باسلامة
• الطاقة نظرة شاملة	الدكتور عبدالهادي طاهر
• طيور الأبابيل (ديوان شعر)	الأستاذ إبراهيم هاشم فلالي
• عمر بن أبي ربيعة	الأستاذ إبراهيم هاشم فلالي
• رجالات الحجاز (تراجم)	الأستاذ إبراهيم هاشم فلالي
• لا رق في القرآن	الأستاذ ابراهيم هاشم فلالي
• من مقالات عبد الله عبد الجبار	الأستاذ عبدالله عبدالجبار
• البعث	الأستاذ محمد علي مغربي
• شمعة ظمأى (ديوان شعر)	الدكتور أسامة عبدالرحمن
• دعوة ودفاع	الأستاذ سعيد الجندول
• لن تلحد	الشيخ أبوعبدالرحمن بن عقيل الظاهري
• التعليم في المملكة العربية السعودية	الأستاذ عبد الوهاب عبد الواسع

- الجبل الذي صار سهلا — الطبعة الثانية — الأستاذ أحمد قنديل
- التنمية قضية — الطبعة الثانية — الدكتور محمود محمد سفر
- قراءة جديدة لسياسة محمد علي باشا — الطبعة الثانية — الدكتور سليمان بن محمد الغنام
- غداً أنسى (قصة طويلة) — الطبعة الثانية — الدكتورة أمل محمد شطا
- تاريخ عمارة المسجد الحرام — الطبعة الثانية — الشيخ حسين باسلامة
- خالتي كدرجان (مجموعة قصصية) — الطبعة الثانية — الأستاذ أحمد السباعي
- الحضارة تحد — الطبعة الثانية — الدكتور محمود محمد سفر

سلسلة :

الكتاب الجامعي

صدر منها :

- الإدارة : دراسة تحليلية للوظائف والقرارات الإدارية — الدكتور مدني عبد القادر علاقي
- الجراحة المتقدمة في سرطان الرأس والعنق (باللغة الإنجليزية) — الدكتور فؤاد زهران، الدكتور عدنان جمجوم، الدكتور محمد عيد
- النمو من الطفولة إلى المراهقة — الدكتور محمد جميل منصور، الدكتور فاروق سيد عبد السلام
- الحضارة الإسلامية في صقلية وجنوب إيطاليا — الدكتور عبد المنعم رسلان
- النفط العربي وصناعة تكريره — الدكتور أحمد رمضان شقليه
- الملامح الجغرافية لدروب الحجيج — الأستاذ سيد عبد المجيد بكر
- علاقة الآباء بالأبناء (دراسة فقهية) — الدكتورة سعاد إبراهيم صالح
- مبادىء القانون لرجال الأعمال — الدكتور محمد إبراهيم أبو العينين
- الاتجاهات العددية والنوعية للدوريات السعودية — الأستاذ هاشم عبده هاشم
- قراءات في مشكلات الطفولة — الدكتور محمد جميل منصور
- شعراء التروبادور (ترجمة) — الدكتورة مريم البغدادي
- الفكر التربوي في رعاية الموهوبين — الدكتور لطفي بركات أحمد
- النظرية النسبية — الدكتور عبد الرحمن فكري، الدكتور محمد عبد الهادي كامل
- أمراض الأذن والأنف والحنجرة (باللغة الإنجليزية) — الدكتور أمين عبد الله سراج، الدكتور سراج مصطفى زقزوق
- المدخل في دراسة الأدب — الدكتورة مريم البغدادي
- الرعاية التربوية للمكفوفين — الدكتور لطفي بركات أحمد
- أضواء على نظام الأسرة في الإسلام — الدكتورة سعاد إبراهيم صالح

تحت الطبع :

- الأدب المقارن (دراسة في العلاقة بين الأدب العربي والآداب الأوروبية) — الدكتور عبد الوهاب على الحكمى
- هندسة النظام الكوني في القرآن — الدكتور عبد العليم عبد الرحمن خضر
- تاريخ طب الأطفال عند العرب — الدكتور محمود الحاج قاسم
- المنظمات الدولية — الدكتور حسين عمر ابراهيم
- الوحدات النقدية المملوكية — الدكتور سامح عبدالرحمن فهمي



صدر منها :

- حارس الفندق القديم (مجموعة قصصية) — الأستاذ صالح إبراهيم
- دراسة نقدية لفكر زكي مبارك (باللغة الإنجليزية) — الدكتور محمود الشهابي
- التخلف الاملائي — الأستاذة نوال عبد المنعم قاضي
- ملخص خطة التنمية الثالثة للمملكة العربية السعودية — إعداد إدارة النشر
- ملخص خطة التنمية الثالثة للمملكة العربية السعودية (باللغة الإنجليزية)
- تسالي (من الشعر الشعبي) (الطبعة الثانية) — الدكتور حسن يوسف نصيف
- كتاب مجلة الأحكام الشرعية على مذهب الإمام أحمد بن حنبل الشيباني — الشيخ أحمد بن عبد الله القاري (دراسة وتحقيق) الدكتور عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان، الدكتور محمد إبراهيم أحمد علي
- النفس الإنسانية في القرآن الكريم — الأستاذ إبراهيم سرسيق
- خطوط وكلمات (رسوم كاريكاتورية) نفد — الأستاذ علي الخرجي
- واقع التعليم في المملكة العربية السعودية (باللغة الإنجليزية) — الدكتور عبد الله محمد الزيد
- صحة العائلة في بلد عربي متطور (باللغة الإنجليزية) — الدكتور زهير أحمد السباعي
- مساء يوم في آذار (مجموعة قصصية) — الأستاذ محمد منصور الشقحاء
- النبش في جرح قديم (مجموعة قصصية) — الأستاذ السيد عبد الرؤوف
- الرياضة عند العرب في الجاهلية وصدر الإسلام — الدكتور محمد أمين ساعاتي
- الاستراتيجية النفطية ودول الأوبك — الأستاذ أحمد محمد طاشكندي
- الدليل الأبجدي فى شرح نظام العمل السعودي — الدكتور عاطف فخري
- رعب على ضفاف بحيرة جنيف — الأستاذ شكيب الأموي
- العقل لا يكفي (مجموعة قصصية) — الأستاذ محمد على الشيخ
- أيام مبعثرة (مجموعة قصصية) — الأستاذ فؤاد عنقاوي
- مواسم الشمس المقبلة (مجموعة قصصية) — الأستاذ محمد علي قدس
- ماذا تعرف عن الأمراض ؟ — الدكتور إسماعيل الهلباوي
- جهاز الكلية الصناعية — الدكتور عبد الوهاب عبد الرحمن مظهر
- القرآن .. وبناء الإنسان — الأستاذ صلاح البكري
- اعترافات أدبائنا في سيرهم الذاتية — الأستاذ علي عبده بركات
- الطب النفسي معناه وأبعاده — الدكتور محمد محمد خليل
- الزمن الذي مضى (مجموعة قصصية) — الاستاذ صالح إبراهيم
- مجموعة الخضراء (دواوين شعر) — الأستاذ طاهر زمخشري
- خطوط وكلمات (رسوم كاريكاتورية) (الطبعة الثانية) — الأستاذ علي الخرجي
- ديوان السلطانيين — الأستاذ محمد بن أحمد العقيلي
- الإمكانات النووية للعرب وإسرائيل — الدكتور صدقة يحيى مستعجل
- رحلة الربيع — الأستاذ فؤاد شاكر

تحت الطبع :

● قراءات في التربية وعلم النفس		الأستاذ فخري حسين عزّي الدكتور لطفي بركات أحمد
● الموت والابتسامة	(مجموعة قصصية)	الأستاذ عبد الله أحمد باقازي
● الوحدة الموضوعية في سورة يوسف		الدكتور حسن محمد باجودة
● الأسر القرشية .. أعيان مكة المحمية		الأستاذ أبو هشام عبد الله عباس بن صديق
● البحث عن بداية	(مجموعة قصصية)	الأستاذ جواد صيداوي
● وللخوف عيون	(مجموعة قصصية)	الأستاذ أحمد شريف الرفاعي
● الحجاز واليمن في العصر الأيوبي		الدكتور جميل حرب محمود حسين
● ملامح وأفكار		الاستاذ أحمد شريف الرفاعي
● ديوان حمام		الأستاذ محمد مصطفى حمام
● المذاهب الأدبية في شعر الجنوب		الدكتور علي مصطفى صبح
● النظرية الخلقية عند ابن تيمية		الدكتور محمد عبدالله عفيفي
● الكشاف الجامع لمجلة المنهل		الأستاذ عبدالله سالم القحطاني

رسائل جامعية

صدر منها :

● صناعة النقل البحري والتنمية في المملكة العربية السعودية	(باللغة الإنجليزية)	الدكتور بهاء حسين عزي
● الخراسانيون ودورهم السياسي		الأستاذة ثريا حافظ عرفة
● الملك عبد العزيز ومؤتمر الكويت		الأستاذة موضي بنت منصور ابن عبدالعزيز آل سعود
● العثمانيون والإمام القاسم بن علي في اليمن		الأستاذة أميرة علي المداح
● القصة في أدب الجاحظ		الأستاذ عبد الله باقازي
● تاريخ عمارة الحرم المكي الشريف		الأستاذة فوزية حسين مطر
● النظرية التربوية الإسلامية		الأستاذة آمال حمزة المرزوقي
● نظام الحسبة في العراق .. حتى عصر المأمون		الأستاذ رشاد عباس معتوق
● المقصد العلي في زوائد أبي يعلي الموصلي	(تحقيق ودراسة)	دكتور نايف بن هاشم الدعيس
● الجانب التطبيقي في التربية الإسلامية		الأستاذة ليلى عبد الرشيد حسن عطار

تحت الطبع :

● الدولة العثمانية وغربي الجزيرة العربية		الأستاذ نبيل عبد الحي رضوان
● دور المياه الجوفية في مشروعات الري والصرف بمنطقة الإحساء بالمملكة العربية السعودية	(باللغة الإنجليزية)	الدكتور فايز عبد الحميد طيب

- دراسة اثنوغرافية لمنطقة الإحساء (باللغة الإنجليزية) — الدكتور فايز عبد الحميد طيب
- اساليب التربية المعاصرة في ضوء الإسلام — الأستاذة فتحية عمر رفاعي الحلواني
- افتراءات فيليب حتى .. وبروكلمان على التاريخ الإسلامي — الأستاذ عبد الكريم علي باز
- الطلب على الإسكان من حيث الاستهلاك والاستثمار — الدكتور فاروق صالح الخطيب
- الحياة الاجتماعية والاقتصادية في المدينة المنورة في صدر الإسلام — الأستاذة نورة عبدالملك آل الشيخ

كتاب الناشئين

صدر منها :

سلسلة : وطني الحبيب

- جدة القديمة — الأستاذ يعقوب محمد اسحاق
- جدة الحديثة — الأستاذ يعقوب محمد اسحاق
- الديك المغرور .والفلاح وحماره — الأستاذة فريدة محمد علي فارسي
- الطاقية العجيبة — الأستاذة فريدة محمد علي فارسي
- الزهرة والفراشة — الأستاذة فريدة محمد علي فارسي
- سلمان وسليمان — الأستاذة فريدة محمد علي فارسي
- زهور البابونج — الأستاذة فريدة محمد علي فارسي
- اليد السفلى — الدكتور محمد عبده يماني / إعداد الأستاذ يعقوب محمد اسحاق

تحت الطبع :

- حكايات للأطفال — الأستاذ عزيز ضياء
- سنبلة القمح وشجرة الزيتون — الأستاذة فريدة محمد علي فارسي
- نظيمة وغنيمة — الأستاذة فريدة محمد علي فارسي

سلسلة حكايات ألف ليلة وليلة — الأستاذ يعقوب محمد اسحاق

كتاب تهامة للأطفال

صدر منها :

• لكل حيوان قصة للأستاذ يعقوب محمد اسحاق

• القرد	• الأسد	• الغزال
• الضب	• البغل	• الحمار الوحشي
• الثعلب	• الفأر	• الببغاء
• الكلب	• الحمار الأهلي	• الوعل
• الغراب	• الفراشة	• الجاموس
• الأرنب	• الخروف	• الحمامة
• السلحفاء	• الفرس	• الضفدع
• الجمل	• الدجاج	• الدب
• الذئب	• البط	• الخرتيت

• الصرصور والنملة	الأستاذ عمار بلغيث
• السمكات الثلاث	الأستاذ عمار بلغيث
• النخلة الطيبة	الأستاذ اسماعيل دياب
• الكتكوت المتشرد	الأستاذ عمار بلغيث
• المظهر الخادع	الأستاذ عمار بلغيث
• بطوط وكتكت	الأستاذ اسماعيل دياب

سلسلة حكايات كليلة ودمنه إعداد : الأستاذ يعقوب محمد اسحاق

- عندما أصبح القرد نجارا
- الغراب يهزم الثعبان

سلسلة التربية الإسلامية **للأستاذ يعقوب محمد اسحاق**

- الله أكبر
- قد قامت الصلاة
- الصلاة
- صلاة الاستخارة
- صلاة العيدين
- صلاة الجمعة
- صلاة المسبوق

كتب صدرت باللغة الانجليزية

English Books Published By Tihama

- Surgery of Advanced Cancer of Head and Neck.
  By F. M. Zahran
  A.M.R. Jamjoom
  M.D. EED
- Zaki Mubarak: A Critical Study.
  By Dr. Mahmud Al Shihabi
- Summary of Saudi Arabian
  Third Five year Development Plan
- Education in Saudi Arabia, A Model with Difference
  By Dr. Abdulla Mohamed Al-Zaid.
- The Health of the Family in A Changing Arabia
  By Dr. Zohair A. Sebai
- Diseases of Ear, Nose and Throat
  Dr. Amin A. Siraj
  Dr. Siraj A. Zakzouk
- Shipping and Development in Saudi Arabia
  By Baha Bin Hussein Azzee
- Tihama Economic Directory.
- Riyadh Citiguide.
- Banking and Investment in Saudi Arabia.
- A Guide to Hotels in Saudi Arabia.
- Who's Who in Saudi Arabia.

مطابع سحر جدة
(S)
ت ٦٣١٤٤٠٥
٦٣١٤١٤٩
٦٣١٤٥٣٣